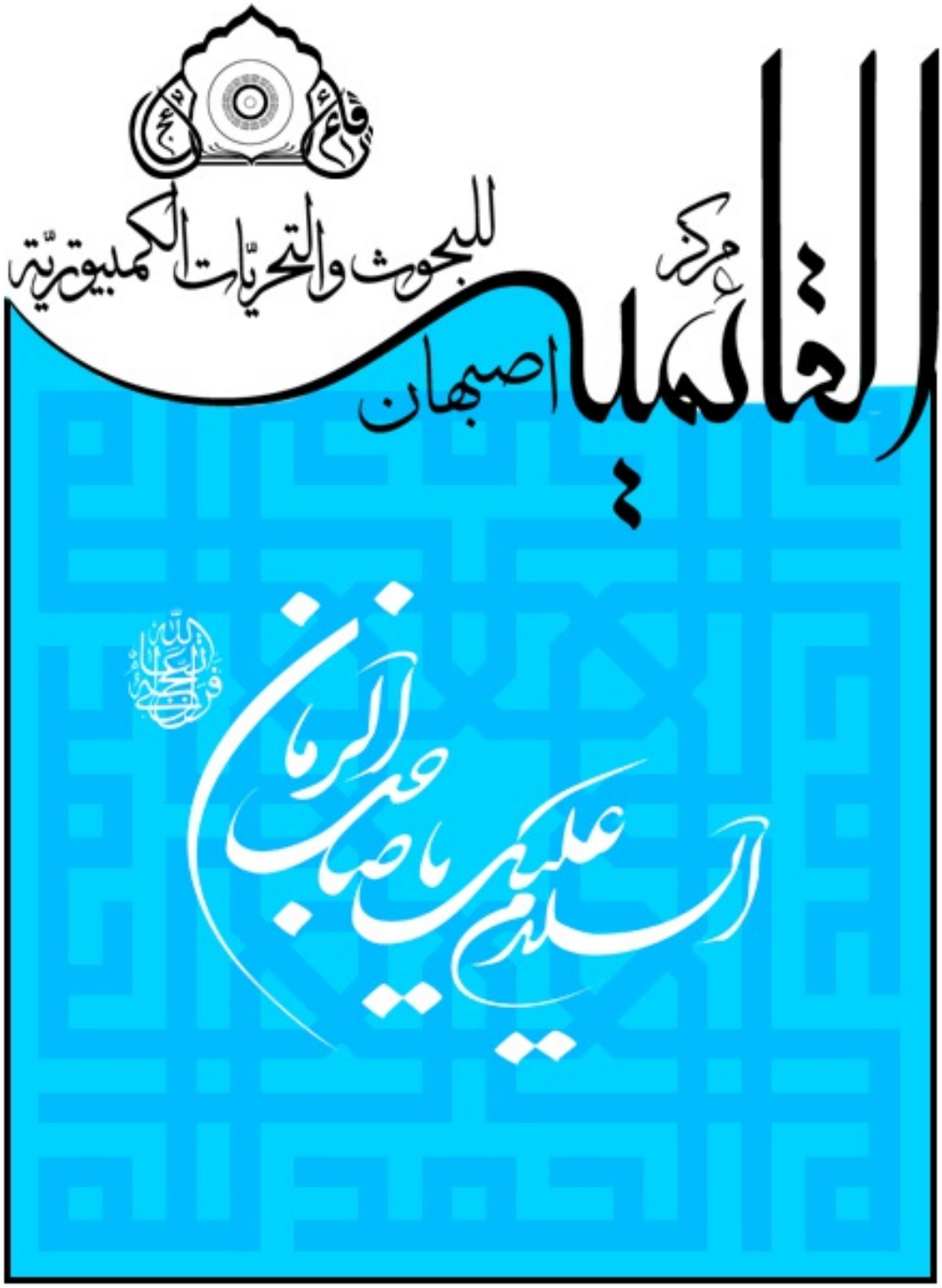

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

كتاب
صورة الأرض

تأليف
أبي القاسم ابن حوقل النصيبي

١

دار صادر
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الارض

كاتب:

محمد بن حوقل

نشرت فى الطباعة:

دارصادر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
صورة الأرض المجلد ۱ ----- ۷
اشارة ----- ۷
[الجزء الاول] ----- ۷
مقدّمة القسم الأوّل ----- ۷
فهرس القسم الأوّل ----- ۹
لابن حوقل النصیبیّ کتاب صورة الأرض ----- ۹
[المقدمة] ----- ۹
[صورة الأرض] ----- ۱۰
[دیار العرب] ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
و ما فی بطن هذه الصفحة فهو صورة دیار العرب، [۷ ب] ----- ۱۷
[بحر فارس] ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
(۲) و هذه صورة بحر فارس، [۱۴ ظ] ----- ۲۶
[المغرب] ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
(۹) و هذه صورة المغرب، [۱۹ ظ] ----- ۳۴
[الاندلس] ----- ۵۲
[صقلیه] ----- ۵۶
[مصر] ----- ۶۲
[الشأم] ----- ۷۶
[بحر الروم] ----- ۸۵

[الجزیرة] ----- ۹۰

اشارة ----- ۹۱

و هذه الصورة شکل الجزیرة، [۶۱ ظ] ----- ۹۱

[العراق] ----- ۱۰۰

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۰۷

صورة الأرض المجلد ۱

اشارة

نام کتاب: صورة الارض

نویسنده: ابن حوقل، محمد بن حوقل

موضوع: جغرافیای عمومی

زبان: عربی

تعداد جلد: ۲

ناشر: دار صادر

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۱۹۳۸ م

نوبت چاپ: دوم

[الجزء الاول]

مقدّمة القسم الأوّل

قد رأینا أن نضع مقدّمة کاملة فی القسم الثالث من طبعة کتاب ابن حوقل الحاضرة تحتوی أیضا علی فهرس الأسماء و علی بعض الإشارات اللغویّة فنکتفی هنا بما لا بدّ منه من التنبیهات، اعتمدنا فی هذه الطبعة علی نسخة واحدة و هی النسخة المرقومة ۳۳۴۶ بخزانة السرای العتیق فی استنبول و قد نسخت فی سنة ۴۷۹ الهجریّة المقابلة لسنة ۱۰۸۶ المیلادیّة، و ما یوجد فیها من نصّ کتاب ابن حوقل هو یخالف نسختی خزانتی (لیدن) و (اوکسفورد) اللتین اعتمد الأستاذ (ده غویه de goeje) علیهما فی الطبعة الأولی فی الجزء الثانی من (نشریّات جغرافیّی العرب bibliotheca geographorum arabicorum) المطبوعة فی (لیدن) سنة ۱۸۷۳، کما استعمل (ده غویه) أیضا فی طبعته النسخة العربیّة المرقومة ۲۲۱۴ فی المکتبة الأهلیّة (باریس) و أطلق علیها فی طبعته اسم الموجز الباریسیّ (epitome parisiensis) و هو مختصر نصّ النسخة الاستنبولیّة المذکورة إلّا أنّه توجد فیها عدّة إضافات عن الفترة الواقعة بین سنة ۵۳۴ ه. و سنة ۵۸۰ ه. (۱۱۳۹ م.- ۱۱۸۴ م.)، فیکون إذا تحت تصرّفنا ثلاث نصوص متباینة هی (۱) النصّ الموجود فی النسخة الاستنبولیّة التی اعتبرناها مصدرا لهذه الطبعة الثانیة و (۲) النصّ الموجود فی الطبعة الأولی التی نشرها (ده غویه) و (۳) النصّ المختصر المذکور آنفا، و سنذکر فی المقدّمة الکاملة بعض النسخ الأخری المحتویة علی النصّین الأوّل و الثالث مع مقارنة جمیع تلک النسخ و سرد ما بینها من الاتّفاق و الاختلاف، و أمّا النصّ الثانی فمعرفتنا به کافیة من طبعة ابن حوقل الأولی حیث یتیسّر للباحث مقارنة الاختلافات الصغری بها دون إعادة نقلها هنا،

صورة الأرض، المقدمة، ص: ۲

و ممّا یدلّ علی عظم شأن النصّ الأوّل أنّه یوجد فیه بعض قطع غیر معلومة الی الآن من قلم ابن حوقل و هی تتعلّق خاصّة بوصف القسم الغربیّ من مملکة الإسلام کما ورد فی بلاد البجة و تأریخهم و فی تعداد أکثر من مائتی قبیلة من قبائل البربر و فی الوصف المطوّل فی أحوال صقلّیة و فی صفة الواحات إذا استثنینا عدّة إضافات قصیرة و أمّا القسم الشرقیّ فقد جاءت به فقرة غیر معلومة الی الآن فی وصف مدینة اصبهان، و یوجد بالعکس فی النصّ الثانی بعض الفقرات التی لا أثر لها فی النصّ الأوّل من أهمّها الخبر عن

ابتداء أسفار المؤلّف فی مقدّمة الکتاب و الفقرات المختصّة ببعض الخلفاء الفاطمیّین و الخبر الوارد فی آخر صفة السند عن ملاقاة المؤلّف لأبی إسحاق الفارسیّ و محاورتهما فیما کانا قد رسماها من الصور، و قد أدخلنا الفقرات الزائدة المختصّة بالنصّ الثانی فی متن النصّ الأوّل بین قوسین مربّعین []، فإذا تحتوی هذه الطبعة الثانیة علی کلّ ما هو معلوم الآن من مادّة کتاب ابن حوقل فتصبح الطبعة الحاضرة متکافئة مع الطبعة الأولی التی نقدت منذ زمن طویل، و قد وضعنا بالهامش أرقام صفحات الطبعة الأولی و أضفنا أیضا بعض الفقرات المنسوبة الی ابن حوقل فی مؤلّفات أخری أورد فیها نصّ هو علی ما یظهر أکمل من النصّ الموجود فی النسخ المعروفة، و قد قابلنا عند الحاجة أحیانا نصّ الإصطخریّ کما فعله أیضا ناشر الطبعة الأولی، و أدرجنا کذلک فی هذه الطبعة ما یوجد من الإضافات فی النصّ الثالث المختصّ بالقرن السادس الهجریّ، و هی التی کان الأستاذ (ده غویه) قد أدرجها فی الحواشی التی بأسفل الصفحات من طبعته و ما یختصّ منها بالمائة صفحة الأولی فی الحواشی الباقیة التی جاءت بص. ۴۳۲- ۴۳۵ من الجزء الرابع لنشریّات جغرافیّی العرب (لیدن ۱۸۷۹)، إلّا أنّه یظهر الآن أنّ کثیرا من هذه الإضافات تتعلّق أصلا بالنصّ الأوّل الموجود فی النسخة الاستنبولیّة،

صورة الأرض، المقدمة، ص: ۳

و أمّا باقی هذه الإضافات فینسب أکثرها الی زمان المختصر علی ما قرّره ناقله فی أکثر الأحوال تقریرا صریحا مع ضبط التواریخ، و لا یبقی إلّا فقرات قلیلة یرتاب فیما إذا کان من الممکن نسبتها الی النصّ الأوّل أو الثالث، و قد أدرجنا إضافات النصّ الثالث فی متننا بحروف صغری بین قوسین مربّعین [] أیضا، و فصّلنا الأبواب المحتوی کلّ واحد منها علی صفة إقلیم واحد فی عدد من القطع و هذا التفصیل غیر راجع الی متن الأصل الذی من أضعف خاصّیّاته ضبط علامات الوقف (،)، و قد رتّبت هذه القطع علی أساس محتویات النصّ المادّیّة و أیضا بمقابلة نصّ الاصطخریّ حتّی یمکننا بذلک الترتیب فهم العلاقات الموجودة بین نصوص تألیف ابن حوقل المختلفة و کذلک بین هذه النصوص و بین نصّ الاصطخریّ، و مع ذلک نرجو أن یسهّل ذلک التفصیل استعمال الطبعة الحاضرة، إنّه یوجد فی معظم نسخ الاصطخریّ و ابن حوقل من الصور التی لا بدّ منها فی إدراک معنی المتن کما لا بدّ من المتن فی إدراک الصور، و بناء علی ذلک أدخلنا فی هذه الطبعة کلّ الصور الموجودة فی النسخة الاستنبولیّة فی شکل رسوم تخطیطیّة و أدخلنا کذلک فی المتن بعد کلّ واحد من التنبیهات المشیرة الی صورة إقلیم فصلا یوضح فیه ما یوجد فی تلک الصورة من الأسماء و النصوص و کثیر من تلک الأسماء لا یوجد فی المتن نفسه، فأمکننا بهذه الطریقة إدراج تلک الأسماء فی فهرس الأسماء فی آخر الکتاب بالإشارة الی الصفحات التی فیها إیضاح الصورة، و لا توجد صور خصوصیّة للأندلس و لصقلّیة إذ کانت هذه الأقالیم داخلة أوّلا فی صفة بلاد المغرب، و قد ضبطنا الأسماء الموجودة فی الصور و کذلک الأسماء الواردة فی المتن علی قواعد متشابهة و هی أنّا اعتنینا فی کلّ موضع بضبط الهجاء و تصحیح الأخطاء الظاهرة، و قد أشرنا فی کلّ موضع فی الحواشی الی ضبط الأصل کما أظهرنا فیها أیضا الضبط الموجود فی الطبعة الأولی

صورة الأرض، المقدمة، ص: ۴

إذا خالفناها، فأمّا ما یوجد فی النسخ السائرة من الروایات العدیدة التی قد طوّلت حواشی بعض الصفحات فی طبعتی الاصطخریّ و ابن حوقل المتقدّمتین تطویلا مفرطا فلم نورد منها إلّا ما استدعی إیراده سبب خاصّ، فلا تزال الاستفادة من اختلافات النسخ المشار الیها فی کلّ موضع من الطبعتین المتقدّمتین لازمة إلّا أنّنا رأینا تأخیر بیان سبب ضبطنا الی حین ترجمة المتن و شرحها، و المؤلّفات الأخری التی استشهدنا بها فی بعض الأحیان هی منقولة عن الطبعات المشهورة و سنورد جدولها فی المقدّمة الکاملة، و نقلنا آیات القرآن عن طبعة (فلوغل flugel) الثانیة (لیبسیک ۱۹۰۶)، و الاصطلاحات و الاختصارات المستعملة فی الحواشی کما هو آت:

الأصل النسخة المرقومة ۳۳۴۶ فی خزانة السرای العتیق باستنبول، حط طبعة ابن حوقل الأولی فی الجزء الثانی من نشریّات جغرافیّی العرب، حل نسخة ابن حوقل التی فی خزانة الجامعة (لیدن)، حو نسخة ابن حوقل التی فی خزانة (البدلیانة bodleiana)

(اوکسفورد)، حب النسخة الباریسیّة المحتویة علی النصّ الثالث المختصر من ابن حوقل، صط طبعة الاصطخریّ فی الجزء الأوّل من خزانة جغرافیّی العرب، قطعة قسم من الأقسام التی انقسم الیها کلّ باب، فقرة قسم من المتن هو أقصر من قطعة،

صورة الأرض، المقدمة، ص: ۵

فهرس القسم الأوّل

المقدّمة ص. ۲ صورة الأرض ۵ دیار العرب ۱۸ بحر فارس ۴۲ المغرب ۶۰ الاندلس ۱۰۸ صقلّیه ۱۱۸ مصر ۱۳۲ الشأم ۱۶۵ بحر الروم ۱۹۰ الجزیرة ۲۰۷ العراق ۲۳۱

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱

لابن حوقل النصیبیّ کتاب صورة الأرض

وصفة أشکالها و مقدارها فی الطول و العرض و أقالیم البلدان و محلّ الغامر منها و العمران من جمیع بلاد الإسلام بتفصیل مدنها و تقسیم ما تفرّد بالأعمال المجموعة الیها،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲

[المقدمة]

بسم الله الرّحمن الرّحیم (۱) الحمد للّه المحمود بنعمه المشکور علی آلائه و قسمه و صلّی اللّه علی خیر خلقه محمّد و أبرار عترته و سلّم، (۲) أمّا بعد فإنّ أحقّ من رقی الی المکارم فحلّ منها فی الذروة و سما الی الرغائب فلذّ منها بالصفوة من قدّمته خلائقه و فضّلته سوابقه و أصبح و مناویه مخصوم و ثانیه معدوم و المستسلم الیه آمن و المتمسّک بحبله ساکن و اللاجئ الیه موفّق و المثنی علیه مصدّق فهو للعلم و أهله حلیف و بالأدب و المعتزی الیه خصیص شریف قد رسخت فیهما أعراقه و وشجت و انتسجت بهما همّه و أخلاقه ذاک أبو السریّ الحسن بن الفضل بن أبی السریّ الاصبهانیّ سلیل السراة و شهاب الکفاة و غیث العفاة زمام الفضائل و قطب الخصائل و الأحقّ بقول القائل

کم عارف بی لست أعرفهو مخبّر عنّی و لم یرنی

یأتیهم خبری و إن نزحت‌داری و بوعد عنهم وطنی

و الی الله أرغب فی إطالة مدّته و رفع درجته و سموّ منزلته إنّه مجیب قریب، (۳) و قد عملت له کتابی هذا بصفة أشکال الأرض و مقدارها فی الطول و العرض و أقالیم البلدان و محلّ الغامر منها و العمران من جمیع بلاد الإسلام بتفصیل مدنها و تقسیم ما تفرّد بالأعمال المجموعة الیها، و لم أقصد الأقالیم السبعة التی علیها قسمة الأرض لأنّ الصورة الهندیّة التی بالقواذیان و إن کانت صحیحة فکثیرة التخلیط و قد جعلت لکلّ قطعة أفردتها تصویرا

صورة الأرض، ج۱، ص: ۳

و شکلا یحکی موضع ذلک الإقلیم ثمّ ذکرت ما یحیط به من الأماکن و البقاع و ما فی أضعافها من المدن و الأصقاع و ما لها من القوانین و الارتفاع و ما فیها من الأنهار و البحار و ما یحتاج الی معرفته من جوامع ما یشتمل علیه ذلک الإقلیم من وجوه الأموال و الجبایات و الأعشار و الخراجات و المسافات فی الطرقات و ما فیه من المجالب و التجارات إذ ذلک علم یتفرّد به الملوک الساسة و أهل المروات و السادة من جمیع الطبقات، (۴) [و کان ممّا حضّنی علی تألیفه و حثّنی علی تصنیفه و جذبنی الی رسمه أنّی لم أزل فی حال الصبوة شغفا بقراءة کتب المسالک متطلّعا الی کیفیّة البین بین الممالک فی السیر و الحقائق و تباینهم فی المذاهب و الطرائق

و كمّيّة وقوع ذلك فى الهمم و الرسوم و المعارف و العلوم و الخصوص و العموم و ترعرعت فقرأت الكتب الجليلة المعروفة و التواليف الشريفة الموصوفة فلم أقرأ فى المسالك كتابا مقنعا و ما رأيت فيها رسما متبعا فدعانى ذلك الى تأليف هذا الكتاب و استنطاقى فيه وجوها من القول و الخطاب و أعاننى عليه تواصل السفر و انزعاجى عن وطنى مع ما سبق به القدر لاستيفاء الرزق و الأثر و الشهوة لبلوغ الوطر بجور السلطان و كلب الزمان و تواصل الشدائد على أهل المشرق و العدوان و استئناس سلاطينه بالجور بعد العدل و الطغيان و كثرة الجوائح و النوائب و تعاقب الكلف و المصائب و اختلال النعم و قحط الديم،] (۵) [فبدأت سفرى هذا من مدينة السلام يوم الخميس لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى و ثلثين و ثلثمائة و فيه خرج أبو محمّد الحسن بن عبد اللّه بن حمدان منهزما عنها الى ديار ربيعة من أيدى الأتراك و قد

صورة الأرض، ج۱، ص: ۴

عملوا على القبض عليه بعد أن استتبّت له الأمور بها و اتّسعت به الأحوال فيها و شرفت به الأعمال و تناهى فى الصولة و لقّب بناصر الدولة و أنا من حداثة السنّ و غرّته و فى عنفوان الشباب و سكرته قوىّ البضاعة ظاهر الاستطاعة،] (۶) و قد ذكرت فى آخر كتابى هذا كيف تعاورتنى الأسفار و اقتطعتنى فى البرّ دون ركوب البحار الى أن سلكت وجه الأرض بأجمعه فى طولها و قطعت وتر الشمس على ظهرها، و وصفت رجالات أهل البلدان و أعيان ملوكها من ذوى السلطان و أهل الإمكان و المقدّمين فى كلّ ناحية و بلد بالإحسان الى ذكر النادرة بعد النادرة من محاسنهم و الفضيلة بعد الفضيلة من مكارسهم، (۷) و لم أستقص ذلك كراهية الإطالة المؤدّية الى ملال قارئه و لأنّ الغرض فى كتابى هذا تصوير هذه الأقاليم التى لم يذكرها أحد علمته ممّن شاهدها، فأمّا ذكر مدنها و جبالها و أنهارها و بحارها و المسافات فيها و بعض ما أنا ذاكره فقد يوجد فى الأخبار متفرّقا و لا يتعذّر على من أراد تقصّى شىء من ذلك من سافرة أهل كلّ بلد و إن كانت المتعصّبة للبلدان و القبائل جارية على خلاف ما توخّيته [۲ ظ] و شرعت فيه و رسمته من قصدها لحقائقها و إيرادها على ما هى عليه من طرائقها،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۵

[صورة الأرض]

(۱) و قد حرّرت ذكر المسافات و استوفيت صور المدن و سائر ما وجب ذكره و اتّخذت لجميع الأرض التى يشتمل عليها البحر المحيط الذى لا يسلك صورة تضاهى صورة القواذيان من جهة و تخالفها فى مواضع، و أعربت عن مكان كلّ إقليم ممّا ذكرته و اتّصال بعضه ببعض و مقداره كلّ ناحية فى سعتها و صورتها من مقدار الطول و العرض و الاستدارة و التربيع و التثليث و سائر ما يكون عليه أشكال تلك الصورة و العمل و موقع كلّ مدينة من مدينة تجاورها و موضعها من شمالها و جنوبها و كونها بالمرتبة من شرقها و غربها ليكتفى الناظر ببيان موقع كلّ إقليم و موضعه و مكانه و ما توخّيته من ترتيبه و أشكاله و قصصته من أحواله و أخباره، و قد يقع له فيما كان يعتقده شكّ فى طول الأرض و كبرها و حالها فى تقارب عرضها و طولها و صغرها و لا يقارب هذا التأليف عنده كتاب الجيهانىّ و لا يوافق رسم ابن خرّداذبه و سبيل قارئه أرشده اللّه أن ينعم النظر فيما شكّ منه و يتأمّله تأمّل من حمل عنه بتحرّى الصدق فيه كثير من غثاثة الناقلين و كذب المسافرين الذين لا يعلمون و لا قصدهم الحقّ فيما يبغون، و ليعلم أنّ الأسباب المحرّضة على تأليفه المقتضية لعمله اللذّة بالإصابة فى المقصد و المحبّة للظفر بإبانة كلّ بلد و الذكر الجميل من أهل التحصيل فى كلّ مشهد، (۲) و قد فصّلت بلاد الإسلام إقليما إقليما و صقعا صقعا و كورة كورة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۶

لكلّ عمل و بدأت بذكر ديار العرب فجعلتها إقليما واحدا لأنّ الكعبة فيها و مكّة أمّ القرى و هى واسطة هذه الأقاليم عندى، و أتبعت ديار العرب بعد أن رسمت فيها جميع ما تشتمل عليه من الجبال و الرمال و الطرق و ما يجاورها من الأنهار المنصبّة الى بحر فارس

ببحر فارس لأنّه يحتفّ بأكثر ديارها و شكّلت عطفه عليها و لأنّ بحر فارس يعطف من جزيرة مسقط مغرّبا الى مكّة و الى القلزم عن خمسين فرسخا من عمان و يدعى ذلك الموضع رأس الجمجمة، ثمّ ذكرت المغرب و رسمته فى وجهين و بدأت بشكل ما حاز منه أرض مصر الى المهديّة و القيروان و ما فى براريّها من المدن و إن قلّت و أعقبتها بباقى صورته من القيروان و المهديّة الى أرض طنجة و ازيلى و رسمت على بحره مدنه الساحليّة و شكّلت طرقه الى جميع أنحائها و كيفيّتها مغرّبة و مشرّقة فى سائر جهاتها، ثمّ ذكرت مصر فى شكلين حسب ما جرى رسم المغرب به و لطول العمل أعربت فيهما عن حال مدنها و مواقعها على المياه الجارية فى أرضها و ما كان برسمها فى البعد عن المياه و خططّ جبالها و مياهها بخلجانها و شعبها و اتّصال بعضها ببعض و انفصالها الى البحر على حيالها و ما يصبّ من ماء الفيّوم الى بحيرة أقنى و تنهمت، ثمّ صوّرت الشأم و أجناده و جباله و مياهه من أنهاره و بحره و ما على ساحله من المدن و بحيرة طبريّة و بحيرة زغر و تيه بنى إسرائيل و موقعه من ظاهر الشأم، ثمّ بحر الروم و كيفيّته فى ذاته و شكله فى نفسه و ما عليه من الجانب الشرقىّ [۲ ب] للروم من المدن و الأعمال المحاذية لبلد المغرب و ذكرت ما بقلوريه للروم من المدن و الانكبرذه و الزنقة المعروفة ببلبونس و الخليج الخارج من بحر الروم الى المجاز المحيط على القسطنطينيّة و مياه بلد الروم و أكابر أنهاره و مدنه و كنت استوفيت صورة الاندلس فى أشكال المغرب فلم أعد شيئا منها و قد رسمت فى هذا البحر

صورة الأرض، ج۱، ص: ۷

الجزائر المشهورة المسكونة و ما دعت الحاجة الى ذكره إذ كان مسكونا مشهورا، ثمّ ذكرت الجزيرة المشهورة المعروفة بديار ربيعة و مضر و بكر و كيفية دجلة و الفرات عليها و اشتمالهما على حدودها الى ذكر جبالها و سائر طرقها و أحوالها، و أعقبتها بصورة العراق و مياهها و بطائحها و انصباب مياهها الى البحر و ما يفرّع و يفرغ اليها من أنهارها، و ذكرت خوزستان على حدودها و أنهارها و ما اقتضته صورتها و حالها، و قفّيتها بصورة فارس على تصوير جميع أنهارها و بحيراتها و مواقع مدنها و صورة بحرها الى ما عليه من المدن الساحليّة، و أتبعتها بصورة كرمان برّها و بحرها و سهلها و جبلها و سائر طرقها و سبلها، ثمّ صوّرت بلاد السند و مدنها و طرقها و سبلها و بحرها و ما عليه من مدنها و أثبتّ فيها نهر مهران و كيفيّة مصنّه عن الملّتان و ما يصاقبه من بلاد الهند و الإسلام، ثمّ تلوتها بصورة اذربيجان و شكّلت ما فيها من الجبال و الطرق و الأنهار العذبة كالرسّ و الكر الى أن رسمت بحيرة خلاط و بحيرة كبوذان و كلتاهما غير متّصلتين بشىء من البحار و أثبتّ فيها جبل القبق، ثمّ صوّرت الجبال و أعمالها و مواقع بلدانها على ما هى به و ما انحذق منها بدخول بعض مفازة خراسان و فارس على حدودها، و ذكرت اليها صورة الجيل و الديلم و طبرستان و ما يليها من بحر الخزر و بعض سبله إذ لم أحط علما بكلّيّته، و أتبعتها بصورة بحيرة طبرستان و جزيرتيها و مصبّ ما اليها من المياه و ما يصاقبها من الجبال و كمّيّة ما للإسلام منها و حدود ما لغيره من أقطارها، و شكّلت المفازة التى بين فارس و خراسان و جميع ما فيها من الطرق الى النواحى المجاورة لها و المضافة الى حدودها و ما يليها من أعمال سجستان على ما يجاورها من بلاد الغور و جبالها و مصبّ مياهها الى بحيرة زره ، و صوّرت خراسان و ما فى ضمنها من طخيرستان و جبال الباميان و طوس و قوهستان بجميع مياهها الجارية و جبالها المشهورة و رمالها و طرقها المعروفة، ثمّ صوّرت نهر جيحون و ما وراءه من

صورة الأرض، ج۱، ص: ۸

أعمال بخارا و سمرقند و اشروسنه و اسبيجاب و الشاش و خوارزم الى جميع ما يشتمل عليه من المياه و يحيط به من الطرق و المسالك، (۳) [۳ ظ] ما فى بطن هذه الورقة صورة جميع الأرض، [۳ ب و ۴ ظ] إيضاح ما يوجد فى صورة الأرض من الأسماء و النصوص، قد كتب عند طرف الصورة الفوقانىّ الجنوب و تحت ذلك يمنة و يسرة صورة جميع الأرض و مع الطرف الأسفل الشمال، ثمّ مع الطرف الأيمن المغرب و مع الطرف الأيسر المشرق، قد قسمت الأرض قسمين و هما برّ جنوبىّ و برّ شمالىّ، و رسم فى البرّ الجنوبىّ نهر النيل و كتب على قسمه الجنوبىّ بلد التوبه دنقله و علوه ثمّ على قسمه الشمالىّ الصعيد الأعلى ثمّ نواحى مصر، و على ساحل هذا البرّ عن يمين فوهة النيل بلد المغرب و فوق ذلك فى داخل البرّ أوّلا نواحى برقه و اعمالها، ثمّ متصاعدا الى اليمين نواحى

سرت واجدابیه، نواحی طرابلس و اعمالها، نواحی افریقیه و اعمالها، ثمّ فی زاویهٔ البرّ علی ساحل البحر المحیط بالأرض بلد طنجه و اعمالها، و بعد ذلک تابعا للساحل اودغست للمسلمین، غانه للکفار، کوغه للکفار، سامه للکفار، غریوا للکفار، کزم للکفار، و وراء هذه الأسماء الممالک التی علی البحر المحیط، ثمّ علی الساحل برای الجنوب ثمّ فی زاویهٔ البرّ حیث یبتدئ بحر فارس اصل بحر فارس و علی ساحل هذا البحر بلد الزنج، مفازه بین الزنج و الحبشه، بلد الحبشه، و بین ذلک و النیل مفازهٔ البجه و براریها، و فی الجانب المقابل من النیل الواحات و أعمالها، و یقرأ وراء ذلک فی البرّ بلد ولد جالوت، ثمّ نواحی سجلماسه و السوس الأقصی و اغمات، و انفصلت عن البرّ الشمالیّ قطعهٔ فی یمین الصورهٔ بخلیج یقرأ عنده خلیج قسطنطینیه، و یقرأ فی هذه القطعهٔ بلد الروم مع أنّ أوّل کلمهٔ بلد فی القطعهٔ الأخری من البرّ، و علی ساحل القطعهٔ الصغری فی وسط الخلیج القسطنطینیه و یلیها علی الساحل نواحی مجذونیه، ثمّ کسمیلی، بلبونس، بذرنت، جون البنادقین، اذرنت، قلوریه، نواحی الانکبرذه، نواحی افرنجه و جلیقیه و فی الزاویهٔ بلد الاندلس، و فی الطرف التحتانیّ من البحر المحیط برایّ الشمال،

صورهٔ الأرض، ج۱، ص: ۹

و کلمهٔ الشمال هذه کتبت عن یسرهٔ الخلیج فی القطعهٔ الأخری من البرّ الشمالیّ، و یقرأ فی هذه القطعهٔ وراء کلمهٔ الشمال نواحی یاجوج و ماجوج ثمّ متصاعدا الی الفوق الصقالبه و هو قسما فی القطعهٔ الصغری من البرّ ثمّ وراء ذلک فی جههٔ الشرق البلغار و الروس، ثمّ علی الخلیج نواحی اطرابزنده، و من فوق النهر المجانب للبلغار و الروس بشجرت، البرطاس، الخزر، البجناکیه، البلغار مرّهٔ ثانیهٔ ثمّ بلد السریر ، و من فوق ذلک بلد ارمینیه الداخله و الخارجه و یسرهٔ اذربیجان و الران، و عن یمین ارمینیه نهر دجله ثمّ الفرات و بینهما الجزیرهٔ و بین الفرات و البحر یقرأ الشام، ثمّ عند مصبّ النهرین العراق و من فوق ذلک دیار العرب، ثمّ یقرأ عن یسار العراق علی البحر خوزستان ثمّ فارس، کرمان، السند و وراء ذلک الجبال، مفازه فارس، سجستان و وراء ذلک الدیلم، طبرستان، خوارزم، الغزیه، خراسان، و محانبا لخراسان نهر جیحون و وراءه ما وراء النهر و یقرأ بعد ذلک من بلد الصین، ثمّ من فوق ذلک الهند و فیه نهر مهران، ثمّ وراء ذلک الخرلخیّه، التبت و وراء ذلک علی البحر المحیط خرخیز، التغزغز، بلد الصین، (۴) [۴ ب] فهذه جمیع الارض عامرها و غامرها و هی مقسومهٔ علی الممالک و عماد ممالک الأرض أربع فأعمرها و أکثرها خیرا و أحسنها استقامهٔ فی السیاسهٔ و تقویم العمارات و وفور الجبایات مملکهٔ ایران شهر و قطبها إقلیم بابل و هی مملکهٔ فارس، و کان حدّ هذه المملکهٔ فی أیّام العجم معلوما فلمّا جاء الإسلام أخذت من کلّ مملکهٔ بنصیب فأخذت من مملکهٔ الروم الشأم و مصر و المغرب و الاندلس و أخذت من مملکهٔ الصین ما وراء النهر و انضمّت الیها هذه الممالک العظیمهٔ، و مملکهٔ الروم یدخل فیها حدود الصقالبهٔ و من جاورهم من الروس و السریر و اللان و الأرمن و من دان بالنصرانیّهٔ، و مملکهٔ الصین یدخل فیها سائر بلدان الأتراک و بعض التبّت و من دان بدین أهل الأوثان منهم، و مملکهٔ الهند یدخل فیها السند و قشمیر و طرف من التبّت و من دان بدینهم، و لم أذکر بلدان السودان فی المغرب

صورهٔ الأرض، ج۱، ص: ۱۰

و البجهٔ و الزنج و من فی أعراضهم من الأمم لأنّ انتظام الممالک بالدیانات و الآداب و الحکم و تقویم العمارات بالسیاسهٔ المستقیمهٔ و هؤلاء مهملون فی هذه الخصال و لا حظّ لهم فی شیء من ذلک فیستحقّوا به إفراد ممالکهم بما ذکرت به سائر الممالک، غیر أنّ بعض السودان المقاربین هذه الممالک المعروفهٔ یرجعون الی دیانهٔ و ریاضهٔ و حکم و یقاربون أهل هذه الممالک کالنوبهٔ و الحبشهٔ فإنّهم نصاری یرتسمون مذاهب الروم و قد کانوا قبل الإسلام یتّصلون بمملکهٔ الروم علی المجاورهٔ لأنّ أرض النوبهٔ مصاقبهٔ أرض مصر و الحبشهٔ علی بحر القلزم و بینهما و بین أرض مصر مفاوز معمورهٔ فیها معادن الذهب و یتّصلون بمصر و الشأم من طریق بحر القلزم، فهذه الممالک المعروفهٔ و لمّا زادت مملکهٔ الإسلام بما اجتمع الیها من طرائف هذه الممالک المذکورهٔ شرفت و عظمت، (۵) و قسمهٔ الأرض علی الجنوب و الشمال فإذا أخذت من المشرق من الخلیج الذی یأخذ من البحر المحیط بأرض الصین الی الخلیج الذی یأخذ من هذا البحر المحیط من أرض المغرب بین أرض الاندلس و طنجهٔ فقد قسمت الأرض قسمین و خطّ هذه القسمهٔ یأخذ

من بحر الصين حتّى يقطع بلد الهند و وسط مملكة الإسلام حتّى يمتدّ على أرض مصر الى المغرب، فما كان فى حدّ الشمال من هذين القسمين فأهله بيض و كلّما تباعدوا فى الشمال ازدادوا بياضا و هى أقاليم باردة، و ما كان ممّا يلى الجنوب من هذين القسمين فأهله سود و كلّما ازدادوا تباعدا فى الجنوب ازدادوا سوادا و أعدل هذه الممالك فى الخطّ المستقيم و ما قاربه، (۶) و سأذكر كلّ إقليم من ذلك بما يعرف قربه و مكانه من الإقليم الذى يضامّه و يصاقبه إن شاء الله، فأمّا مملكة الإسلام فإنّ شرقيّها أرض الهند و بحر فارس و غربيّها مملكة السودان السكّان على البحر المحيط المتّصلين ببرارىّ اودغست و صحاريها تجاه اوليل و شماليّها بلاد الروم و ما يتّصل

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۱

بها من الأرمن و اللّان و الران و السرير و الخزر و الروس و البلغار و الصقالبة و طائفة من الترك و من شمالها بعض مملكة الصين و ما اتّصل بها من بلاد الأتراك و جنوبيّها بحر فارس، و أمّا مملكة الروم فإنّ شرقيّها بلاد الإسلام و غربيّها و جنوبيّها البحر المحيط و شماليّها حدود عمل الصين لأنّى ضممت ما بين الأتراك و بلد الروم من الصقالبة و سائر الأمم التى تلى الروم [۵ ظ] الى بلد الروم، و أمّا مملكة الصين فإنّ شماليّها و شرقيّها البحر المحيط و جنوبيّها مملكة الإسلام و الهند و غربيّها أيضا البحر المحيط لأنّ ياجوج و ماجوج و من اليهم الى البحر المحيط من هذه المملكة، و أمّا أرض الهند فإنّ شرقيّها بحر فارس و غربيّها و جنوبيّها بلاد خراسان و شماليّها مملكة الصين، فهذه حدود هذه الممالك التى ذكرتها، (۷) و أمّا البحار فأشهرها اثنان و أعظمها بحر فارس ثمّ بحر الروم و هما خليجان متقابلان يأخذان من البحر المحيط و أفسحهما طولا و عرضا بحر فارس، و الذى يقترى بحر فارس من الأرض فمن حدّ الصين الى القلزم فإذا قطعت من القلزم الى الصين على خطّ مستقيم كان مقداره نحو مائتى مرحلة، و كذلك إذا شئت أن تقطع من القلزم الى أقصى حجر بالمغرب على خطّ مستقيم ألفيته مائة و ثمانين مرحلة، و إذا قطعت من القلزم الى أرض العراق فى البرّيّة على خطّ مستقيم و شققت أرض السماوة ألفيته نحو شهر و من العراق الى نهر بلخ نحو شهرين و من نهر بلخ الى آخر بلاد الإسلام فى حدّ فرغانة نيّف و عشرون مرحلة و من هناك الى أن تقطع أرض الخرلخيّة كلّها و تدخل فى عمل التغزغز نيّف و ثلثون مرحلة و من هذا المكان الى البحر المحيط من آخر عمل الصين نحو شهرين، و أمّا من أراد قطع هذه المسافة من القلزم الى الصين فى البحر طالت المسافة عليه لكثرة المعاطف و التواء الطرق فى هذه البحور، و أمّا بحر الروم فإنّه يأخذ من البحر المحيط فى الخليج الذى بين المغرب و الاندلس حتّى ينتهى الى الثغور التى كانت تعرف بالشأميّة و مقداره فى المسافة نحو أربعة أشهر و هو أحسن استقامة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۲

و استواء من بحر فارس و ذلك أنّك إذا أخذت من فم هذا الخليج أدّتك ريح واحدة الى أكثر هذا البحر، و بين القلزم الذى هو لسان بحر فارس و بين بحر الروم على سمت الفرما ثلث مراحل و يزعم بعض المفسّرين فى قول اللّه تعالى بينهما برزخ لا يبغيان أنّه هذا الموضع و يزعم أهل التأويل غير ذلك غير أنّ بحر الروم يجاوز الفرما بنيّف و عشرين مرحلة و هو مفصّل فى مسافات المغرب بما يغنى عن إعادته، و من مصر الى أقصى المغرب نحو مائة و ثمنين مرحلة فكأنّ ما بين أقصى الأرض من المغرب الى أقصاها من المشرق نحو أربع مائة مرحلة، (۸) و أمّا عرضها من أقصاها فى حدّ الشمال الى أقصاها فى حدّ الجنوب فإنّك تأخذ من ساحل البحر المحيط حتّى تنتهى الى أرض ياجوج و ماجوج ثمّ تمرّ على ظهر أرض الصقالبة فتقطع أرض البلغار الداخلة و الصقالبة و تمضى فى بلد الروم الى الشأم و أرض مصر و النوبة ثمّ تمتدّ فى برّيّة بين بلاد السودان و بلاد الزنج حتّى تنتهى الى البحر المحيط فهذا خطّ ما بين جنوبىّ الأرض و شماليّها، و أمّا الذى أعلمه من مسافة هذا الخطّ فإنّ من ياجوج الى بلغار و أرض الصقالبة فنحو أربعين مرحلة و من أرض الصقالبة فى بلد الروم الى الشأم نحو ستّين مرحلة و من أرض الشأم الى أرض مصر نحو ثلثين مرحلة و منها الى أقصى النوبة نحو ثمنين مرحلة حتّى تنتهى الى البرّيّة التى لا تسلك فذلك مائتا مرحلة و عشر مراحل كلّها عامرة مسكونة، و أمّا ما بين ياجوج و ماجوج و البحر المحيط فى الشمال و ما بين برارىّ السودان و البحر المحيط [فى الجنوب] فقفر خراب ما بلغنى أنّ فيه عمارة و لا

حيوانا و لا- نباتا و لا- يعلم مسافة هاتين البرّيّتين الى شطّ البحر كم هى و ذلك أنّ سلوكهما غير ممكن لفرط البرد الذى يمنع من العمارة [۵ ب] و الحياة فى الشمال و فرط الحرّ المانع من العمارة و الحياة فى الجنوب، و جميع ما بين المغرب و الصين فمعمور كلّه و البحر المحيط محتفّ بالأرض كالطوق و مأخذ بحر فارس و بحر الروم من البحر المحيط،

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۳

(۹) فأمّا بحر الخزر فليست له مادّة من شىء من ذين البحرين بوجه و لا سبب و قد حكيت عن هذا البحر حكايات كثيرة عن كبار المؤلّفين و لقد قرأت فى غير نسخة لجغرافيّا أنّه يستمدّ من بحر الروم عن بطلميوس و أعوذ بالله أن يكون مثل بطلميوس يذكر المحال أو يصف شيئا بخلاف ما هو به، و هذا البحر فى قرار من الأرض مادّته الماء العذب و الذى يفرع اليه و يفرّغ فيه فنهر آتل و هو أكبر موادّه و هو نهر الروس و نهر الكر و الرس و مياه الجيل و الديلم و طبرستان و نواحى الغزّيّة و جميعها مياه عذبة و إنّما تربتها فاسدة حمّائيّة فالماء يأجن و يأسن فيها لذلك، و هو بحر لو أخذ السائر على ساحله من الخزر على أرض اذربيجان الى الديلم و طبرستان و جرجان و المفازة على جبل سياه كويه لرجع الى مكانه الذى سار منه بغير أن يمنعه مانع من ماء مالح سوى الأنهار العذبة التى ذكرتها، فأمّا بحيرة خوارزم فكذلك أيضا لا تتّصل ببحر غيرها، و فى أراضى الزبح و بلدانهم خلجان و كذلك فى أعراض بلد الروم خلجان و بحار لا تذكر لقصورها عن هذه البحار و كثرتها، و قد أخذ من البحر المحيط خليج يمرّ على ظهر بلد الصقالبة و يقطع أرض الروم على القسطنطينيّة حتّى يفرع فى بحر الروم ، (۱۰) و أرض الروم حدّها من هذا البحر المحيط على بلد الجلالقة و افرنجه و روميه و اثيناس الى القسطنطينيّة ثمّ الى أرض الصقالبة و يشبه أن يكون نحو مائة و سبعين مرحلة و ذلك أنّ من حدّ الثغور فى الشمال الى أرض الصقالبة نحو شهرين و قد ثبت أنّ من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال مائتى مرحلة و عشر مراحل، و الروم المحض من حدّ رومية الى حدّ الصقالبة

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۴

و ما ضممته الى بلد الروم من الافرنجه و الجلالقة و غيرهم فإنّ لسانهم مختلف غير أنّ الدين و المملكة واحد كما أنّ لمملكة الإسلام ألسنة و البلد واحد، (۱۱) و مملكة الصين على ما يزعم [أبو إسحاق الفارسىّ و] أبو إسحاق إبراهيم بن البتكين حاجب صاحب خراسان أربعة أشهر فى ثلثة أشهر، فإذا أخذت من فم الخليج حتّى تنتهى الى دار الإسلام بما وراء النهر فهو نحو ثلثة أشهر و إذا أخذت من حدّ المشرق حتّى تقطع الى حدّ المغرب فى أرض التبّت و تمتدّ فى أرض التغزغز و خرخيز و على ظهر كيماك الى البحر فهو نحو أربعة أشهر، و لمملكة الصين ألسنة مختلفة و جميع الأتراك من التغزغز و خرخيز و كيماك و الغزّيّة و الخرلخيّة فألسنتهم واحدة و بعضهم يفهم عن بعض، و لأرض الصين و التبّت لسان مخالف لهذه الألسنة كألسنة صنهاجة اودغست و أهل سرت و أهل قسطيليه و غيرهم من البربر فإنّ لهم ألسنة خاصّيّة و لسان البربر يجمعهم و يفهم بعضهم عن بعض به، و مملكة الصين كلّها منسوبة الى صاحب الصين المقيم بخمدان كما مملكة الروم منسوبة الى الملك المقيم بالقسطنطينيّة و مملكة الهند منسوبة الى الملك المقيم بقنّوج كنسبة مملكة الإسلام الى الملك المقيم ببغداد، (۱۲) و فى ديار الأتراك ملوك متميّزون بممالكهم فأمّا الغزّيّة فإنّ حدود ديارهم ما بين الخزر و كيماك و أرض الخرلخيّة و بلغار و حدود دار الإسلام ما بين [۶ ظ] جرجان الى باراب و اسبيجاب، و ديار الكيماكيّة و هم من وراء الخرلخيّة فى ناحية الشمال فيما بين الغزّيّة و خرخيز و ظهر الصقالبة، فأمّا ياجوج فهم فى ناحية الشمال إذا قطعت ما بين الصقالبة و الكيماكيّة و الله أعلم بمقاديرهم و بلادهم جبال شاهقة لا يتوقّلها الدوابّ و لا يرتقيها

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۵

إلّا الرّجالة و لم ألق بهم أخبر من إبراهيم بن البتكين حاجب صاحب خراسان فأخبرنى أنّ تجاراتهم إنّما تصل اليهم على ظهور الرجال و أصلاب المعز و أنّ تجّارهم من نواحى خوارزم ربّما أقاموا فى صعود جبل و نزوله الأسبوع و العشرة الأيّام، و أمّا خرخيز فإنّهم ما بين التغزغز و كيماك و البحر المحيط و أرض الخرلخيّة و الغزّيّة، و أمّا التغزغز فقبيل عظيم لهم دار واسعة ما بين التبّت و أرض

الخرلخيّة و خرخيز و مملكة الصين، و الصين ما بين البحر المحيط و التغزغز و التبّت و الخليج الفارسيّ، و أرض الصقالبة عريضة طويلة نحو شهرين فى مثلها، و بلغار مدينة صغيرة ليس لها أعمال كثيرة و كانت مشهورة لأنّها كانت فرضة لهذه الممالك فاكتسحها الروس و أتوا على خزران و سمندر واتل فى سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة و ساروا من فورهم الى بلد الروم و الاندلس و افترقوا فرقتين، و الروس قوم همج سكّان بناحية بلغار فيما بينهم و بين الصقالبة على نهر اتل، و قد انقطعت طائفة من الترك عن بلادهم فصاروا بين الخزر و الروم يقال لهم البجناكيّة و ليس موضعهم بدار لهم على قديم الأيّام و إنّما انتابوها فغلبوا عليها و هم شوكة الروسيّة و أحلافهم و هم الخارجون قديما الى الاندلس ثمّ الى برذعه، و الخزر اسم لجنس من الناس و كان بلدهم صغيرا ذا جانبين يسمّى اتل أحد جانبيها باسم النهر و الجانب الآخر خزران و هذا النهر يجرى من بلد الروس و ليس لهذا المصر كثير رساتيق و لا سعة مملكة و هو بلد بين بحر الخزر و السرير و الروس و الغزّيّة، و التبّت بين أرض الصين و الهند و أرض الخرلخيّة و التغزغز و بحر فارس و بعضهم فى مملكة الهند و بعضهم فى مملكة الصين و لهم ملك قائم بنفسه يقال أنّ أصله من التابعة و الله أعلم، (۱۳) و أمّا جنوبىّ الأرض من بلاد السودان فإنّ بلدهم الذى فى أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتفّ ليس بينه و بين شئ من الممالك اتّصال غير أنّ حدّا له ينتهى الى البحر المحيط و حدّا له ينتهى الى برّيّة بينه و بين أرض المغرب و حدّا له ينتهى الى برّيّة بينه و بين أرض مصر

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۶

على ظهر الواحات و حدّا له ينتهى الى البرّيّة التى ذكرت أنّها لا تنبت و لا عمارة فيها لشدّة الحرّ، و طول أرضهم ألف فرسخ فى نحوها عرضا غير أنّها الى البحر لا الى ظهر الواحات أطول من عرضها، و أرض النوبة فلها حدّ الى أرض مصر من نواحى الصعيد و حدّ الى هذه البرّيّة التى [بين أرض السودان و مصر و حدّ لها الى أرض البجة و برارىّ بينها و بين القلزم و حدّ لها الى هذه البرّيّة التى] لا تسلك، و أرض البجة فديار صغيرة العرض طويلة تمرّ فى الجنوب بين نهر النيل و بحر القلزم و هم فيما بين الحبشة و النوبة من حدود قوص الى البرّيّة التى لا تسلك و عدد رجالهم و ذكر حالهم و ملوكهم و اعتقاداتهم و ما تقلّبت بهم الحال عليه فى الإسلام كثير طريف و لا أعرف لهم فى سيرة من السير ذكرا و سآتى من أخبارهم بجمل يستحسنها من اعترضها عند الحاجة اليه، [و أمّا الحبشة فإنّها على بحر القلزم و هو بحر فارس فينتهى حدّ لها الى بلاد الزنج و حدّ لها الى البرّيّة التى بين النوبة و بحر القلزم و حدّ لها الى البجة و البرّيّة التى لا تسلك،] و أرض الزنج أطول أراضى السودان و لا تتّصل بمملكة [۶ ب] [غير الحبشة]- و الحبشة ناحية و مملكة عريضة لهم فى وقتنا هذا ملكة لهم عليهم نحو ثلثين سنة و أخبارها من ظرائف الأخبار- و هى تجاه اليمن و فارس و كرمان الى أن تحاذى بعض أرض الهند، و أرض الهند تجاه بلاد الزنج من جانب بحر فارس الشرقىّ و طولها من عمل مكران فى أرض المنصورة و السند هند و هم البدهه و سائر بلدان السند الى أن تنتهى الى قنوج و يجوزها الى أرض التبّت نحو أربعة أشهر و عرضها من بحر فارس على أرض قنوج نحو ثلثة أشهر، (۱۴) و مملكة الإسلام فى حيننا هذا و وقتنا فإنّ طولها من حدّ فرغانه

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۷

حتّى يقطع خراسان و الجبال و العراق و ديار العرب الى سواحل اليمن فهو نحو خمسة أشهر و عرضها من بلد الروم حتّى يقطع الشأم و الجزيرة و العراق و فارس و كرمان الى أرض المنصورة على شطّ بحر فارس نحو أربعة أشهر، و إنّما تركت فى ذكر طول الإسلام حدّ المغرب الى الاندلس لأنّه كالكمّ فى الثوب و ليس فى شرقىّ المغرب و لا فى غربيّه إسلام لأنّك إذا جاوزت مصر فى أرض المغرب كان جنوبىّ المغرب بلاد السودان و شماله بحر الروم ثمّ أرض الروم، و لو صلح أن يجعل طول الإسلام من فرغانه الى أرض المغرب و الاندلس لكان مسيرة ثلثمائة مرحلة لأنّ من فرغانه الى وادى بلخ نيّفا و عشرين مرحلة و من وادى بلخ الى العراق نحو ستّين مرحلة و من العراق الى مصر نحو ثلثين مرحلة و قد ثبت فى مسافات المغرب أنّ من مصر الى أقاصى المغرب مائة و ثمانين مرحلة و من مصر الى أن تحاذى آخر أرض الاندلس بأعمال طنجة نصف هذه المسافة، و لمّا قصدت تفصيل بلاد الإسلام إقليما إقليما ليعرف موضع

كلّ إقليم من مكانه و ما يجاوره من سائر الأقاليم و لم تتّسع هذه الصورة التى جمعت سائر الأقاليم لما يستحقّه كلّ إقليم فى صورته من مقدار الطول و العرض و الاستدارة و التربيع و التثليث و ما يكون عليه أشكاله جعلت لكلّ إقليم مكانا يعرب عن حاله [و ما يجاوره من سائر الأقاليم ثمّ أفردت لكلّ إقليم منها صورة على حدة بيّنت فيها شكل ذلك الإقليم و ما يقع فى أضعافه من المدن و سائر ما يحتاج الى علمه] ممّا آتى على ذكره فى موضعه إن شاء الله،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۸

[ديار العرب]

اشارة

(۱) فابتدأت بديار العرب لأنّ القبلة بها و مكّة فيها و هى أمّ القرى و بلد العرب و أوطانهم التى لم يشركهم فى سكناها غيرهم، (۲) و الذى يحيط بها بحر فارس من عبّادان و هو مصبّ ماء دجلة فى البحر فيمتدّ على البحرين حتّى ينتهى الى عمان ثمّ يعطف على سواحل مهرة و حضر موت و عدن حتّى ينتهى على سواحل اليمن الى جدّة ثمّ يمتدّ على الجار و مدين حتّى ينتهى الى ايلة ثمّ قد انتهى حينئذ حدّ ديار العرب من هذا البحر و هذا المكان من البحر لسان و يعرف ببحر القلزم و القلزم مدينة على طرفه و سيفه فإذا استمرّ على تاران و جبيلان وصل الى القلزم و ينقطع حينئذ و هو شرقىّ ديار العرب و جنوبيّها و شىء [من غربيّها، ثمّ يمتدّ عليها] من ايلة على مدائن قوم لوط و البحيرة الميّتة التى تعرف ببحيرة زغر الى الشراة و البلقاء و هى من عمل فلسطين و اذرعات و حوران و البثنيّة و غوطة دمشق و نواحى بعلبكّ و هى من عمل دمشق و تدمر و سلمية و هما من عمل حمص ثمّ الى الخناصرة و بالس و هما من عمل قنّسرين، و قد انتهى الحدّ الى الفرات ثمّ يمتدّ الفرات على ديار [۷ ظ] العرب حتّى ينتهى الى الرقّة و قرقيسيا و الرحبة و الدالية و عانة و الحديثة و هيت و الأنبار الى الكوفة و مستفرغ مياه الفرات الى البطائح، ثمّ تمتدّ ديار العرب على نواحى الكوفة و الحيرة على الخورنق و على سواد الكوفة الى حدّ واسط فتصاقب ما جاور دجلة و قاربها عند واسط مقدار مرحلة ثمّ تستمدّ و تستمرّ على سواد البصرة و بطائحها حتّى ينتهى الى عبّادان،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۹

(۳) و هذا الذى يحيط بديار العرب فما كان من عبّادان الى ايلة فإنّه بحر فارس و يشتمل على نحو ثلثة أرباع ديار العرب و هو الحدّ الشرقىّ و الجنوبىّ و بعض الغربىّ و ما بقى من حدّ الغربىّ من ايلة الى بالس فمن الشأم و ما كان من بالس الى عبّادان فهو الحدّ الشمالىّ و من بالس الى أن تجاوز الانبار فمن حدّ الجزيرة و من الانبار الى عبّادان فمن حدّ العراق، و يتّصل بأرض العرب بناحية ايلة برّيّة تعرف بتيه بنى إسرائيل و هى برّيّة و إن كانت متّصلة بديار العرب فليست من ديارهم و إنّما كانت برّيّة بين أرض العمالقة و اليونانيّة و أرض القبط، و ليس للعرب بها ماء و لا مرعى فلذلك لا تدخل فى ديارهم، (۴) و قد سكن طوائف من العرب من ربيعة و مضر الجريرة حتّى صارت لهم بها ديار و مراع و لم أر أحدا عزا الجزيرة الى ديار العرب لأنّ نزولهم بها و هى ديار لفارس و الروم فى أضعاف قرى معمورة و مدن لها أعمال عريضة فنزلوا على خفارة فارس و الروم حتّى أنّ بعضهم تنصّر و دان بدين النصرانيّة مع الروم مثل تغلب من ربيعة بأرض الجزيرة و غسّان و بهراء و تنوخ من اليمن بأرض الشأم، (۵) و ديار العرب هى الحجاز التى تشتمل على مكّة و المدينة و اليمامة و مخاليفها و نجد الحجاز متّصل بأرض البحرين و بادية العراق و بادية الجزيرة و بادية الشأم و اليمن المشتملة على تهامة و نجد اليمن و عمان و مهرة و بلاد صنعاء و عدن و سائر مخاليف اليمن، فما كان من حدّ السّرين حتّى ينتهى على ناحية يلملم ثمّ على ظهر الطائف ممتدّا على نجد اليمن الى بحر فارس مشرقا فمن اليمن و يكون ذلك نحو الثلثين من ديار العرب، و ما كان من حدّ السّرين على بحر فارس الى قرب مدين راجعا فى المشرق على الحجر الى جبلى طىء ممتدّا على ظهر اليمامة الى بحر

فارس فمن الحجاز، و ما كان من اليمامة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۱

الى قرب المدينة راجعا على باديـة البصـرة حتّى يمتـدّ على البحرين [الى البحر] فمن نجد، و ما كان من حدّ عبّادان الى الانبار مواجها لنجـد و الحجاز على ديار أسـد و طيّء و تميم و سائر قبائل مضـر فمن باديـة العراق، و ما كان من حـدّ الانبار الى بالس مواجها لبادية الشأم على أرض تيماء و برّيّة خساف الى قرب وادى القرى و الحجر فمن باديـة الجزيرة، و ما كان من بالس الى أيلـة مواجها للحجاز على بحر فارس الى ناحية مدين معارضا لأرض تبوك حتّى يتّصل بديار طيّء فمن بادية الشأم، على أنّ من العلماء بتقسـيم هذه الديار من زعم أنّ المدينة من نجد لقربها منها و أنّ مكّة من تهامة اليمن لقربها منها، (۶)

و ما فى بطن هذه الصفحة فهو صورة ديار العرب، [۷ ب]

إيضاح ما يوجـد من الأسـماء و النصوص فى صورة ديار العرب، قد كتب فى زاويتى الصـفحة العلياين المغرب و الشـمال، و رسم فى هذا القسم نهر النيل و تحت ذلك الرسم النصّ الآتى نواحى مصـر و اعمالها و الصـعيد الاعلى و مساكن البجه و اعمال دنقله و علوه و هما مـدينتان و على النهر من المدن الفسـطاط و الجيزة و بينهما الجزيره ثمّ اسوان، و بين النيل و بين ساحل البحر العلاقى، و يقرأ على ساحل البحر فى أسـفل أيسره بلـد الزنـج و نواحيه، مفازة بين الزنـج و الحبشـة، بلـد الحبشـة ثمّ بربره ثمّ قرب منتهى الساحل الفوقانىّ عيذاب ثمّ جزائر بنى حدان، ثمّ عند منتهى البحر القلزم، و فى البحر من الجزائر سـنجله ، سواكن، باضع، زيلع، و على ساحل البحر من الجـانب المقابـل يلى القلزم من المـدن رايه ، ايله، عينونه، طبا، الجار، جـده، السـرين، حلى، الحمضه، عثر، الشـرجه، الحرده، غلافقه ، المخا،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۲

عدن، ثمّ حضـرموت ثمّ فى الزاوية بلاد عمان و فيها رأس الجمجمه و مدينة صـحار، ثمّ تلى ذلك على الساحل مدينة القطيف، و فى هـذا القسم من البحر جزيرتـا خـارك و اوال، و فى وسـط الصورة رسـمت مدينـة مكه تحيط بها كتلـة جبال متلاصـقة و فيها أيضا من أسـفل مكة الطائف، و يقرأ عند هذه الجبال من الجانب الأيسر جبال تهامه، قعيقعان، ديار راحه ، و بين هذا الطرف من الجبال و البحر من المـدن المعقـد، زبيـد، المذيخره، الكدرا، المهجم، و يأخذ من عدن على البحر طريق الى الجبال و عليه من المدن صـنعا، صـعده، نجران، بيشه، جرش، تبـاله، ثمّ يقرأ عنـد جانب الجبل مكتوبا على شـكل صـليبىّ نجـد الحجاز، ثمّ رسم بين الجبل و حضـرموت جبل شبام و فيه مدينـة شـبام، و يقرأ بين جبل شـبام و عـدن ديار همدان و خولان، و تتشـعّب الجبال الوسـطيّة عن أسـفلها الى طرفين كتب بينهمـا نجـد الحجاز و عنـد الطرف الأيسـر جبال تهامه و عنـد الطرف الأيمن جبل الفرع و مدينـة الفرع، و بين هـذه البقاع و البحر بلد اليمامه و بلد البحرين و فيهما من المدن العقبر، الاحسا ، هجر، ثمّ يأخذ عن يمين القطيف على البحر الى أعلى رمل الهبير، و يقرأ عند طرف الجبل الـذى بين مكّـة و رمل الهبير ابو قبيس، و عن يمين مكّـة بينها و رمل الهبير أيضا من المـدن المدينه وفيد، و الطريق المارّ على هاتين المدينتين بعد اجتيازه رمل الهبير يمرّ على القادسـيه و الكوفه الى بغداذ على نهر دجله، و يأخذ من المدينة طريق الى وادى القرى ثمّ تبـوك ثمّ معـان ثمّ سـلميه ثمّ الخناصره ثمّ بـالس على نهر الفرات، و بين تبوك و الفرات يقرأ السـماوه، ديـار فزاره، ديـار كلب، بريه خسـاف، صـفين و أثنـاء ذلك من المـدن تيما و تـدمر، و بين وادى القرى و الفرات ديار ثمود و جبلى طى، و بينه و البحر ديـار لخم و جـذام و جهينه و بلى، و بين الفرات و دجلـة يقرأ بلـد الجزيره و ديار ربيعه ثمّ على الفرات من المـدن الرقه، الانبار و عند الخليـج الآخـذ من الانبار الى دجله الصـراه و يجرى من بغـداذ الى هـذا الخليـج نهر عيسـى، و على دجلة بين بغداذ و البحر من المدن كلواذى، المدائن، واسط، الابله، و من الابلّة يأخذ نهر الابله الى البصره و ينصبّ تجاهها فى نهر معقل، و يقرأ بين البصرة و رمل الهبير ديار بنى اسد ثمّ فى قرب الساحل لقبائل مضر،

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۳

و فی أسفل الصورة علی البحر من المدن مهروبان، سینیز، توج، جنابه، نجیرم، سیراف و یقرأ وراء ذلک فی البرّ کلمة ناحیة التی أضیف الیها اسما خوزستان و فارس المکتوبان علیها فی شکل الصلیب، و فی زاویتی الصورة السفلایین المشرق و الجنوب، (۷) [۸ ظ] و کانت هذه الدیار عظیمة خطیرة الملوک ملکها الفراعنة و التابعة و منهم من ملک أکثر أهل الأرض فی سالف الزمان کتبع الذی مدّن مدینتی صنعاء و سمرقند و کان یقیم بهذه حولا و بهذه آخر و من أهلها فرعون إبراهیم و هو سنان بن علوان و فرعون موسی مصعب بن الولید، و بعث فیها کثیر من الأنبیاء و کان من أکرمهم نبیّنا صلّی الله علیه و سلّم، و لم یک فیما سلف من الزمان و لا علی مرّ الدهور و الأیّام ممّن علت کلمته و اتّسعت مملکته و استفحلت جبایته کتبّع و ذی القرنین من ثبت الملک فیه و فی عقبه و جبیت الیه الأموال و تخرّق فی المروءة و الإفضال کمن ملکها من أهلها فی الإسلام مع أکثر الأرض من حیث لم یرم أکثرهم عن مواطنهم و لا برحوا عن أماکنهم یدعی لهم فی أطرافها و یدرّ علیهم الأموال من أخلافها، (۸) فأمّا أموالها فی وقتنا هذا الواصلة الی سلاطینها و ملوکها و أربابها و أصحاب أطرافها فمن جلّتهم خلف أبی الجیش إسحاق بن إبراهیم بن زیاد بعد أهل البحرین و الذی تحت یده من الشرجة الی عدن طولا علی ساحل البحر و أرض تهامة الیمن و یکون مقدار ذلک اثنتی عشرة مرحلة و عرضه من الجبال الی ساحل الیمن من عمل غلافقة و یکون مقداره مسیرة أربع مراحل، و أکثر أمواله المقبوضة من العشور و هی ما ینیف علی خمس مائة ألف دینار عشریّ و من قبالات زبید عن جمیع ما یدخلها و یخرج عنها و تشتمل علیه من وجوه الأموال مائتا ألف دینار عشریّ، و أکثر ملوک الجبال فی وقتنا هذا یخطبون له علی منابرهم، و یصل الیه من جبایة عدن

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۴

عن المراکب العشریّة ممّا لا یقع بمواقفة و ضمان و یعمل بالأمانات فربّما زادت المراکب و نقصت و المرتفع له فی السنة عن هذا المکان علی التقریب مائتا ألف دینار عشریّ و ربّما زادت الزیادة العظیمة و ربّما نقصت الیسیر، و یوجد العنبر بسواحل عدن و ما یلیها و له علی ذلک ضریبة تصل الیه، و له علی صاحب جزائر دهلک مواقفة من هدایا ترد علیه فیها العبید و العنبر و جلود النمور المرتفعة الی غیر ذلک، و له علی ملکة الحبشة هدایا و مبارّ فلا تنقطع هداياها و مبارّها، [قال کاتب هذه الأحرف دخلت عدن سنة أربعین و خمس مائة و کان العمید بها بلال بن جریر و المشرف علیه خالی أحمد بن غیاث من قبل سلطانها محمّد بن سبا و کان ضمان عشر المراکب بحسب مائة ألف و أربعة عشر ألف دینار مرابطیّة و هذا أکثر ممّا ذکره مصنّف الکتاب بأضعاف،] و یتلوه فی المکنة و المقدرة ابن طرف صاحب عثر و یشتمل ملکه علی وجوه من الأموال و ضروب من الجبایات و یکون الواصل الیه کنصف ما یصل الی ولد أبی الجیش بن زیاد من المال، و یتلوه الجرامیّ صاحب حلی و هو دون ابن طرف فی المکنة و السلطان و الجبایة و هؤلاء الثلاثة ملوک تهامة الیمن و ابن طرف و الجرامیّ جمیعا فی طاعة ابن زیاد وقتنا هذا و یخطبون علی اسمه و قد خطب الجمیع لصاحب المغرب فی هذا الوقت ، و کان من أجلّ ملوک تهامة الیمن المعروفین بملوک الجبال أسعد بن أبی یعفر فأنّه ملکها سنین کثیرة و ملک صنعاء و خطب لآل زیاد و ضرب دراهمه باسمهم بغیر هدیّة أو مبرّة تصل منه الیهم و کانت أمواله دون أربع مائة ألف دینار تنصرف فی مروءته و الی أضیافه و قاصدیه و کان من سلالة التابعة و کذلک فجمیع ما یجتبیه ولاة الیمن منصرف الی أضیافهم و قاصدیهم، و جمیع من بالجبال من ملوکها فجبایته دون هذه العدّة من المال

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۵

و مرافقهم بقدر کفایتهم لموّنهم، و أمّا الحسنیّ صاحب صعدة فله جبایة کثیرة و مستغلّات من المدابغ و ضرائب علی القوافل کثیرة تضاهی ارتفاع ابن طرف و نفقاته فی طرق المعروف [۸ ب] من حیث أمر الله تعالی أن تصرف الصدقات و الأعشار و الخراجات و ربّما زادت جبایته و نقصت، و صاحب السّرین فالواصل الیه کفاء ما یقوم به و بأهله و لیست بحال تذکر و له علی المراکب الصاعدة و النازلة من الیمن رسم یأخذه من الرقیق و المتاع الوارد مع التجّار، (۹) و أمّا البحرین و مدنها و هی هجر و الاحساء و القطیف و

العقير و بيشة و الخرج و اوال و هى جزيرة كان لأبى سعيد الحسن بن بهرام و لولده سليمن بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم و الى وقتنا هذا هى لمخلّفيهما و نسلهما و يكون نسل أبى سعيد لظهره بين مرة و رجل نحو الأربع مائة نسمة، و بها أموال و عشور و وجوه مرافق و قوانين و مراصد و ضروب مرسومة من الكلف الى ما يصل اليهم من بادية البصرة و الكوفة و طريق مكّة بعد إقطاع ما بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها و مزارعها من الحنطة و الشعير و النخل لأتباعهم المعروفين كانوا بالمؤمنين و مبلغها نحو ثلثين ألف دينار و ما عدا ذلك من المال و الأمر و النهى و الحلّ و العقد و ما كان يصل اليهم من طريق مكّة و مال عمان و ما وصل اليهم من الرملة و الشأم فمتساو فيه آراء ولد أبى سعيد الباقين و مفاوضة أبى محمّد سنبر بن الحسن بن سنبر و كان أكمل القوم و أشدّهم ثمّ تمكّنا من نفسه، فإذا همّوا بقسمة ما يصل اليهم من مال السنة كان ذلك ليوم معلوم مذ لم يزالوا فيعزل منه الخمس بسهم صاحب الزمان و الثلاثة الأخماس لولد أبى سعيد على قوانين وضعوها بينهم و كان الخمس الباقى للسنابرة مسلّما الى أبى محمّد ليفرّقه فى ولد أبيه و ولده و يكونون نحو عشرين رجلا، و كان ولد أبى طاهر فيهم يعظمون و يكرمون و كان أجلّهم سابور فلمّا قتله

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۶

أعمامه تشتّتت كلمتهم و تغيّرت أحوالهم، و كان لهم من الثلاثة الأخماس مال معلوم دون الجرايات عليهم من الغنائم بحسب منازلهم دون ما لهم من الضياع و النعمة المختصّة بهم الى سنة ثمان و خمسين فإنّهم لمّا فتكوا بسابور استوحش بعضهم من بعض و انقبضوا عن الالتقاء بالجرعاء و غيرها، و كان من رسومهم ركوب مشايخهم و أولادهم فرادى فيجتمعون الى قبلة الاحساء بالمكان المعروف بالجرعاء و يلعب أحداثهم بالرماح على خيولهم و ينصرفون أفذاذا بغاية التواضع و قد لبسوا البياض لا غير، و كان من رسومهم أن تقع شوراهم بالجرعاء فيمن يخرجونه لما فدحهم و أهمّهم فإن اتّفق رأيهم على خروجهم بأجمعهم لم يتخلّفوا و نفذوا و تركوا فى البلد أوثقهم و أشفّهم منزلة عندهم و لمّا أنفذوا قديما أبا علىّ بن أبى المنصور الى عمان و تعذّر عليه فتحها ساروا بأجمعهم اليها فافتتحوها، و لمّا أنفذوا أبا علىّ بن أبى المنصور الى الشأم و عاد عنها ظنّت به خيانة فيما صار اليه من الغنائم فردّ اليها كسرى بن أبى القسم و صخر بن أبى إسحاق فكان منهم مع أبى محمّد الحسن بن عبيد اللّه بن طغج ما سيرد فى مواضعه من أخبارهم و باللّه القوّة، (۱۰) [ثمّ إنّ المطيع سلّ سخائمهم و سعى فى تألّف قلوبهم و جمع كلمتهم فى سنة ستّين على ما بلغنى سنة إحدى و ستّين من مشافهة أبى الحسين علىّ بن أحمد الجزرىّ صاحب أبى الحسين علىّ بن محمّد بن الغمر و رأيته بصقلّية و كأنّه ورد المغرب ليقرأ الأخبار بها و أخبرنى بأشياء كالسرّ عنده ثمّ خمش وجه الحديث و قال و من بقى من العقدانيّة بالأحساء و غيرها هلكوا كلّهم،] و كان فى جملتهم رجال جلّة ذوو حلوم و عقول دون من

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۷

صحبهم من الجفاة الاغتام الأغفال الطغام كبنى الغمر و أجلّهم كان المقيم بالجعفريّة من ظاهر البصرة و هو أبو الحسين علىّ بن محمّد بن الغمر و يتلوه أخوه المقيم بالكوفة أبو طريف عدىّ بن محمّد بن الغمر و أبو الحسن علىّ بن أحمد بن بشر الحارثىّ المتولّى رجالهم و أموالهم من سائمتهم [۹ ظ] و كراعهم و كان المقيم فيهم الحدود على من وجبت منهم و كان قد ناهز المائة سنة، و ثور بن ثور الكلابىّ صاحب جيشهم مسنّ أيضا كاف مع كبر سنّه و كان صاحب سراياهم الى كلّ مكان و كان أكبر منه حالة و أتمّ دراية أبو الحسن علىّ بن عثمن الكلابىّ كان يزعم أنّ سنيه مائة و عشرون سنة و كان ممّن لقى أبا زكريا الطمامىّ و شاهد دعوتهم الأولى و ناموسهم القديم فصيح اللسان حسن البيان جرئ الجنان و ترسّل لهم الى غير مكان و ناب منابة قاضيهم ابن عرفة فى أسباب المراسلة الى بنى حمدان و غيرهم [فعقد عليه بيعتهم و أخذ عليهم العهود بموالاتهم] و قد انتشر حبلهم و قلّ حولهم و فلّ حدّهم [بما جروا اليه من قتل سابور بن سليمان و أمورهم كالواقفة فيما بينهم] ، و سمعت غير حاك فى سنى نيّف و خمسين يحكى عن أبى طريف عدىّ بن محمّد بن الغمر و القاضى ابن عرفة عن تقارب ألفاظهم فى القول أنّ سادتهم يتوزّعون من مال البصرة و الكوفة و ما يقبضونه من الحجّاج و يرد عليهم من مال عمان و الغنائم دون الخمس الخارج عنهم لصاحب الزمان ألف ألف دينار و ربّما زادت المائة و المائتى

ألف دينار، (۱۱) فأمّا ما ينتهى اليه على من أحوال مدنها و ما يحتاج الى علمه من المشهور و المهمل من أخبارها فلا أعلم بأرض العرب نهرا و لا بحرا يحمل سفينة لأنّ البحيرة الميّتة التى تعرف بزغر و إن كانت مصاقبة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۸

للبادية فليست منها، و مجمع الماء الذى بأرض اليمن فى ديار سبأ إنّما كان موضع مسيل ماء فبنى على وجهه سد فكان يجتمع فيه مياه كثيرة يستعملونها فى القرى و المزارع حتّى كفروا النعمة بعد أن كان الله تعالى جعل لهم عمارات قرى متّصلة الى الشأم فسلّط على ذلك المكان آفة فصار لا يمسك الماء و هو قوله تعالى و جعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها الى قوله و مزّقناهم كلّ ممزّق فبطل ذلك الماء الى يومنا هذا، فأمّا الجداول و العيون و السواقى فكثيرة، (۱۲) و أنا مبتدئ من ديار العرب بذكر مكّة و مكّة مدينة فيما بين شعاب الجبال و طولها من المعلاة الى المسفلة نحو ميلين و هو من حدّ الجنوبىّ الى الشمالىّ و من أسفل جياد الى ظهر قعيقعان نحو الثلثين من هذا و أبنيتها من حجارة و المسجد فى نحو وسطها و الكعبة فى وسط المسجد و باب الكعبة مرتفع من الأرض نحو قامة تجاه المشرق و هو مصراعان و أرض البيت مرتفعة عن الأرض مع الباب و يحاذيه قبّة زمزم و مقام ابراهيم صلّى الله عليه بقرب من زمزم بخطوات و بين يدى الكعبة ممّا يلى المغرب حصار مبنىّ مدوّر له بابان مع ركنى البيت إلّا أنّه لم يدخل فيه و يعرف بالحجر و الطواف يحيط به و بالبيت و أحد الركنين الذى يحاذّ الحجر يعرف بالعراقىّ و الركن الآخر يعرف بالشأمىّ و الركنان الآخران أحدهما عند الباب و الحجر الأسود فيه مركّب على نحو قامة إنسان و الركن الآخر يعرف باليمانىّ، و سقاية الحاجّ المعروفة بسقاية العبّاس على ظهر زمزم و زمزم فيما بينها و بين البيت، و دار الندوة من المسجد الحرام فى غربيّه و كانت لعبد الله بن جدعان التيمىّ و كان يملأها بالفالوذج و له مناد ينادى عليها فى الموسم هلمّوا الى الفالوذ و هى أوّل دار أسّست بمكّة و فيه و فيها يقول الشاعر

[۹ ب] له داع بمكّة مشمعلّو آخر فوق دارته ينادى،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۹

(۱۳) و من وقف على الصفا رأى الحجر الأسود و السعى بين الصفا و المروة، و المروة حجر من حدّ قعيقعان و هو الجبل الذى عن غربىّ الكعبة و أبو قبيس أرفع و أعلى منه تجاهه من نحو المشرق و يقال أنّ حجارة البيت من قعيقعان، و منى على طريق عرفات من مكّة و هى أيضا شعب طوله دون الميلين و عرضه دون رمية السهم و بينه و بين مكّة ثلثة أميال و بمنى أبنية كثيرة كالقصور لأهل كلّ بلد من بلدان الإسلام، و مسجد الخيف فى أقلّ من وسطها ممّا يلى مكّة و جمرة العقبة فى آخر منى ممّا يلى مكّة و ليست العقبة التى تنسب اليها الجمرة من منى و الجمرة الأولى و الوسطى هما معا فوق مسجد الخيف الى ما يلى مكّة، و المزدلفة مبيت للحاجّ و مجمع صلاتى المغرب و العشاء الآخرة إذا صدر الحاجّ من عرفات بالمزدلفة و هو مكان بين بطن محسّر و المأزمين فأمّا بطن محسّر فهو واد بين عرفات و المزدلفة، و المأزمان شعب بين جبلين يفضى آخره الى بطن عرنة و هو واد بين المأزمين و بين عرفة، و عرفة ما بين وادى عرنة الى حائط بنى عامر الى ما أقبل على الصخرات التى يكون بها موقف الإمام و الى طريق حضن و بحائط بنى عامر نخيل و كذلك فى غربىّ عرفة و عرنة بقرب المسجد الذى يجمع فيه الإمام بين صلاتى الظهر و العصر فى يوم عرفة و نخيل الحائط و العين تنسب الى عبد اللّه بن عامر بن كريز ، و ليس عرفات من الحرم و إنّما حدّ الحرم من المأزمين فإذا جزتهما الى العلمين فمن الحلّ و كذلك التنعيم الذى يعرف بمسجد عائشة ليس من الحرم و الحرم دونه نحو عشرة أميال فى مسيرة يوم و على الحرم كلّه منار مضروب متميّز به عن غيره، (۱۴) و ليس بمكّة ماء جار إلّا شىء أجرى اليها من عين قد كان عمل فيها بعض الولاة فاستتمّ فى أيّام المقتدر و يمتح الى مسيل قد جعل

صورة الأرض، ج۱، ص: ۳۰

له الى باب بنى شيبة فى قناة قد عملت هناك و كانت أكثر مياههم من السماء الى مواجن و برك كانت بها عامرة فخربت باستيلاء

المتولّین علی أموال أوقافها و استئثارهم بها و لیست لهم أبار یشرب منها و أطیبها زمزم و لا یمکن الإدمان علی شرب مائها، و لیس بجمیع مکّة شجر مثمر غیر شجر البادیة و إذا جزت الحرم فهناک عیون و أبار و حوائط کثیرة و أودیة ذات خضر و مزارع و نخیل و یقال أنّ بفخّ نخیلات یسیرة متفرّقة و هی من الحرم و لم أرها، و ثبیر جبل مشرف یری من منی و المزدلفة و کانت الجاهلیّة لا تدفع من المزدلفة إلّا بعد طلوع الشمس إذا أشرقت علی ثبیر، و بالمزدلفة المشعر الحرام و هو مصلّی الإمام یصلّی فیه المغرب و العشاء الآخرة و الصبح، و الحدیبیّة بعضها من الحلّ و بعضها من الحرم و هو مکان صدّ المشرکون فیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم عن المسجد الحرام من أبعد الحلّ الی البیت و لیس هو فی طول الحرم [۱۰ ظ] و لا عرضه إلّا أنّها فی زاویة للحرم فلذلک صار بینها و بین المسجد أکثر من یوم، (۱۵) فأمّا المدینة فهی أقلّ من نصف مکّة و هی فی حرّة سبخة الأرض و لها نخیل کثیرة و میاه نخیلهم و رزوعهم من الأبار یسقون بها العبید و علیها سور و المسجد فی نحو وسطها و قبر النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم من المسجد فی شرقیّه قریبا من القبلة قریبا من الجدار الشرقیّ فی بیت مرتفع بین سقفه و سقف المسجد فرجة و لا باب له و له زاویتان و المنبر الذی کان یخطب علیه النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم قد غشی بمنبر آخر و الروضة أمام المنبر بینه و بین القبر و المصلّی الذی کان النّبیّ صلّی اللّه علیه و علی برزة عترته یصلّی فیه الأعیاد فی غربیّ المدینة داخل سورها و بقیع الغرقد خارج السور بباب البقیع فی شرقیّ المدینة، و قباء خارج المدینة علی نحو میلین الی ما یلی القبلة و هو مجمع بیوت الأنصار یشبه القریة، و أحد جبل فی شمالیّ المدینة و هو أقرب الجبال الیها علی نحو فرسخین منها، و بقربها مزارع فیها ضیاع لأهل المدینة و وادی العقیق فیما بینها و بین الفرع و الفرع

صورة الأرض، ج۱، ص: ۳۱

من المدینة علی أربعة أیّام فی جنوبیّها و بها مسجد جامع غیر أنّ أکثر هذه الضیاع خراب وقتنا هذا و کذلک حوالی المدینة ضیاع کثیرة قد خربت، و العقیق واد من المدینة فی قبلتها علی أربعة أمیال فی طریق مکّة و أعذب ماء فی الناحیة أبار العقیق، و روی عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم أنّ غبار المدینة أمان من الجذام و من أقام بها وجد فی ترابها و هوائها رائحة لیست فی الأرائیج طیبا خلقة فیها و جوهریّة لا تتغیّر و هی أنقی طینا من الطیب بسابور و ألذّ نسیما من نهر الأبلّة و لا تتغیّر المعجونات و الطیب بها ما أقاما، (۱۶) و أمّا الیمامة فواد و المدینة به تسمّی الخضرمة دون مدینة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم و هی أکثر نخیلا و ثمرا من المدینة و من سائر الحجاز، و کانت قرارا لربیعة و مضر فلمّا نزل علیها بنو الأخیضر جلت العرب منها الی جزیرة مصر فسکنوا بین النیل و بحر القلزم و قرّت ربیعة و مضر هناک و صارت لهم و لتمیم کالدار التی لم یزالوا بها و ابتنوا بها غیر منبر کالمحدثة التی بظاهر اسوان و کالعلاقی و هو المنهل یجتاز به الحجیج الی عیذاب و هم أهل معدن الذهب و إقامتهم علیه فی أمور سآتی علی ذکرها فی أماکنها، و لیس بالحجاز بعد مکّة و المدینة أکبر من الیمامة و یلیها فی الکبر وادی القری و هی ذات نخیل أیضا ، و البحرین فی ناحیة نجد و أکبر أعمالها و مدنها هجر و هی أکثر تمورا و لیست من الحجاز و هی علی شطّ بحر فارس و مقام القرامطة بها و هی دارهم، و لهما قری کثیرة و قبائل من مضر ذوو عدّة و عدد اغتصبت لضعف السلطان من أربابها، (۱۷) و الجار فرضة المدینة و هی علی ثلث مراحل منها علی شطّ البحر و هی أصغر من جدّة، و جدّة فرضة لأهل مکّة علی مرحلتین منها علی شطّ البحر و کانت عامرة کثیرة التجارات و الأموال و لم یکن بالحجاز بعد مکّة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۳۲

أکثر مالا [۱۰ ب] و تجارة منها و کانت تجاراتهم تقوم بالفرس فلمّا أقام بها ابن جعفر الحسنیّ تشتّت أربابها و رزحت أحوالها، (۱۸) و الطائف مدینة صغیرة نحو وادی القری کثیرة الشجر و الثمر و أکثر ثمارها الزیت و هی طیّبة الهواء و فواکه مکّة و بقولها منها و هی علی ظهر جبل غزوان و بغزوان دیار بنی سعد و سائر قبائل هذیل و لیس بالحجاز فیما علمته مکان هو أبرد من رأس هذا الجبل و لذاک اعتدل هواء الطائف و بلغنی أنّه ربّما جمد الماء فی ذروة هذا الجبل و لیس بالحجاز مکان یجمد فیه الماء سوی هذا الموضع، (۱۹) و الحجر قریة صغیرة قلیلة السکّان و هی من وادی القری علی یوم بین جبال و بها کانت دیار ثمود الذی قال اللّه تعالی و تنحتون

من الجبال بيوتا فرهين، و ذكر أبو إسحاق الفارسىّ أنّ بيوتها منقورة كبيوتنا فى أضعاف جبالها و تدعى تلك الجبال الأثالب و هى جبال فى العيان متّصلة حتّى إذا توسّطت كانت كلّ قطعة منها قائمة بذاتها يطوف بكلّ قطعة منها الطائف و دونها جبال رمال لا يكاد يرتقى الى ذراها إلّا بمشقّة شديدة و بها بئر ثمود التى قال الله تعالى فى الناقة لها شرب و لكم شرب يوم معلوم، (۲۰) و تبوك بين الحجر و بين أوّل الشأم على أربع مراحل فى نحو نصف طريق الشأم و هى حصن و له عين ماء و نخيل و حائط ينسب الى النّبىّ صلّى الله عليه و سلّم، و يقال أنّ أصحاب الأيكة الذين بعث الله اليهم شعيبا كانوا بها و لم يكن شعيب منهم و إنّما كان من مدين، و مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو ستّ مراحل و مدين أكبر من تبوك و بها البئر التى استسقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب و هى بئر مغطاة قد

صورة الأرض، ج۱، ص: ۳۳

عمل عليها بيت و ماء أهلها من عين تجرى لهم و مدين اسم القبيلة التى كان منها شعيب و إنّما سمّيت القرية بهم ألا ترى أنّ الله تعالى يقول و الى مدين أخاهم شعيبا ، (۲۱) و الجحفة منزل عامر و بينها و بين البحر نحو ميلين و هى من الكبر و دوام العمارة نحو مدينة فيد و ليس بين مكّة و المدينة منزل يستقلّ بالعمارة و الأهل سائر السنة كهى [و لا بين المدينة و العراق مكان يستقلّ بالعمارة و الأهل جميع السنة مثل فيد،] و هى فى ديار طيّء و جبلا طيّء منها على مسيرة يومين و بها نخيل و زروع قليلة لطيّء و بها ماء تافه و يسكنها بادية من طيّء ينتقلون عنها فى بعض السنة ينتجعون المراعى، و خيبر حصن ذو نخيل كثيرة و زرع، (۲۲) و ينبع حصن به نخيل و ماء و زرع و بها وقوف لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام يتولّاه أولاده، و بقرب ينبع جبل رضوى و هو جبل منيف ذو شعاب و أودية و رأيته من ينبع كخضرة البقل، و زعم بعض أصحابنا أنّه طاف فى شعابه و فيها ماء كثير و أشجار و هو الجبل الذى تزعم طائفة الكيسانيّة أنّ محمّد بن علىّ بن أبى طالب فيه حيّا مقيما، و منه يحمل حجارة المسنّ الى سائر الآفاق، و فيما بينه و بين ديار جهينة و سائر البحر ديار للحسنيّين يسكنونها ببيوت الشعر نحو سبع مائة بيت بادية كالأعراب ينتجعون المراعى و المياه بزىّ كزىّ الأعراب لا تميّز بينهم فى خلق و لا- خلق، و تتّصل ديارهم فيما يلى المشرق بوادى ودّان [۱۱ ظ] و هو من الجحفة على مرحلة و بينهم و بين الأبواء التى على طريق الحاجّ فى غربيّها ستّة أميال، و بها رئيس الجعفريّين من ولد جعفر بن أبى طالب

صورة الأرض، ج۱، ص: ۳۴

و له بالفرع و السابرة ضياع كثيرة و عشيرة و أتباع و بينهم و بين ولد الحسن ابن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام حروب و دماء حتّى لقد استولت طائفة من اليمن يعرفون ببنى حرب على ضياعهم و صاروا حربا لهم و ألبا عليهم و قد ضعفوا بخلافهم، و تيماء حصن أعمر من تبوك و هى فى شمال تبوك و لها نخيل و هى ممتار البادية و بينها و بين أوّل الشأم ثلثة أيّام، (۲۳) و لا- أعلم فيما بين العراق و الشأم و اليمن مكانا إلّا و هو فى ديار طائفة من العرب ينتجعونه فى مراعيهم و مياههم إلّا أن يكون بين اليمامة و البحرين و بين عمان و من وراء عبد القيس برّيّة خالية عن الأبآر و السكّان و المراعى قفرة لا تسلك و لا تسكن، فأمّا ما بين القادسيّة الى الشقوق فى الطول و العرض من قرب السماوة الى حدّ بادية البصرة فسكّانها قبائل من بنى أسد، فإذا جزت الشقوق فأنت فى ديار طيّء الى أن تجاوز معدن النقرة فى الطول و فى العرض من وراء جبلى طيّء محاذيا لوادى القرى الى أن تتّصل بحدود نجد من اليمامة و البحرين، ثمّ إذا جزت المعدن عن يسار المدينة فأنت فى بنى سليم و إذا جزته عن يمين المدينة فأنت فى جهينة، و فيما بين المدينة و مكّة بكر بن وائل فى قبائل من مضر من الحسنيّين و الجعفريّين، و الغالب على نواحى مكّة ممّا يلى المشرق بنو هلال و بنو سعد فى قبائل من هذيل و عن غربيّها مدلج و غيرها من قبائل مضر، و أمّا بادية البصرة فهى أكثر هذه النواحى أحياء و قبائل و أكثرها تميم حتّى يتّصلوا بالبحرين و اليمامة ثمّ وراءهم عبد القيس، و أمّا بادية الجزيرة فإنّ بها أحياء من ربيعة و اليمن و أكثرهم كلب اليمن و فى قبيلة منهم يعرفون ببنى العليص خرج صاحب الشام الذى فلّ جيوش مصر و أوقع بأهل الشأم حتّى قصده المكتفى الى الرقّة فأخذ له بالدالية، و بادية السماوة من دومة الجندل الى عين التمر و برّيّة خساف من بادية الجزيرة، و برّيّة

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۳۵

خساف فيما بين الرقّة و بالس عن يسار الذاهب الى الشأم، و صفّين أرض من هذه البادية بقرب الفرات ما بين الرقّة و بالس و هو الموضع الذى كان به حرب علىّ عليه السلام و معوية و رأيت هذا الموضع فرأيت عجبا و ذلك أنّا كنّا سائرين من تحته فى الفرات و هو ربوة عظيمة فعددنا عليها ثمنية قبور أو تسعة و من فوقها ربوة أعلى منها فعددنا عليها بضعة عشر قبرا ظاهرة بيّنة لمن يتأمّلها و لم تختلف جماعة كنت فيهم فى عدد قبور الموضعين ثمّ صعدنا المكان الذى عددنا فيه هذه القبور فلم نر فيه و لا لقبر واحد أثرا، و أخبرنى من يعرف بمعرفة تلك الناحية أنّه رأى فيها بيت مال علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه للفيء قائما بنفسه، و أمّا بادية الشأم فإنّها ديار لفزارة و لخم و جذام و بلى و قبائل مختلطة [۱۱ ب] من اليمن و ربيعة و مضر و أكثرها يمن، (۲۴) و الرمل المعروف بالهبير هو الرمل الذى أصله بالشقوق الى الأجفر عرضا و طوله من وراء جبلى طيّء الى أن يتّصل مشرقا بالبحر و يمضى من وراء جبلى طيّء الى أن يرد الجفار من أرض مصر ثمّ يساير النيل و جبل المقطّم عن جانبى النيل الى بلد النوبة فيعبر من فوق الفيّوم النيل فيتّصل بالمغرب الى أرض نفزاوه و يمضى مغربا الى سجلماسه و أرض أودغست الى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر و منه عرق يضرب من القادسية الى البحرين و يعبر البحر فيمّر على مشارق خوزستان و فارس الى أن يرد الى سجستان و يعطف منه شىء على مفازة فارس و خراسان الى الطبسين و قوهستان و يمرّ مشرقا الى مرو آخذا على جيحون فى برّيّة خوارزم الى خوارزم ثمّ يعبر جيحون و قد شقّه جيحون و قطع فيه الى قرية قراتكين و يأخذ فى بلاد الخرلخيّة و بعض التبّت الى بلد الصين و البحر المحيط فى

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۳۶

جهة المشرق و هو على ما وصفته و سقته من المحيط بالمشرق الى المحيط بالمغرب و ذاهب من نواحى اودغست و صحاريّها على البحر المحيط على بلاد غانه و كوغه و جميع بلاد السودان الى البرّيّة التى لا تسلك و قد فرش الجنوب من الأرض أيضا و فيه جبال منه عظام لا تتوقّل و لا ترتقى و بعضه فى أرض سهلة ينتقل من مكان الى مكان [و بعضه لا تعرف له حركة فهو لا يزول عن مكانه] و منه أصفر ليّن اللمس و أحمر قانئ و أزرق سماوىّ و أسود حالك و أكحل مشبع كالنيل و أبيض كالثلج و بعضه يحكى الغبار نعمة و بعضه خشن جريش اللمس أحرش، [و قد عادت صفة الرمل من بعد أحوال مصر عند ذكر الجفار] ، (۲۵) و أمّا تهامة فإنّها قطعة من اليمن جبال مشتبكة أوّلها مشرف على بحر القلزم ممّا يلى غربيّها و شرقيّها بناحية صعدة و جرش و نجران و شماليّها حدود مكّة و جنوبيّها من صنعاء نحو عشر مراحل و قد صوّرت بعض جبال تهامة فى صورة ديار العرب، (۲۶) و بلاد خولان تشتمل على قرى و مزارع و مياه معمورة بأهلها و هى مفترشة و بها أصناف من قبائل اليمن، و نجران و جرش مدينتان متقاربتان فى الكبر و بها نخيل و تشتملان على أحياء من اليمن كثيرة، و صعدة أكبر و أعمر منهما و بها يتّخذ ما كان يتّخذ بصنعاء من الأدم و يتّخذ بنجران و جرش و الطائف أدم كثير غزير و أكثره من صعدة و بها مجمع التجّار و الأموال و الحسنىّ المعروف بالرسّىّ بها مقيم، (۲۷) و ليس بجميع اليمن مدينة أكبر و لا أكثر مرافق و أهلا من صنعاء و هو بلد فى خطّ الاستواء و هو من اعتدال الهواء بحيث لا يتحوّل الإنسان عن مكان واحد شتاء و لا صيفا عمره و يتقارب بها ساعات الليل

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۳۷

و النهار لأنّ محور الشمس عليها معتدل و الجذام بها ظاهر لقلّة سطوة الشمس فيها و تافه تحليلها عن جسومهم، و فيه كانت ديار ملوك اليمن فيما تقدّم و بها آثار بناء عظيم قد خرب فهو تلّ كبير يعرف بغمدان و كان قصرا لملوك اليمن و ليس باليمن بناء أرفع منه على خرابه، (۲۸) [۱۲ ظ] و المذيخرة جبل كان فيه الجعفرىّ و بلغنى أنّ أعلاه كان عشرين فرسخا فيها مزارع و مياه و فيه ينبت الورس و هو نبات أحمر فى معنى الزعفران يباع منوان بدينار فيصبغ به و هو منيع منيف لا يسلك و كأنّه من أسفله جبل بالمغرب يعرف بجبل نفوسة فى الحصانة و كثرة المياه و الأشجار و طيب التربة و كثرة الثمار يسكنه الخوارج و هو دار هجرة لهم و مات به عبد الله بن وهب الراسبىّ و عبد الله بن إباض و لا يسلك إلّا من طريق واحد و كانت المذيخرة قديما لأسعد بن أبى يعفر ثمّ غلب عليها

محمّد بن الفضل الداعی لأهل المغرب، (۲۹) و شبام جبل عظیم منیع أیضا فیه قری و مزارع و سکّان کثیر و فیه جامع و هو متمیّز من جبال الیمن و یرتفع منه العقیق و الجزع و الحجر المعروف بالجمست و یصیبها المطالبیّون بالناحیة غشیما کسائر الحجارة فإذا عملت ظهر جوهرها بالنار و العمل [و بلغنی أنّها تکون فی صحاری فیها حصی ملوّن تلقط من بینها]، (۳۰) و عدن مدینة صغیرة و شهرتها لأنّها فرضة علی البحر ینزلها السائرون فی البحر و بالیمن مدن أکبر منها لیست کشهرتها، و بالیمن أیضا من الخوارج طائفة بقرب همدان و خولان و جمع بلدة و هی من أعمر بلاد بتلک النواحی مخالیف و مزارع و أغزرها میاها،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۳۸

(۳۱) و حضر موت فی شرقیّ عدن بقرب البحر و رمالها کثیرة غزیرة تعرف بالأحقاف و هی مدینة صغیرة و لها ناحیة و أعمال عریضة و بها قبر هود النّبیّ صلّی الله علیه و بقربها برهوت و هو البئر التی لا یعلم أنّ إنسانا نزلها، و بلاد مهرة فقصبتها تسمّی الشحر و هی بلاد قفرة ألسنتهم مستعجمة جدّا لا- یکاد یوقف علی کلامهم و لیس بها نخل و لا زرع و إنّما أموالهم الإبل و المعز و الإبل و الدوابّ تعلف السمک الصغار المعروف بالورق و هم و سائر حیوانهم لا یعرفون الخبز و لا یأکلونه و أکلهم السموک و الألبان و التمور و لهم نجب من الإبل تفضّل فی السیر و حسن الریاضة علی جمیع النجب و اللبان الذی یستعمل بالآفاق من هناک و دیارهم مفترشة به و بلادهم بواد نائیة و یقال أنّها من أعمال عمان و طول مهرة أربع مائة فرسخ، [قال کاتب هذه الأحرف إنّ المستولی علی هذه البلاد لمّا دخلتها فی سنة أربعین و خمس مائة و المتحکّم فیها أحمد بن منجویه و کان دار ملکه بمرباط و هی مدینة صغیرة علی شاطیء البحر و علی مسیرة یوم و نصف منها مدینة ظفار و هی أیضا له،] (۳۲) و عمان ناحیة ذات أقالیم مستقلّة بأهلها فسحة کثیرة النخل و الفواکه الجرومیّة من الموز و الرمّان و النبق و نحو ذلک و قصبتها صحار و هی علی البحر و بها من التجّار و التجارة ما لا یحصی کثرة و هی أعمر مدینة بعمان و أکثرها مالا و لا یکاد یعرف علی شطّ بحر فارس بجمیع الإسلام مدینة أکثر عمارة و مالا من صحار و لها مدن کثیرة و یقال أنّ حدود أعمالها ثلثمائة فرسخ، و کان الغالب علیها الشراة الی أن وقع بینهم و بین طائفة من بنی سامة بن لؤیّ و هم فی أکثر تلک النواحی فخرج منهم رجل

صورة الأرض، ج۱، ص: ۳۹

یعرف بمحمّد بن القسم السامیّ الی المعتضد فاستنجده علیهم فبعث معه بابن ثور ففتح عمان للمعتضد و أقام بها الخطبة له و انحازت الشراة الی ناحیة لهم تعرف بنزوی الی یومنا هذا بها إمامهم و بیت مالهم و جماعتهم [۱۲ ب] علی غدر فیهم شدید و غیلة ظاهرة بالجمیع، و عمان بلاد حارّة جرومیّة و بلغنی أنّ بمکان منها بعید من البحر ربّما وقع ثلج رقیق و لم أر من شاهد ذلک إلّا بالبلاغ، (۳۳) و بأرض سبأ من الیمن طوائف من حمیر و کذلک بحضر موت، و دیار همدان و أشعر و کندة و خولان فبلاد مفترشة فی أعراض الیمن و فی أضعافها مخالیف و زرع و بها بواد و قری تشتمل علی بعض تهامة و بعض نجد، و نجد الیمن من شرقیّ تهامة و هی قلیلة الجبال مستویة البقاع و نجد الیمن غیر نجد الحجاز غیر أنّ جنوبیّ نجد الحجاز یتّصل بشمال نجد الیمن و بین البحرین و بین عمان برّیّة منیعة السلوک، و بالیمن قرود کثیرة و بلغنی أنّها تکثر حتّی لا تطاق إلّا بجمع عظیم فإذا اجتمعوا کان لهم کبیر یعظّمونه و یتبعونه کالیعسوب للنحل، و بها دابّة تدعی العدار بلغنی أنّها تطلب الإنسان فتقع علیه و إن أصابت منه تلک الدابّة جرحا تدوّ جوف الإنسان فانشقّ، و یحکی عن الغیلان بها من الأعجوبة ما لا أستحسن حکایته لأنّ المنکر لما لا یعلم أعذر من المقرّ بما یجهل، (۳۴) و أمّا المسافات بدیار العرب فإنّ الذی یحیط بها من عبّادان الی البحرین نحو إحدی عشرة مرحلة و من البحرین الی عمان نحو شهر و من عمان الی أوائل مهرة نحو مائة فرسخ، و سمعت أبا القسم البصریّ یقول من عمان الی عدن ستّمائة فرسخ منها خمسون فرسخا الی المسقط عامرة و خمسون لا ساکن فیها الی أوّل بلد مهرة و هی الشحر و طولها أربع مائة فرسخ و العرض فی جمیع ذلک من خمسة فراسخ الی ثلثة فراسخ و کلّها رمل

صورة الأرض، ج۱، ص: ۴۰

و من آخر الشحر الى عدن مائة فرسخ و من عدن الى جدّة شهر و من جدّة الى ساحل الجحفة نحو خمس مراحل و من ساحل الجحفة الى الجار ثلث مراحل و من الجار الى ايلة عشرون مرحلة [و من ايلة الى بالس نحو عشرين مرحلة و من بالس الى الكوفة نحو عشرين مرحلة] و من الكوفة الى البصرة اثنتا عشرة مرحلة و من البصرة الى عبّادان مرحلتان و هذا هو دائرها و ما يحيط بها، (۳۵) فأمّا المسافات فى أضعافها فإنّ من الكوفة الى المدينة نحو عشرين مرحلة و من المدينة الى مكّة مسافة عشر مراحل فى طريق الجادّة و من الكوفة الى مكّة طريق أخصر من هذا الطريق بنحو ثلاث مراحل إذا انتهى الى معدن النقرة عدل عن المدينة حتّى يخرج على معدن بنى سليم ثمّ الى ذات عرق حتّى ينتهى الى مكّة، و أمّا طريق البصرة فإلى المدينة ثمانى عشرة مرحلة و يلتقى مع طريق الكوفة بقرب معدن النقرة، و أمّا طريق البحرين الى المدينة فنحو خمس عشرة مرحلة، و أمّا طريق الرقّة الى المدينة فنحو عشرين مرحلة على جبلى طيّء و كذلك من دمشق الى المدينة و مثلها من فلسطين الى المدينة، و من مصر الى المدينة على الساحل عشرون مرحلة و مجتمعهم مع أهل الشأم بايلة و فى ضمن المصريّين يحجّ المغاربة و ربّما تفرّدوا بأنفسهم إلّا أنّهم يتّفقون [۱۳ ظ] فى مناخ واحد و ربّما تقدّموا فيكون بينهم أن ينزل أحدهم و يرحل الآخرون أو يتأخّرون على هذا السبيل، و ايلة من ناحية الشأم أوّل حدود البادية، و لأهل مصر و فلسطين إذا جازوا مدين طريقان أحدهما الى المدينة على بدا و شغب قرية بالبادية كانوا بنو مروان أقطعوها الزهرى و بها قبره حتّى ينتهى الى المدينة على المروة و طريق يمضى على ساحل البحر حتّى يخرج بالجحفة فيجتمع بها

صورة الأرض، ج۱، ص: ۴۱

أهل العراق و دمشق و فلسطين و أهل مصر، و طريق الرقّة وقتنا هذا منقطع إلّا لقوم من العرب يحجّون فيه أفذاذا و يسلكونه عباديد و سائر الطرق مسلوكة فى وقتنا هذا غيره، (۳۶) و من عدن الى مكّة نحو شهر و لهم طريقان أحدهما على ساحل البحر و هو أبعد و هى جادّة تهامة و السائر عليها يأخذ على صنعاء و صعدة و جرش و بيشة و تبالة حتّى ينتهى الى مكّة و طريق آخر على البوادى غير طريق تهامة يقال له الصدور فى سفح جبل نحو عشرين مرحلة و هو أقرب غير أنّه على أحياء اليمن و مخاليفها يسلكه الخواصّ منهم، و أمّا أهل حضرموت و مهرة فأنّهم يقطعون عرض بلادهم حتّى يتّصلوا بالجادّة بين عدن و مكّة و المسافة منهم الى الاتّصال بهذه الجادّة اثنتان و عشرون مرحلة فيصير جميع طريقهم نيّفا و خمسين مرحلة، و طريق عمان يصعب سلوكه فى البرّيّة لكثرة القفار و قلّة السكّان و إنّما طريقهم فى البحر الى جدّة فإن سلكوا على السواحل من مهرة و حضر موت الى عدن أو الى طريق عدن بعد عليهم و قلّ ما يسلكونه، و كذلك ما بين عمان و البحرين فطريق شاقّ يصعب سلوكه لتمانع العرب و تنازعهم فيما بينهم، و أمّا ما بين البحرين و عبّادان فغير مسلوك كان الى هذه الغاية و قد سلك و هو قفر و الطريق منها على البحر، و من البصرة الى البحرين على الجادّة إحدى عشرة مرحلة و على هذا الطريق أتى سليمن بن الحسن متزوّدا الماء من البحرين الى البصرة و لا ماء فيه و هو على الساحل نحو ثمانى عشرة مرحلة و فى قبائل العرب و مياههم و هو طريق عامر غير أنّه مخوف، (۳۷) فهذه جوامع المسافات التى يحتاج الى علمها فأمّا ما بين ديار العرب لقبائلها من المسافات فقلّما تقع الحاجة اليه لغير أهل البادية و الى معرفته،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۴۲

[بحر فارس]

اشارة

(۱) و الذى يجب أن يذكر بعد ديار العرب بحر فارس لأنّه يشتمل على أكثر حدودها و تتّصل ديار العرب به و بكثير من بلدان الإسلام و تعتوره ثمّ أذكر جوامع ممّا يشتمل عليه هذا البحر، و أبتدئ بالقلزم و ساحله ممّا يلى المشرق فإنّه ينتهى الى ايلة ثمّ يطوف بحدود ديار العرب التى ذكرتها و أثبتّها قبل هذا من هنا الى عبّادان ثمّ يقطع عرض الدجلة و ينتهى على الساحل الى مهروبان ثمّ الى

جنّابه ثمّ يمرّ على سيف فارس الى سيراف ثمّ يمتدّ الى سواحل هرموز من وراء كرمان الى الديبل و سواحل الملّتان و هو [۱۳ ب] ساحل السند و قد انتهى حدّ بلد الإسلام ثمّ ينتهى الى سواحل الهند ماضيا الى سواحل التبّت فيقطعها الى أرض الصين، و إذا أخذت من أرض القلزم من جانب البحر الغربىّ على ساحله سرت فى مفاوز من حدود مصر حتّى تنتهى الى جزائر تعرف ببنى حدان و كان بها مراكب لمن أثر الحجّ تخطف بالحجّاج الى الجار و جدّة ثمّ تمتدّ فى مفاوز للبجة كان بها معدن الزمرّد و شىء من معادن الذهب الى مدينة على شطّ البحر يقال لها عيذاب و هى محاذية للجار ثمّ يتّصل السيف الى سواكن و هى ثلث جزائر يسكنها تجّار الفرس و قوم من ربيعة و يدعى فيها لصاحب المغرب و هى محاذية لجدّة و بين سواكن و عيذاب سنجلة جزيرة بين رأس جبل دواى و جبل ابن جرشم و هى لطيفة و بها مغاص للؤلؤ و يقصد فى كلّ حين بالزاد و الرجال و بينها و بين جدّة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۴۳

يوم واحد و ليلة و المتسحّل منها يصل الى جزيرة باضع و بينهما مجراوان، ثمّ يخطف المستحل عنها الى دهلك أربعة مجار و من دهلك الى زيلع ستّة مجار، و باضع جزيرة ذات خير و مير و ماشية و هى محاذية لحلى، و جزيرة دهلك محاذية لعثر و جزيرة زيلع فكأنّها بين غلافقة و عدن و جزيرة نجه و بربرة محاذية لأعمال عدن و من هذه الجزائر أكثر جلود الدباغ بعدن و اليمن من البقرىّ و الملمّع و الأدم الثقيل، ثمّ يمتدّ البحر على بحر الحبشة و يتّصل بظهر بلد النوبة حتّى ينتهى الى بلدان الزنج و هى من أوسع تلك الممالك فيمضى السيف محاذيا لجميع بلدان الإسلام، و قد انتهت مسافة هذا البحر من شرقه و غربه و قد تعترض فيها جزائر و أقاليم تختلف لا يعلمها إلّا من سافر فى البحر الى أن يحاذى أرض الصين،

(۲) و هذه صورة بحر فارس، [۱۴ ظ]

إيضاح ما يوجد فى صورة بحر فارس من الأسماء و النصوص، يقرأ فى أعلى الصفحة صورة بحر فارس و فى الزاويتين العليايين الجنوب و المشرق، و فى أعلى الصورة يعطف ساحل البحر يمينا و يسارا و كتب عند العطف الى اليمين فى البرّ البحر المحيط و فى داخل البرّ برارى الجنوب الغامره ثمّ على الساحل الداخلىّ من الجانب الأيمن مبتدئا من الأسفل بلد الحبشه، مفازة بين الزنج و الحبشه، بلد الزنج، و بعد ذلك الى الأسفل بربره، زيلع، سواكن، عيذاب ، جزائر بنى حدان و عند منتهى البحر القلزم، و بين سواكن و عيذاب فى البرّ جبل دواى و جبل بن جرشم، و يوازى هذا الساحل فى داخل البرّ نهر النيل و عند مبتدئه جبل القمر و على ضفّة النيل فى أسفل الصورة دنقله و اسوان، و يقرأ بين النيل و الساحل البجه و بلد النوبه و فيه مدينة علوه ثمّ بين اسوان و عيذاب العلاقى، و عن يسار ذلك الصعيد، و فى الجانب الآخر من النيل الواحات،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۴۴

و يبتدئ من عند القلزم ساحل ديار العرب و عليه من المدن رايه، ايله، عينونه، طبا، الجار، جد، السرين، حلى، الحمضه، عثر، الشرجه، الحرده، غلافقه ، المخا، عدن، عمان، و فى داخل هذه الديار مدينة مكه، و بلد العرب و بلد الحجاز، و عن يسار عمان بلد البحرين ثمّ نهر دجله، و عند مبتدأ هذا النهر نواحى العراق، و بلى ذلك الى الأعلى قطعة من البرّ يقرأ فيها نواحى خوزستان ثمّ نواحى فارس ثمّ نواحى كرمان، و على ساحل تلك القطعة من المدن مهروبان، سينيز، توج، جنابه، سهراف. حصن بن عماره، سوروا ثمّ هرموز عند منتهى خليج من البحر، و القطعة التى تليها يقرأ فيها نواحى المنصوره و الملتان و بلد اسند، و فيه نهر مهران، ثمّ بلد الهند و نواحى التبّت و عن يسار ذلك بلد الصين، و على ساحل هذه القطعة الديبل ، كنبايه، سندان، صيمور و فى بلد الصين على البحر خمدان، و يقرأ على ساحل البرّ عند عطفه الى الشمال البحر المحيط، و فى بحر فارس من الجزائر مبتدئا من أعلى الصورة سوباره، سربزه، سرنديب ثمّ قرب ساحله الأيمن، قنبلا ، و فى الخليج بين ديار العرب و فارس لافت، خاركك، اوال، و فى الخليج بين ديار العرب و ساحل البجة دهلك، باضع، سنجله ، و فى أسفل الصورة فى الزاويتين يقرأ المغرب و الشمال، [۱۴ ب] قد صوّرت هذا البحر و ذكرت

حدوده و سأصف ما يحيط به و ما فى أضعافه مفصّلا ليقف عليه من قرأه، (۳) فأمّا ما كان عليه من القلزم الى أن يحاذى بطن اليمن فإنّه يسمّى بحر القلزم و مقداره نحو ثلثين مرحلة طولا و عرضه أوسع ما يكون عبره ثلث ليال ثمّ لا يزال يضيق حتّى يرى فى بعض جنباته الجانب الآخر حتّى ينتهى الى القلزم ثمّ يدور على الجانب الاخر من بحر القلزم و هو و إن كان بحرا ذا أوديهٔ ففيه جبال كثيرهٔ قد علا الماء عليها و طرق السفن بها معروفهٔ و لن يهتدى فيها إلّا بربّان يتخلّل بالسفينهٔ فى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۴۶

أضعاف تلك الجبال بالنهار فأمّا بالليل فلا يسلك و الماء به على غايهٔ الصفاء فترى تلك الجبال فيه، و فى هذا البحر ما بين القلزم و ايلهٔ مكان يعرف بتاران و هو أخبث ما فى هذا البحر من الأماكن و ذلك أنّه دوّارهٔ ماء كالدردور فى سفح جبل إذا وقعت الريح على ذروته انقطعت الريح قسمين فتنزل على شعبتين فى هذا الجبل متقابلتين فتخرج الريح من كمّى هاتين الشعبتين المتقابلتين فتثير البحر و تتبلّد كلّ سفينهٔ فيه تقع فى تلك الدوّارهٔ باختلاف الريحين و تتلف فلا يسلم المركب بالواحدهٔ إلّا ما شاء الله، و إذا كان الجنوب أدنأ مهبّ فلا سبيل الى سلوكه و مقدار هذه الصورهٔ الصعبهٔ و المكان القبيح نحو ستّهٔ أميال و هو الموضع الذى غرق فيه فرعون على ما يذكره الرواهٔ، و بقرب تاران موضع يعرف بجبيلان يهيج أيضا و تتلاطم أمواجه باليسير من الريح و هو موضع مخوف أيضا فلا يسلك بالصباء مغربا و بالدبور مشرقا، و إذا حاذى ايلهٔ ففيه سمك كثير كبير مختلف الألوان و الأنواع، (۴) فإذا قابل بطن اليمن يسمّى بحر عدن الى أن يحاذى عدن ثمّ يسمّى بحر الزنج الى أن يحاذى عمان عاطفا على بحر فارس، و هو بحر يعرض حتّى يقال أنّ عبره الى بلد الزنج سبعمائهٔ فرسخ و هو بحر مظلم أسود لا يرى ممّا فيه شىء و بقرب عدن معدن اللؤلؤ يخرج ما يقع منه الى عدن، فإذا جزت عمان الى أن تخرج من حدود الإسلام و تتجاوز الى قرب سرنديب فيسمّى بحر فارس و هو عريض البطن جدّا و فى عدوته بلدان الزنج، و فى هذا البحر هوارات كثيرهٔ و معاطف صعبهٔ و أجوان مختلفهٔ و أشدّها ما بين جنّابه و البصرهٔ فإنّه مكان يسمّى هور جنّابه و هو مكان مخوف لا يكاد تسلم منه سفينهٔ فى هيجان البحر، و فيه مكان يعرف بالخشبات من عبّادان على نحو ستّهٔ أميال على جرى ماء دجلهٔ الى البحر و ربّما يرقّ الماء حتّى يخاف على السفن الكبار أن تسلكه خشيهٔ

صورة الأرض، ج۱، ص: ۴۷

أن تجلس على الأرض إلّا فى وقت المدّ و بهذا الموضع أربع خشبات منصوبهٔ قد بنى عليها مرقب يسكنه ناظور يوقد بالليل ليهتدى به و يعلم به المدخل الى الدجلهٔ و إذا ضلّت السفينهٔ فيه خيف انكسارها لرقّهٔ الماء، و تجاه جنّابه مكان يعرف بخارك [۱۵ ظ] و به موضع اللؤلؤ يخرج منه الشىء اليسير إلّا أنّ النادر إذا وقع من هذا المكان فاق فى القيمهٔ غيره و يقال أنّ الدرّهٔ اليتيمهٔ وقعت من هذا المعدن و بعمان و بسر نديب فى هذا البحر معدنان للؤلؤ و لا أعلم معدنا للؤلؤ إلّا ببحر فارس، و لهذا البحر مدّ و جزر فى اليوم و الليلهٔ مرّتان من حدّ القلزم الى حدّ الصين حيث انتهى و ليس لبحر المغرب من جانب المغرب و لا لبحر الروم من الجانب الشرقىّ مدّ و لا جزر إلّا ما بالبحر المحيط فى شمال الاندلس فإنّه من ناحيهٔ جبل العيون الى لب الى اكشنبه الى نواحى شلب و قصر بنى ورديسن الى المعدن و نواحى لشبونه و شنترين و شنتره فإنّ فيه مدّا و جزرا و زيادهٔ تظهر و يرتفع الماء هناك فوق العشر الأذرع كارتفاعه بالبصرهٔ ثمّ ينضب حتّى يرجع الى قدره الأوّل، و فى هذا البطن الذى نسبته خصوصا الى فارس جزائر منها لافت و أوال و خارك و غيرها من الجزائر المسكونهٔ التى ذكرتها و عددتها أيضا فى غربىّ بحر القلزم فيها مياه عذبهٔ و زروع و ماشيهٔ و ضرع، و هذه جملهٔ من صفهٔ هذا البحر فى حدود الإسلام و سأصف ما على سواحله صفهٔ جامعهٔ و أبتدئ بالقلزم منتهيا بالصفهٔ لما على جنباته الى غايته إن شاء الله، (۵) فأمّا القلزم فمدينهٔ على شفير البحر و نحره و منتهى هذا البحر اليها و هى فى عقم هذا البحر من آخر لسانه و ليس بها زرع و لا شجر و لا ماء و ماؤهم يحمل اليهم من أبآر بعيدهٔ و مياه منها على نأى و هى تامّهٔ العمارهٔ بها فرضهٔ مصر و الشأم و منها تحمل حمولات الشأم و مصر الى الحجاز

صورة الأرض، ج۱، ص: ۴۸

و اليمن و سواحل هذا البحر و بينها و بين مصر مرحلتان، ثمّ تنتهى الى شطّ البحر فلا تكون بها قرية و لا مدينة سوى مواضع بها ناس مقيمون على صيد من هذا البحر و شيء من النخيل يسير حتّى تنتهى الى تاران و جبيلان و ما حاذى جبل الطور الى ايلة، و ايلة هذه مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير و هى مدينة لليهود الذين حرّمت عليهم صيود السبت و جعل منهم القردة و الخنازير على ما يذكر أهل الرواية و بها فى أيدى يهودها عهد لرسول اللّه صلّى الله عليه و سلّم، ثمّ الى مدين و الجار و جدّة مواضع غير مأهولة بالناس، و ما انتهى على هذا البحر فى عطوف اليمن الى عمان و البحرين الى عبّادان فقد و صفته فى صفة ديار العرب، (۶) و أمّا عبّادان فحصن صغير عامر على شطّ البحر و مجمع ماء دجلة و هو رباط كان فيه المحاربون للصفريّة و القطريّة و غيرهم من متلصّصة البحر و بها على دوام الأيام مرابطون، [قال كاتب هذه الأحرف اجتزت بعبّادان سنة ثمان و ثلاثين و خمس مائة و هى جزيرة فى وسط الدجلة و ماء الفرات عند مصبّهما فى البحر و اختلاط ماء البحر بهما و فيها رباط يسكنه جماعة الصوفيّة و الزهّاد و ليس بينهم المرأة البتّة و فى هذه الجزيرة مسجد من جانب الشرق و فيه ودائع و أمانات غير مسلّمة الى أحد من الناس و قد قرّر الجماعة بتلك البقعة أنّ كلّ من أخذ من عبّادان شيئا على سبيل الجناية و السرقة فإنّ السفينة تغرق لا محالة بزعمهم حتّى أنّهم قد رسخوا فى قلوب الناس أنّ تراب عبّادان إن حمله أحد بغير أمر أولئك الجماعة فإنّ تلك السفينة التى فيها من ذلك التراب تغرق و ليس كما زعموا، و بعبّادان بئر يزعم الشيعة أنّ الرجل إذا وقف عليها و أقسم على الماء بكلّ اسم خلق الله فإنّ الماء لا يتحرّك فإذا أقسم عليه بعلىّ رضوان الله عليه فإنّ الماء يفور و يصعد الى شفير البئر فمضيت الى تلك البئر و أقسمت عليها بما زعموا فو الله ما تحرّك ماؤها و لا تزعزع من موضعه ففكّرت و قلت هذه الجزيرة فى وسط الماء و هذا الماء فى اليوم و الليلة يمدّ و يجزر مرّتين و مادّة هذه البئر من ذلك الماء و لا يبعد أن يتحرّك الماء فى البئر عند الزيادة و قد اتّفق فى تلك الساعة من لا يهتدى الى حقائق الأشياء، أمّا المدّ و الجزر فإنّه من أعجب الأشياء و ذلك أنّه يبتدئ بالمدّ عند طلوع القمر و لا يزال يتزايد الى أن يصير القمر فى وسط السماء ثمّ يبتدئ بالجزر الى أن يحصل القمر فى أفق المغرب ثمّ يبتدئ بالمدّ

صورة الأرض، ج۱، ص: ۴۹

الى أن يصير القمر فى درجة الرابع وتد الأرض و يبتدئ بالنقصان الى وقت طلوع القمر و يعود فى الزيادة و تختلف أوقاته باختلاف طلوع القمر و مغيبه و تبارك الله أحسن الخالقين، نعود الى نسخة الأصل،] ثمّ يقطع عرض الدجلة فيصير على ساحل هذا البحر الى مهروبان من حدّ فارس و يعترض فيه أماكن تمنع من السلوك إلّا فى الماء و ذلك أنّ مياه خوزستان تجتمع الى الدورق و حصن مهدىّ و الباسيان فتتّصل بماء البحر و مهروبان مدينة صغيرة عامرة و هى فرضة الرجان و ما والاها من أدانى فارس و بعض خوزستان ثمّ ينتهى [۱۵ ب] البحر على الساحل الى سينيز و هى مدينة أكبر من مهروبان و منها يقع هذا السينيزىّ الذى يحمل الى الآفاق ثمّ ينتهى البحر الى جنّابه و هى مدينة أكبر من مهروبان أيضا و هى فرضة لسائر فارس خصبة شديدة الحرّ و على نحر البحر بهذا السيف ما بين جنّابه و نجيرم قرى و مزارع و مساكن متفرّقة شديدة الحرّ، ثمّ ينتهى الى سيراف و هى الفرضة العظيمة لفارس و هى مدينة جليلة و أبنيتها ساج و تتّصل أبنيتها الى جبل يطلّ على البحر و ليس بها ماء يحمد و لا زرع و لا ضرع و هى من أغنى بلد بفارس ثمّ يتجاوزها على الساحل فى مواضع منقطعة تعترض بها جبال و مفاوز الى أن ينتهى الى حصن ابن عمارة و هو حصن منيع علىّ على نحر البحر و ليس بجميع فارس حصن أمنع منه و يقال أنّ صاحبه هو الذى قال الله تعالى فيه و كان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصبا، و ينتهى على ساحل هذا البحر الى هرموز و هى فرضة لكرمان مدينة غنّاء كثيرة النخل حارّة جدّا، [و تعرف بالتير و هى مساكن بين جبلين فى شعب ممتدّ وصلتها سنة تسع و ثلثين و خمس مائة و كان عميدها إذ ذاك محمّد بن المرزبان من أهل شيراز الملقّب بصاحب السيف و القلم و لعمرى إنّه كان مستحقّا لهذا اللقب إذ كانت له أريحيّة خازميّة و مروءة خلقيّة و أهلها ذوو مروءة ظاهرة و رياسة كاملة و كان بها عدّة من التجّر ذوى اليسار من جملتهم رجل يعرف بحسن بن العبّاس له مراكب تسافر الى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۵۰

أقصى بلاد الهند و الصين و مبلغ مضاربيه ... و كان له غلمان زنوج يضربون على باب مسجده خمس نوب فنقل ذلك الى ملك كرمان و هو محمّد بن ارسلان شاه فقال لو ضرب خمسين نوبة لما اعترضت له رجل يتحصّل فى خزائنى من مراكبه فى كلّ سنة نحو من مائة ألف دينار و أنافسه فى الريح الهابّة، عدنا الى الصفة و الشرح،] ثمّ يسير عليه آخذا شطّه الى الديبل و هى مدينة عامرة و بها مجمع التجارة و هى فرضة لبلد السند و بلد السند فهو المنصورة و أراضى الزطّ و المعروفون بالبدهه متّصلين بالملّتان، ثمّ ينتهى الى ساحل بلدان الهند الى أن يتّصل بساحل التبّت و الى ساحل الصين ثمّ لا يسلك بعد ذلك، (۷) و إذا أخذت من القلزم غربىّ هذا البحر فإنّه ينتهى الى برّيّة قفرة لا شىء فيها إلّا ما قدّمت ذكره من الجزائر و البجة فى أعراض تلك البرّيّة و هم أصحاب أخبية شعر و ألوانهم أشدّ سوادا من الحبشة فى زىّ العرب و لا قرى لهم و لا مدن و لا زرع إلّا ما ينقل اليهم من مدن الحبشة و مصر و النوبة و ينتهى فى حدّهم ما بين الحبشة و أرض مصر و أرض النوبة معدن الزمرّد و الذهب و يأخذ هذا المعدن من قرب اسوان على أرض مصر نحو عشر مراحل حتّى ينتهى على البحر الى حصن يسمّى عيذاب و به مجمع لربيعة تجتمع اليه يعرف بالعلاقىّ فى رمال و أرض مستوية و فى بعضها جبال ما بينها و بين اسوان و أموال هذا المعدن تقع الى مصر و هو معدن تبر لا فضّة فيه و هو بأيدى ربيعة و هم أهله خاصّة، (۸) و كانت البجة أمّة تعبد الأصنام بهذه الناحية و ما استحسنوه الى سنة إحدى و ثلثين فإنّ عبد الله بن أبى سرح لمّا فتح مدينة اسوان و كانت مدينة أزليّة قديمة و كان عبر اليها من الحجاز قهر جميع من كان بالصعيد و بها من فراعنة البجة و غيرهم و أسلم أكثر البجة إسلام تكليف

صورة الأرض، ج۱، ص: ۵۱

و ضبطوا بعض شرائط الإسلام و ظاهروا بالشهادتين و دانوا ببعض الفرائض و فيهم كرم و سماحة فى إطعام الطعام فسامحهم فى الأخذ عليهم و هم بادية أغتام متوغّلون فى الجبال و الآجام فى عدد لا يحاط به فجرت أحكامهم على سنن كانت لهم جاهليّة الى بعض أحكام يستعملونها إسلاميّة و سآتى بما رأيته منهم معاينة و مشاهدة و نقلته مفاوهة و مشافهة، (۹) حدّثنى أبو المنيع كثير بن أحمد [۱۶ ظ] الجعدىّ الاسوانىّ أنّ اسوان افتتحها عبد الله بن أبى سرح سنة إحدى و ثلثين و افتتح هيف و هى المدينة التى تجاه اسوان عن غربىّ النيل و قد تدعى قرية الشقاف و افتتح ابلاق و هى مدينة فى وسط ماء النيل على حجر ثابتة فى وسط الماء منيعة كالجزيرة و بينها و بين اسوان ستّة أميال و بحذائها على النيل من جهة المشرق مسجد الردينىّ و قصر آليه و تحت المسجد بيعة للنوبة و هو آخر حدّ الإسلام و أوّل حدّ النوبة، و لم يزل المسلمون مستظهرين على جميع من جاورهم هناك من النوبة و البجة الى سنة أربع و مائتين فإنّ البجة كانت تمتار من قفط و هى مدينة تحاجز قوص و كان للبجة رئيس يدخل الى قفط يعرف بمحا فيمتار البرّ و التمر على مرّ أوقاته فيكرم و يعظم و كان لأهل قفط أيضا رئيس يعرف بإبراهيم القفطىّ فخرج حاجّا فى جماعة من أهله يريد عينونا و العبر اليها من ناحية جزائر بنى حدان على طريق طلفه فتطرّق بمحا البجاوىّ و جماعته التى صحبته على طريق الزيارة و كان بتلك الأرض فى غاية الخبرة فاجتمعت البجة الى محا رئيسهم فقالت لا بدّ من قتل هذا المسلم لمعرفته بديارنا و مقارّنا و مظانّ مياهنا و لسنا نأمنه فدافعهم عن ذلك فغلبوه على رأيه و اتّفقوا على إتاهته فأتاهوه فمات عطشا و من كان معه و كان له ولد صغير فرقّ له بعض البجة فسرّيه بالحيلة الى ناحية اتفوا من الصعيد فأوصله أهلها الى قفط فأخبرهم بحال أبيه فأسرّوا ذلك و لم يظهروه و أتى محا على عادته ليمتار فى ثلثين رجلا من وجوه قومه

صورة الأرض، ج۱، ص: ۵۲

فأنزلوهم فى بعض بيعهم و أتوا عليهم أجمعين، و اتّصل ذلك بالبجة فساروا اليهم و قد جلا بعض أهل قفط مغربين ففتحوها فى أحد شهور سنة أربع و مائتين و سبوا منها سبع مائة نسمة و قتلوا منها خلقا واسعا و كان بقفط حسنىّ له محلّ فقصد البجة فردّ عليه بعض السبى و انحدر أهل قفط الى مصر و السلطان ببعض شأنه مشغول فأقاموا يرفعون بمصر سبع سنين و كان بحوف مصر رجل يعرف بحكم النابغىّ من قيس عيلان ثمّ من بنى نصر بن معوية ذو يسار و خير و جهاد فقصدوه و شكوا اليه فقال تجيئونى بكتاب القاضى و

شيوخ البلد لأكفيكم ففعلوا ذلك فسار معهم فى سنة اثنتى عشرة و مائتين حتّى ورد الى قفط فى ألف رجل من قومه خمس مائة فارس و خمس مائة راجل و غزا البجة فأقام ببلدهم ثلث سنين يجوس ديارهم و يسبيهم و مناخه بالمكان المعروف يومنا هذا بماء حكم و هو عن مرحلة من عيذاب و على أربع مراحل من العلاقىّ و استرجع السبى عن آخره و قفل معاودا الى اسوان فنزلها ثمّ انحدر فأقام بطود مدينة كانت قريبا من قوص و ملكها و مات بها بعد استجارة العلوىّ العمرىّ بحكم النابغىّ فستره و طالبه به السلطان فحلف أيمان البيعة أنّه لا يعرف له مكانا حانثا فخرج عن يمينه عن كلّ ما حنث فيه، ثمّ دارت الأيّام و أتى هذا العلوىّ الى منزل حكم فسلبه بطود و قهره و شرّده عنه خلافا [۱۶ ب] لما عامله به من الإحسان اليه و أخبارهما تطول، و عند فتح قفط [....] ما بنى سور اسوان و قوص فى سنة اثنتى عشرة و أعيدت الى ما كانت عليه قبل تخرّبها ، (۱۰) ثمّ إنّ البجة افتتحت انبوا مدينة من الصعيد كان بينها و بين

صورة الأرض، ج۱، ص: ۵۳

اسوان مرحلة سنة اثنتين و ثلثين و مائتين من المتوكّل و كان يلى اسوان و عينونا و الحوراء عبيد بن جهم مولى المأمون و كانت انبوا مضافة اليه فركب من عينونا و الحوراء فى جلاب فأرسى بأقاصى جزيرة مصر بمعسكره فأثخن فى البجة قتلا و سبيا و استردّ ما سباه البجة من انبوا و عاد الى اسوان و عبر الى عينونا، و كان فى بعض أصحابه من عاين التبر و آثار العمل فيه للروم بالجزيرة عند أوّل دخولهم مع عبيد بن جهم مولى المأمون فنكصوا الى البلد من سنتهم و صادف ذلك دخول محمّد بن يوسف الحسنىّ الأخيضر اليمامة و انقشاع أهلها من جوره الى أرض مصر و المعدن فى آلاف كثيرة فغلبوا على من كان بها من أهل الحجاز لسنتهم و فورهم و تكامل بالعلاقىّ قبائل ربيعة و مضر و هم جميع أهل اليمامة فى سنة ثمان [و ثلثين] و مائتين و وقع بين رجل منهم و رجل من البجة شحناء فسبّ البجاوىّ النّبىّ صلّى الله عليه فكتب بذلك الى المتوكّل فأنفذ رجلا من ولد أبى موسى الأشعرىّ يعرف بمحمّد القمىّ و كان فى محبسه مطالبا بدم لا ولىّ له فأنجده بما طلبه من الرجال و السلاح و خيّره حين أطلقه فيما يحتاج اليه فاختار ألف رجل منهم خمس مائة فارس و خزانة بعشرة آلف دينار فقبضها بمصر و سار بها الى اسوان و أتى العلاقىّ فأخذ من ربيعة و مضر و اليمن ثلثة آلف رجل من كلّ بطن ألف رجل فلقى ملك البجة و كان إذ ذاك على بابا و هو فى مائتى ألف معهم ثمنون ألف نجيب فلمّا التقى الجمعان و عاين ذلك المسلمون هالهم و عظم عليهم فقال لهم القمىّ ما لنا من محيص فقاتلوا عن دمائكم و أحسابكم فإنّكم حاصلون و همّ على بابا بكبس المسلمين لوقته فحال بينه و بين ما أراد الليل فرمى القمىّ حسك الحديد سورا على عسكره و بقيّة هذا الحسك و هذه الخزانة باسوان الى الآن و أنشأ القمىّ كتبا فى طوامير كتّان بالذهب و جعلها بخطّ جليل على الأسنّة و نادى عند طلوع الشمس هذه كتب أمير المؤمنين اليكم معاشر البجة و هم صافّون فلمّا رأت البجة ذلك استطرفته و تحلّلت من المصافّ

صورة الأرض، ج۱، ص: ۵۴

و قصدته و كان القمىّ قد حمل البنود على الفوالج و الطبول فلمّا التفّت البجة بالطوامير ضربت الطبول الزنجيّة فاضطربت صفوفهم فحمل عليهم القمىّ و قد التفّت جمالهم و شردت فهلك بتلك الغرّة عامّتهم و وطئتهم الجمال فقتل و أسر و سبى و أخذ على بابا أسيرا و كان قد قعد على ربوة و حلف ألّا يزول أو تنقلع الربوة فلمّا أسره القمىّ عاد به و بما معه من الغنيمة الى اسوان فباع ذلك و كان مبلغه خمسين ألف أوقية تبرا، و أنفذ الى يركى ملك النوبة فأتاه طائعا فانحدر بالجميع الى بغداذ فى سنة ثمان هذه المؤرّخة فأدخلهما الى السلطان فنودى عليهما فبلغ ملك البجة سبعة دنانير و ملك النوبة تسعة فأجرى لكلّ واحد منهما فى كلّ يوم مثل ثمنه و عاد الى [۱۷ ظ] اسوان بعد مواقفتهما على أداء الجزية، و أتى العلاقىّ و كان خلّف عليها أشهب ربيعة من بنى عبيد بن ثعلبة الحنفىّ و هو جدّ أبى عبد الله محمّد بن أحمد بن أبى يزيد بن بشر صاحب المحدثة و هى المدينة التى لربيعة محادّة لاسوان و أبو عبد الله هذا ابن عمّ أبى بكر إسحاق بن بشر صاحب العلاقىّ و كان قد مسّ الناس بالجور فرفع عليه الى القمىّ فقبض عليه فلم يجد لديه شيئا و كانت مروءة أشهب تستغرق عائده فحبسه طويلا ثمّ أطلقه و قد أحفظ أشهب فعل القمىّ به و كان فى جملة رجاله فعمل على قتله و قيل للقمىّ ذلك فقال لأن يلقى الله بدمى أحبّ اليّ من أن ألقاه بدمه فقتله أشهب فى سنة خمس و أربعين و مائتين، (۱۱) و زال مذ

ذلک أمر السلطان بالعلاقیّ و هلک المتوکّل و ضبطت البجهٔ أطرافها و الإسلام فی بعضها مریض، و بلدهم بین النیل و البحر و یصل الیهم التجّار بالصوف و القطن و الحیوان من الرقیق و الإبل فیکون غایهٔ ما یقطعونه من بلدهم و یمکنهم التصرّف فیه نواحی قلعیب و هی مواضع ذوات میاه فی أودیهٔ متّصلهٔ بجبل یعرف بملاحیب و أکبر أودیته وادی برکه

صورهٔ الأرض، ج۱، ص: ۵۵

و بین قلعیب و برکه غیاض عادیّهٔ ذوات أشجار و ربّما کان دائر الشجرهٔ من أربعین ذراعا الی خمسین ذراعا و ستّین ذراعا و أفنیتها مراتع الأفیلهٔ و الزرافات و السبع و الکرکدّن و النمر و الفهد الی سائر الوحوش سائمهٔ راتعهٔ فی غیلها و میاهها و غیاضها، و یتّصل بحدّ ملاحیب من شقّه الشرقیّ واد یعرف بصیغیوات کثیر الماء أیضا و الشجر و الخمر و الوحش و بنواحی برکه بطون کدیم و هی المعروفهٔ بعجات من البجهٔ و یتّصل بها ممّا یلی سواحل البحر الجاسهٔ بطون کثیرهٔ فی السهل و الجبل، و کأنّ هذا الجبل آخذ بأودیتهٔ من نواحی البحر المالح الی دکن و هی أرض مزارع أحواف یجری الیها ماء النیل و یزرع علیها الذرهٔ و الدخن أهل النوبهٔ و من یحضر معهم من البجهٔ و فی شقّ برکه قبائل کثیرهٔ تعرف ببازین و باریه و هم أمم کثیرهٔ قتالهم بالقسیّ و السهام المسمومهٔ و الحراب بغیر درق، و من رسم باریه قلع ثنایاها و بحر آذانها و یسکنون فی جبال و أودیهٔ و یقتنون البقر و الشاء و یزرعون، و الذی بین وادی برکه و جبلها المدعوّ ملاحیب راجعا الی الإسلام قلعیب و انبوریت و جبال دروریت و میاه متّصلهٔ و بلدان عامرهٔ لبیواتیکه من قبائل البجهٔ تزید علی الإحصاء و لا یبلغ عددها لتوغّلهم فی أعماق الصحاری، و برکه تقارب جزیرهٔ باضع و بینهما یوم و تکون نحو ثلث مراحل مملوءهٔ ببطون قعصه و هی أجلّ بطون البجهٔ الداخلهٔ و أکثرها مالا- و أعزّها، و من دون هؤلاء الماتین المتّصلون بدهرا و سیتراب و غرکای و دحنت الی الجبل المعروف بمسمار و تحاذی سواکن بطون تعرف برقابات و حندیبا و هم خفراء علی الحدربیّهٔ و خفارتهم لعبدک و هم تحت یده، و عبدک خال ولد أبی بکر إسحاق بن بشر صاحب العلاقیّ، [۱۷ ب] و بعض هؤلاء القوم فی خفارهٔ کوک خال أبی القسم حسین بن علیّ بن بشر،

صورهٔ الأرض، ج۱، ص: ۵۶

و عبدک و کوک رئیسا الحدارب أجمع و فیهم رئیسان رئیس لأهل کلّ بیت ذمام و رئیس یسوسهم ، فأمّا بطون الحدارب فمنهم العریتیکه و السوتباروا و الحوتمه و العکنبیرا و النجیروا و الجنیتیکه، و الواخیکه و الحربیب بطن واحد و یتفخّذ لهؤلاء القوم کلّ بطن الی نحو مائهٔ فخذ و لکلّ فخذ رئیس أو رئیسان و جمیعهم منتجعون لا حاضرهٔ لهم و تکون بلادهم التی تمطر و تزرع و ینتجعونها بمواشیهم طولا نحو شهرین مسیرهٔ و العرض من البحر الی النیل و مشاتیهم علی البحر المالح و السواحل و مصائفهم الأودیهٔ التی فی وسط البلد ذوات میاه مراع تقوم بهم و خریفهم فیما قارب النیل مغرّبین عن بلادهم بدیار قلیلهٔ الشجر کثیرهٔ نبات الأرض و الغدران و طعامهم اللحم و اللبن خاصّیهٔ و ضعفاؤهم یأکلون الوحش کالغزال و النعام و الحمار و هم مسلمون بالاسم و میاسیرهم لا یرون أکل الصید و لا مخالطهٔ آکله و لا استعمال آنیهٔ من استجاز ذلک و استحلّه و لا یحلبون فیها و لا یشربون، و لغتهم لغهٔ تعمّ البجهٔ و جمیعها أعجمیّهٔ و لبعضهم لغهٔ یتفرّد بها، (۱۲) و تتّصل بلادهم ببلاد النوبهٔ و الحبشهٔ و هم نصاری و تقرب ألوانهم من العرب بین السواد و البیاض و هم مفترقون مجتمعون الی أن یحاذوا عدن و ما کان من جلود النمور و الجلود البقریّهٔ الملمّعهٔ و أکثر جلود الیمن التی تدبغ للنعال فیقع من ناحیتهم الی عدن و عدوهٔ الیمن، و الجمیع أهل سلم و لیست دارهم بدار حرب و علی شطّ البحر بنواحیهم منهل یقال له زیلع فرضهٔ للعبور الی الحجاز و الیمن، ثمّ یتّصل ذلک بمفاوز النوبهٔ و النوبهٔ نصاری أیضا و بلدهم أوسع من الحبشهٔ فی نواحیه و عمارتهم أکثر ممّا بالحبشهٔ و یخترق نیل مصر فیما بین مدنهم و نواحیهم و قراهم عامرهٔ خصبهٔ کثیرهٔ التمر و الزرع و الخضر ،

صورهٔ الأرض، ج۱، ص: ۵۷

(۱۳) و من أعمر بلادهم نواحی علوه و هی ناحیهٔ لها قری متّصلهٔ و عمارات مشتبکهٔ حتّی أنّ السائر لیجتاز فی المرحلهٔ الواحدهٔ بقری عدّهٔ غیر منقطعهٔ الحدود ذوات میاه متّصلهٔ بسواق من النیل و کان ملکهم و أنا بالناحیهٔ اسابیوس کرجوه بن جوتی و قد خلا له فی

ملكه سبع عشرة سنة و توفّى فجلس ابن أخته اسطابنوس بن يركى و هو مقيم فيهم الى وقتنا هذا و من سنّة جميع السودان إذا هلك الملك أن يقعد ابن أخته دون كلّ قريب و حميم من ولد و أهل، و طول بلده من ناحية المقرّه الذى هو آخر ملك دنقله فى طاعة العلوىّ الى بلد كرسى آخذا على النيل و مسافة ذلك بالطول شهر واحد و عرضه من النيل الى تفلين و يكون ذلك ثمانى مراحل مشرّقة و فى خلال ذلك النهر المعروف بسنسابى و يفرع الى النيل و أصله من ناحية الحبشة و النهر المعروف بالدجن يأتى من بلد الحبشة فينقطع فى أعمال دجن و مزارعها و دجن هذه قرى متّصلة ذوات مياه و مشاجر و زرع و ضرع، و الى وسط هذا الوادى تفلين قرى أيضا للبادية منهم [۱۸ ظ] ينتجعونها للمراعى حين المطر و لهم ملك مسلم يتكلّم بالعربيّة من قبل صاحب علوه و يختصّ أهل تفلين بالإبل و البقر و لا زرع لهم فيهم مسلمون كثيرون من غير ناحية على دينهم يتجرون و يسافرون الى مكّة و غيرها، و يجاور تفلين بازين أمم مقيمة فى أخصاص كالقرى لهم الماشية من البقر و الزرع و رياستهم بأيدى شيوخهم و ليس فيهم إلّا راجل و سلاحهم الحراب و المرّان و لا فارس فيهم و ليس لأحد عليهم طاعة و لا دين لهم و لا هم متّصلون بشريعة غير الإقرار بالله وحده و التسليم له و اسمه جلّ و عزّ عندهم أننه، و من تفلين الى وادى بركه ثلثة أيّام و قد تقدّم أنّ وادى بركه يجرى من بلد الحبشة مجتازا على بازين و آخذا الى ناحية البجة و ينصبّ بين سواكن و باضع فى البحر المالح، و فى أعالى بلد علوه نهر يجرى من المشرق يعرف باور و عليه مرنكه قبيل من النوبة فينصبّ فى النيل و من أعلاه عن يومين نهر اتمتى و عليه من النوبة المعروفين بكرسى أمّة كثيرة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۵۸

و يتّصلون ببلد الحبشة على هذا النهر و هذه الأنهار كبار غزار تتّصل بنهر سوبه الى بلد المقرّه و هو بلد دنقله و يتّصل باسوان، و ذكر قوم أنّهم يجتازون فى أعالى هذا النهر أعنى النيل من أعالى بلد كرسى ببلد طبلى و هو منتهى ملك علوه على النيل فلا يخالطونهم و لا يتاجرونهم عراة حاسرين و لا يعلم ما غذاؤهم و لا كيفيّة سيرتهم و أهل كرسى أصحاب زفال و هو الجلد الذى يتّزرون به عرضا و يستخرج طوله من تحت الأفخاذ فيغرز عند السرّة فيما انعقد من الزفال، و من غرب النيل نهر يجرى من ناحية المغرب كبير غزير الماء يعرف بالنيل الأبيض و عليه قوم من النوبة و بين النيل الأبيض و عمود النيل المتقدّم ذكره ببلد علوه جزيرة لا يعرف لها غاية بها جميع الوحش و يسكنها النوبة و الكرسى و من لا يقدر لامتناع جانبه أن يحاط بمعرفته، و من غربىّ هذا النيل الأبيض أمّة يعرفون بالجبلّيين فى طاعة ملك دنقله هو ملك المقرّه و مريس و مريس فهى من حدّ اسوان الى آخر بلد المقرّه، و بين علوه و بين الأمّة المعروفة بالجبلّيين مفازة ذات رمال الى بلد امقل و هو ناحية كبيرة ذات قرى لا تحصى و أمم مختلفة و لغات كثيرة متباينة لا يحاط بها و لا تبلغ غايتهم يعرفون بالاحديين و فيهم معادن الذهب الجيّد و التبر الخالص و الحديد متّصلين بالمغرب الى ما لا يعرف منتهاه زيّهم زىّ المغاربة أرباب جمال و خيل براذين غير تامّة الخلق لقصرها و قرب لبودها و سلاحهم فيه درق كدرق المغاربة بيض و حراب و سيوفهم أيضا غير تامّة و فيهم جند يلبسون السراويلات المفتّحة الطوال و نعالهم كنعال المغاربة و هم على النصرانيّة و هم فى طاعة ملك علوه و بينهم و بين ملك علوه خمس مراحل ثلث منها مفازة، و ملوك النوبة اثنان ملك المقرّه و هو ملك دنقله و ملك علوه و ملك المقرّه تحت ملك علوه،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۵۹

(۱۴) و أمّا [۱۸ ب] بلد الحبشة فملكتهم مرأة مذ سنون كثيرة و هى القاتلة لملك الحبشة المعروف كان بالحضانى و هى مقيمة الى يومنا هذا مستولية على بلدها و ما جاورها من بلد الحضانى فى دبور بلد الحبشة و هو بلد عظيم لا غاية له و مفاوز و برارىّ يتعذّر مسلكها، (۱۵) ثمّ ينتهى ذلك الى أرض الزنج ممّا يحاذى عدن، و جميع بلد المقرّه فى يد ملك دنقله و بيد ملك علوه من معادن التبر الغزير الكثير ما ليس مثله فى نواحى غيرهم من المواضع المشهورة باستخراجه و ليس فيهم من يعرض له و لا يستخرجه خوفا من أن يشتهر فيغلب الإسلام عليه و هذه المعادن تمتدّ فى بلد الزنج على البحر و فيما بعد منه الى أن تتجاوز حدود الإسلام و تحاذى بعض بلدان الهند، و قد ذكر قوم أنّ فى أطراف الزنج صرودا فيها زنج بيض و قد قدّمت أنّ بلدهم قليل العمارة قشف تافه الزرع إلّا ما

اتّصل منه بمستقرّ الملك،

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۶۰

[المغرب]

اشارة

(۱) و أمّا المغرب فبعضه ممتدّ على بحر المغرب فى غربيّه و لهذا البحر جانبان شرقىّ و غربىّ و هما جميعا عامران، (۲) [و أمّا الغربىّ فمن مصر و برقة الى افريقية و ناحية تنس الى سبتة و طنجة فللعرب خاصّة و ازيلى و ما فى أضعاف هذا الإقليم، و أمّا الشرقىّ فهو بلد الروم من حدود الثغور الشأميّة الى القسطنطينيّة الى نواحى رومية و قلورية و الانكبردة و الافرنجة و جليقية ثمّ باقى ذلك الى آخره للعرب فى يد أصحاب الاندلس،] (۳) [و قد صوّرت مدنه و ذكرت أعماله و ارتفاعها و ما فيها من التجارات و المجالب الى ما سوى ذلك ممّا لجزيرة الاندلس على البحر و كنت جمعتها و بلد الروم ثمّ رأيت تفريقهما و وضع كلّ صورة منهما على حدة من صاحبتها و سآتى بحدودها بعد، و الذى يساير أرض الاندلس و يحاذيه من بلد الإسلام صقلّيّة و صقلّيّة تجاه اقليبية من أرض افريقية ثمّ تمتدّ أرض الاندلس على البحر،] (۴) و قد بدأت بذكر حدّه المحيط به من قبوله و حدّه من مصر الإسكندريّة على النيل و أرض الصعيد حتّى يمضى على ظهر الواحات الى برّيّة تنتهى الى أرض النوبة آخذا الى البحر المحيط و ممتدّا الى حقيقة الغرب بنواحى أرض غانه و أرض اودغست ثمّ يستمرّ عاطفا

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۶۱

الى الشمال مارّا على بلاد برغواطه و ماسه الى فوهة بحر الروم الذى يأخذ من البحر المحيط بين أرض طنجة و أرض الاندلس و راجعا حدّه من أرض طنجة على البحر الى نواحى تنس و الى تونس و المهديّة من أرض افريقية مقبلا على أرض اطرابلس و برقة الى الإسكندريّة، (۵) [و ازيلى يحاذى أرض الاندلس المذكورة المحاذية لبلد الروم و أرض صقلّيّة، ثمّ تمتدّ أرض الاندلس على البحر فتواجه من أرض المغرب تونس و هكذا الى طبرقة الى جزائر بنى مزغنّان الى تنس الى و هران الى نكور الى سبتة ثمّ الى ازيلى،] (۶) [ثمّ البحر المحيط الجنوب فيمرّ على ماسة و مغارب سجلماسة و ظاهر السوس الأقصى و يمتدّ على ظواهر اودغشت و غانة و كوغة و قبول سامة و غريوا فى بلد لا عدد لأهلها الى أن يصل الى البرّيّة التى لا تسلك الى الحين و يكون بين دبرته و بلاد الزنج برارىّ عظيمة و رمال كانت فى سالف الزمان مسلوكة و فيها الطريق من مصر الى غانة فتواترت الرياح على قوافلهم و مفردتهم فأهلكت غير قافلة و أتت على غير مفردة و قصدهم أيضا العدوّ فأهلكهم غير دفعة فانتقلوا عن ذلك الطريق و تركوه الى سجلماسة، و كانت القوافل تجتاز بالمغرب الى سجلماسة و سكنها أهل العراق و تجّار البصرة و الكوفة و البغداذيّون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق فهم و أولادهم و تجاراتهم دائرة و مفردتهم دائمة و قوافلهم غير منقطعة الى أرباح عظيمة و فوائد جسيمة و نعم سابغة قلّ ما يدانيها التجّار فى بلاد الإسلام سعة حال و لقد رأيت صكّا كتب بدين على محمّد بن أبى سعدون باودغشت و شهد عليه العدول باثنين و أربعين ألف دينار،] (۷) و أمّا الاندلس فهى جزيرة تتّصل بالبرّ الأصغر من جهة جليقيه

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۶۲

و افرنجه و هى فى جملة المغرب و يحيط بها الخليج المذكور من مغربها و البحر المحيط من بعض شمالها و شرقها و حدّها من نحو بلد جليقيه على كورة شنترين الى لشبونه الى اكشنبه و الى نواحى جبل العيون و ما لديه من النواحى الى جزيرة جبل طارق الى مالقه و الى المريّه ثمّ الى بلاد مرسيه و بلنسيه الى نواحى طرطوشه ثمّ يتّصل ببلاد الكفر ممّا يلى البحر بناحية افرنجه و ممّا يلى المغرب ببلاد غلجشكش و هم جيل من الانكبرذه ثمّ الى بلاد بشكونس ثمّ بلاد الجلالقة حتّى ينتهى الى البحر، (۸) و قد صوّرتها بذاتها و

رسمت فيها مواقع مياهها و مجاريها و أمكنة مدنها و مواقعها من شرقها و غربها و جنوبها و شمالها فى جملة صورة المغرب، و ابتدأت منها بصورة ما بين مصر الى القيروان و المهديّة و ما فى أضعاف ذلك و أتبعتها بباقى صورته من القيروان و المهديّة الى طنجة ممّا يحتاج الى رسمه و ذكره و مثاله و الى الله الرغبة فى التوفيق لما جانس الحقّ و واقف الصدق و هو حسبى و نعم المعين،

(۹) و هذه صورة المغرب، [۱۹ ظ]

إيضاح ما يوجد فى القسم الأوّل من صورة المغرب من الأسماء و النصوص، قد رسم البحر فى وسط الصورة و يوجد على ساحله الأسفل من المدن مبتدئا من اليسار سرت، اجدابيه، برقه، ثمّ جبل برقه ثمّ مدينة الاسكندريه، و يقرأ من وراء جبل برقة بين برقه و وادى مخيل ثلث مراحل و أسفل ذلك مراقيه و عن يسار الاسكندريّة مرحله، و يقابل سرت فى أسفل الصورة فى البرّ جزيرة ودان و عن يمين ذلك مقابلا لاجدابية جزيرة اوجله، و يقرأ بين اجدابية و برقة فى البرّ المحمديه،؟؟؟، تاكست، و فى داخل البرّ الأسفل يوجد جدول يشتمل على عدّة من الأسماء و هى من اليسار الى اليمين الراشده و غابه ركوط، قصور حسان، مغمداس، قبر العبادى، اليهوديه، منهوشاى و منها الى زق زم، نخيل قحطبه، الفاروج، بنى ابلوا، وادى مسوش، الجرنويه، جراوه او تيم ليلين، وادى مخيل، قصر بنى تازولا ، كرم الجبار و بالقرب منه حمويه، جب

صورة الأرض، ج۱، ص: ۶۳

الربل، قصور الروم، مغائر الرقيم، العقبه و دونها رماده، قصر الابيض، حانوت بنى ابى ساره و هو حوانيت الرمل، خرائب القوم، سكه الحمار او قباب معان، جب العوسج، الكنائس، الطاحونه، الحتيّه، ذات الحمام، فم الغراب،؟؟؟ ، ترنوط، ذات الساحل، و رسم عن يمين الاسكندريّة فوهة نهر النيل و عليه دون تشعّبه مدينة الفسطاط و تقابلها فى الجانب الآخر الجيزه و بينهما الجزيره، و يقرأ فى أعلى النيل و قاطعا له حدود مصر و اعمالها، و أعلى ذلك حدود الشأم، ثمّ حدود الثغور، ثمّ عن يسار ذلك نواحى اقليميه، و يلى ذلك عن يساره على البحر انطاليه ، و من عند ذلك يأخذ خليج من البحر الى أعلى الصورة و بقرب هذا الخليج فى البرّ عن يمينه بحيرة نيقيه ثمّ بحيرة نقموذيه، و عن يمين هذه البحيرة عند طرف الصورة الأعلى يقرأ بلد الناطليق ثمّ بلد هرقله ثمّ ارض الصرهوه ، و كتب موازيا للطرف الأعلى من الصورة كلّه صورة المغرب و بلد الروم، و فى البحر من الجزائر قبرص و اقريطش، و على وسط الخليج من الجانب الأيسر مدينة القسطنطينيه و يقرأ أسفلها على الساحل نواحى مجذونيه، ثمّ أسفل ذلك فى لسان البرّ المدوّر الخارج فى البحر أرض بلبونس دورها الف ميل و فيها امم للروم و بها نيف و سبعون حصنا و يضيق طرفها من جهة البرّ و يدعا بكسميلى اى ستّة اميال، [۱۹ ب] إيضاح ما يوجد فى القسم الثانى من صورة المغرب من الأسماء و النصوص، قد رسم على ساحل البحر من أسفله من المدن مبتدئا عن اليمين اطرابلس، قابس، اسفاقس، المهديه، سوسه، اقليبيه، تونس، طبرقه، مرسى الخرز، بونه، مرسى الدجاج، جزائر بنى مزغناى ، تامدفوس، اشرشال ، برشك ، و مقابلا لا طرابلس فى أسفل الصورة فزان و يقرأ بينهما وادى الرمال او قصر ابن اسود و عن يمين ذلك المحتنى او حليما، و رسم عن يسار ذلك جبل يقرأ عنده جبل نفوسه و سكانه الشراه و يتّصل بالجبل مدينتا شروس و جادوا، و يقرأ بين جبل نفوسه و مدينة قابس مبتدئا من اليسار وادى اجاس، بئر زناته او ازروار، تامديت او تاجرجت ، ابار العباس او فاضلات، المنقوب و بينهما صبره، بئر الصفا و هى بئر الجمالين، و عن يسار قابس مبتدئا عن اليسار اللحمتين، حدوبس، فلانس، فندق ابن لقمن، عين الزيتونه،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۶۴

ثمّ يلى ذلك من الجانب الأيسر فى وسط البرّ مدينة القيروان و فى الساحة التى أسفل القيروان من المدن قلشانه، مجانه، قاصره، القصور، قفصه، الحمه، نفزاوه، سماطه، قسطيليه، نفطه، تاميل، مداله، و رسم عن يسار هذه المدن جبل اوراس و عن يساره من المدن بسكره، تهوذا، بادس، و يأخذ من القيروان طريق الى جبل اوراس عليه مدينتا سبيبه و باغاى، و طريق آخر هو أقرب من الساحل يأخذ

على الاربس، تيفاش ، قصر الافريقى، تيجس، القسطنطينيه ، ميله، مقره، ثمّ الى المسيله و هى على نهر ينصبّ فى البحر عند اشرسال، و بين ميله و هذا النهر مدينهٔ سطيف، و بين تيفاش و باغاى مدينتا ابه و قصر الزيت، و يأخذ من باغاى طريق الى مقره عليه دار ملول و طبنه و طريق آخر الى طبنه عليه بلزمه و نقاوس، و على الطريق الآخذ من تيجس الى مقره مدينهٔ دكمه، و يأخذ من المسيله من جانب النهر المقابل طريق الى اليسار عليه ابن مامه و طريق آخر يميل الى الأعلى عليه تامزكيدا، اشير، سوق كران ، مليانه، و بين سوق كران و النهر مدينهٔ حائط حمزه على الطريق الآخذ الى سطيف، و يقرأ موازيا للطرف الأسفل من الصورهٔ [و هذه نواحى الس] ودان المختصّهٔ بلادهم على البحر المحيط و بين هذا النصّ و الطرف غريوا ، كزم، زغاوه، ثمّ بين جبل نفوسه و الطرف نواحى كوكو، و فى البحر رسم من الجزائر مالطه، قوسره، صقليه، سردانيه، قرشقه، و فى قسمه الأعلى جنوه، و تخرج قطعهٔ مدوّرهٔ الشكل من البرّ الأعلى الى البحر يقرأ فى داخلها ارض قلوريه و على ساحلها من المدن مبتدئا من اليمين قسانه، رسيانه، قطرونيه، سبرينه، استلوا، جراجيه، قسطرقوقه ، بوّه، ابن ذقتل، ريّو، منتيه، كسشه، مسنيان ثمّ مدينهٔ لا اسم فيها و فوق هذه المدينهٔ فى الجبل شلورى ثمّ عن يسار ذلك فى الجبال و على الساحل ملف، نابل، غيطه، بيش، قرره ، و عن يمين أرض قلوريه رسم خليج مثلّث الشكل يدخل فى البرّ و على طرفيه مديننا بذرنت و اذرنت، و يقرأ عند ساحل هذا الخليج فى البرّ هذا جون البنادقين و فيه جزائر كثيرهٔ مسكونهٔ و أمم كالشاغرهٔ

صورهٔ الأرض، ج۱، ص: ۶۵

و ألسنهٔ مختلفهٔ من افرنجيين و نمتين و صقالبه و برجان و غير ذلك، و عن يسار هذا النصّ بينه و بين الجبال مضيق سكن، [۲۰ ظ] إيضاح ما يوجد من الأسماء و النصوص فى القسم الثالث من صورهٔ المغرب، يوجد على ساحل البرّ الأسفل من المدن ابتداء عن اليمين تنس، وهران، واسلن، ارجكوك، مليله، نكور، سبته، طنجه و بينهما مرسى موسى، ثمّ ازيلى، و من وراء ازيلى فى البرّ زلول، جرمانه، الحجر، تاوارت، البصره، الاقلام، و عن يسارها بحيرهٔ ريغه ثمّ أسفل ذلك كرت، و عند رباط على البحر مصبّ نهر و على ذلك النهر تجاه رباط سله ثمّ مليله، حجنه، دخله، فاس و تجاهها فاس مرّهٔ ثانيهٔ، و من وراء هذه المدن فى البرّ بنى سدال، الحبش، بنى رجيك، و عن يسار سله تخرج قطعهٔ من البرّ الى البحر يقرأ فيها هذه زنقهٔ فى البحر المحيط و هى حومهٔ بلد برغواطه و ديارهم، و أسفل هذه الزنقهٔ مصبّ نهر و بين هذا النهر و الساحل من المدن رباط ماسه و تامدلت ، و على النهر اغمات و السوس، و من وراء النهر مقابل السوس اودغست، ثمّ فوق ذلك سجلماسه فى عطف نهر آخر، و يأخذ من فاس طريق الى تنس على البحر و عليه من المدن نمالته، كرانطه و هما على نهر فاس كرماطه، مزاوروا، تابريدا، صاع، جراوه، تنمسان، ترفانه، افكان و فى الجانب الآخر من نهرها افكان مرّهٔ ثانيهٔ ثمّ يلل ، شلف، غزه، تاجنا، و أسفل تنس على طرف الصورهٔ الخضرا و هى على نهر يأتى من الأسفل و عند مبتدأ هذا النهر تاهرت، و أسفل ذلك فى البرّ سامه ثمّ أسفل ذلك عند طرف الصورهٔ غانه، و كتب موازيا لهذا الطرف هذه نواحى ممالك ال و تمام هذا النصّ فى القسم الثانى من صورهٔ المغرب كما مضى فى إيضاحه، و فى البحر شكّلت جزيرتا ميرقه و جبل الفلال، و أمّا البرّ الأعلى فيقرأ فى قسمه الأيمن عند البحر بشكونس، افرنجه، روميه، بلاد غلجشكش ، و عن يسار ذلك على ساحل البحر الجزيره، بلنسيه، قرطاجنه، المريه، الجزيره و من وراء هذه المدن فى البرّ طرطوشه، مرسيه، كورهٔ تدمير، مدينهٔ التراب، بجانه، مالقه، وادياش، و جيان فى عطف نهر، و رسم وراء هذا النهر نهر آخر يقرأ

صورهٔ الأرض، ج۱، ص: ۶۶

عنده هذا نهر قرطبه و يأخذ على اشبيليه و يقع فى بحر الغرب محاذى لمرسى موسى من أرض طنجه و مدينهٔ قرطبه من جانب النهر المقابل فى عطفه، و بين هذين النهرين من المدن ابتداء عن اليمين تطيله، سرقصه، وشقه، و شاطبه و لبيره على النهر الأوّل ثمّ عن يسار ذلك استجه، تاكرنه ، قلّب، قلسانه، شريش، قرمونه، مراد، غرغيره، و بين آخر نهر قرطبه و البحر يقرأ اقليم اخشنبه و فيه من المدن على البحر لب، شلب، قصر بنى ورداسن و وراء ذلك فى البرّ لبله، جبل العيون، اخشنبه ثمّ اشبيليه على النهر، و فى أعلى الصورهٔ نهر ثالث ينصبّ فى البحر و يقرأ عنده هذا الوادى عليه مدن للمسلمين و أعمال و رساتيق و يعرف بوادى تاجو و لجليقيه عليه غير مدينهٔ و

يشقّ أكثر جليقيه الى ان يقع بين المعدن و لشبونه من أرض الاندلس فى البحر المحيط، و عند مصبّ هذا النهر مدينة المعدن، و بين هذا النهر و نهر قرطبه من المدن طليطله، طلب ايره، مخاضه البلاط، مكناسه ، قصراش، ترجيله، مدلين، ماردة، قنطرة السيف، بطليوس، ثمّ أسفل ذلك ملقون ، قلعة رباح، كركويه، و بين نهر تاجه و طرف الصورة على البحر لشبونه و شنتره و وراء ذلك فى البرّ شنترين، بيزه ، جل مانيه، البش و فى القسم الأيمن من الصورة يونه ، سموره، ليون، [۲۰ ب] فهذه صورة المغرب و مكان كلّ عمل و مدينة منها و موقعها من شمالها و جنوبها و شرقها و غربها حسب ما أدّت الاستطاعة اليه و وقفت بالمشاهدة و الخبر الصحيح بالمفاوهة عليه، (۱۰) فأمّا برقة فمدينة وسطة ليست بالكبيرة الفخمة و لا بالصغيرة الزريّة و لها كور عامرة و غامرة و هى فى بقعة فسيحة تكون مسيرتها يوما و كسرا فى مثله و يحيط بالبقعة جبل من سائر جهاتها و أرضها حمراء خلوقيّة التربة و ثياب أهلها أبدا محمّرة و يعرف أهلها بالفسطاط من بين أهل المغرب بحمرة ثيابهم و تغيّرهم و يطوف بها من كلّ جانب منها بادية يسكنها الطوائف من البربر و هى برّيّة بحريّة جبليّة، و وجوه أموالها جمّة و هى أوّل منبر ينزله القادم من مصر الى القيروان و بها من التجارة و كثرة الغرباء فى كلّ وقت ما لا ينقطع طلّابا لما فيها من التجارة و عابرين

صورة الأرض، ج۱، ص: ۶۷

عليها مغرّبين و مشرّقين و ذلك أنّها تنفرد فى التجارة بالقطران الذى ليس فى كثير من النواحى كهو و الجلود المجلوبة للدباغ بمصر و التمور الواصلة اليها من جزيرة اوجله و لها أسواق حادّة حارّة من بيوع الصوف و الفلفل و العسل و الشمع و الزيت و ضروب المتاجر الصادرة من المشرق و الواردة من المغرب، و شرب أهلها من ماء المطر بمواجن يدّخر بها، و أسعارها بأكثر الأوقات فائضة بالرخص فى جميع الأغذية، (۱۱) واليها مدينة اجدابيه على صحصاح من حجر فى مستواة بناؤها بالطين و الآجرّ و بعضها بالحجارة و لها جامع نظيف و يطيف بها من أحياء البربر خلق كثير و لها زرع بالبخس و ليس بها و لا ببرقة ماء جار و بها نخيل حسب كفايتهم و بمقدار حاجتهم و واليها القائم بما عليها من وجوه الأموال و صدقات بربرها و خراج رزوعهم و تعشير خضرهم و بساتينهم هو أميرها و صاحب صلاتها و له من وراء ما يقبضه للسلطان لوازم على القوافل الصادرة و الواردة من بلاد السودان و هى أيضا قريبة من البحر المغربىّ فترد عليها المراكب بالمتاع و الجهاز و تصدر عنها بضروب من التجارة و أكثر ما يخرج منها الأكسية المقاربة و شقّة الصوف القريبة الأمر و شرب أهلها من ماء السماء، (۱۲) و جزيرة اوجله منها على أيّام بين غربها و جنوبها و هى ناحية ذات نخيل عظيمة و غلّات من التمر جسيمة و يليها وقتنا هذا رجل من ناحية صاحب برقة و لم يكن ارتفاعها و مالها الداخل على خزانة السلطان فى جملة مال برقة فلمّا ضمّت الى برقة غزر مالها و كثر و زادت الحال فى ذلك، و منها الى جزيرة ودّان طريق قصد فى الرمال و ودّان ناحية [و مدينة فى جنوب مدينة سرت و كانت مضمومة اليها و هى جزيرة] لا تقصر فى رخص التمور و كثرتها و جودتها عن اوجله و إن كانت اوجله أوسع قسوبا و أفسح ناحية فتمور ودّان الرطبة العذبة و أرطابهم أغزر و أكثر،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۶۸

(۱۳) و سرت مدينة ذات سور صالح كالمنيع من طين و طابية و بها قبائل من البربر و لهم مزارع فى نفس البرّ تقصد نواحيها إذا مطرت و تنتجع مراعيها و لها من وجوه الأموال و الغلّات و الصدقات فى سائمة الإبل و الغنم ما يزيد على حال اجدابيه و مالها فى وقتنا هذا و بها نخيل تجتنى أرطابها و ليس بها من القسب و التمر ما تذكر حاله لأنّ نخيلهم بقدر كفايتهم و لهم أعناب و فواكه و أسعارهم صالحة على مرّ الأوقات، و المتّلى صدقاتهم و جباياتهم و خراجاتهم و ما يجب على القوافل المجتازة بهم صاحب صلاتهم [۲۱ ظ] و اليه جميع مجارى أمر البلد و النظر فيه و فيما ورد اليه و صدر فى استيفاء ضرائبه و لوازمه و اعتبار السجلّات و المناشير بمواجب ما على الأمتعة و تصفّحها خوف الحيلة الواقعة دون الأداء عنه بافريقية و دخلها أوفر من دخل اجدابيه لما ذكرت، و هى عن غلوة سهم عن البحر فى مستواة من رمل و ترد المراكب أيضا عليها بالمتاع و تصدر عنها بشىء منه كالشبّ السرتىّ فإنّه بها غزير كثير و بالصوف أيضا و لحوم المعز أغذى فيها من الضأن و أنفع و تقوم لحوم الضأن فيها مقام لحم المعز بغيرها لأنّها غير ملائمة لأهلها و

للسافرة المجتازين من أجل مراعيها و شرب أهلها من ماء المطر المختزن فى المواجل، و عدد البربر بها أوفر و أغزر و أكثر منه بما جاورها و للبربر حاضرة بنفس قصبة سرت و بينهم خلاف على مرّ الأوقات و حروب ربّما ثارت فى بعض الأحايين قريبة و لا تدوم و عاملهم قائم بنفسه من تحت يد سلطانهم الأعظم ، (۱۴) فأمّا اطرابلس فكانت قديما من عمل افريقية و سمعت من يذكر أنّ عمل افريقية لمّا كانت اطرابلس مضافة اليها معروف معلوم و كان من صبره و هى منزل من اطرابلس على يوم و به ضريبة على القوافل وقتنا هذا و لم أعرفها قديما و لا سمعت بها على الخارج من اطرابلس الى القيروان

صورة الأرض، ج۱، ص: ۶۹

و على القادم من القيروان الى اطرابلس غير ما يقبضه المتولّى عمل اطرابلس من كلّ جمل و محمل و حمل و ذلك كالذى بلبده و هى أيضا قرية بينها و بين اطرابلس الى جهة المشرق مرحلتان من الضريبة على الجمال و الأحمال و المحامل و البغال و الرقيق و الغنم و الحمير الى ما عدا ذلك من الأسباب الواردة و أخذ الصدقات و الخراج و اللوازم من ناحية قصرى ابن كمو و ابن مظكود و البربر المقيمين هنالك من هوارة و غيرهم اليه، و هى مدينة بيضاء من الصخر الأبيض على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة ذات ربض صالحة الأسواق و كان لها فى ربضها أسواق كبيرة فنقل السلطان بعضها الى داخل السور و هى ناحية واسعة الكور كثيرة الضياع و البادية و ارتفاعها دون ارتفاع برقة فى وقتنا هذا و بها من الفواكه الطيّبة اللذيذة الجيّدة القليلة الشبه بالمغرب و غيره كالخوخ الفرسك و الكمّثرى اللذين لا شبه لهما بمكان و بها الجهاز الكثير من الصوف المرتفع و طيقان الأكسية الفاخرة الزرق و الكحل النفوسيّة و السود و البيض الثمينة الى مراكب تحطّ ليلا و نهارا و ترد بالتجارة على مرّ الأوقات و الساعات صباحا و مساء من بلد الروم و أرض المغرب بضروب الأمتعة و المطاعم، و أهلها قوم مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض و الثياب و الأحوال متميّزون بالتجمّل فى اللباس و حسن الصور و القصد فى المعاش الى مروآت ظاهرة و عشرة حسنة و رحمة مستفاضة و نيّات جميلة الى مراء لا يفتر و عقول مستوية و صحّة نيّة و معاملة محمودة و مذهب فى طاعة السلطان سديد و رباطات كثيرة و محبّة للغريب أثيرة ذائعة و لهم فى الخير مذهب من طريق العصبيّة لا يدانيهم أهل بلد إذا وردت المراكب ميناهم عرضت لهم دائما الريح البحريّة فيشتدّ الموج لانكشافه و يصعب الإرساء فيبادر أهل

صورة الأرض، ج۱، ص: ۷۰

البلد [۲۱ ب] بقواربهم و مراسيهم و حبالهم متطوّعين فيقيّد المركب و يرسى به فى أسرع وقت بغير كلفة لأحد و لا غرامة حبّة و لا جزاء بمثقال، (۱۵) و قابس مدينة منها على ستّ مراحل الى جهة القيروان و جادّة الطريق ذات مياه جارية و أشجار متهدّلة و فواكه رخيصة و بها من البربر الكثير و لهم من الزروع و الضياع ما ليس مثله لمن جاورهم الى زيتون و زيت و غلّات و عليها سور يحيط به خندق و لها أسواق فى ربضها و جهاز من الصوف كثير و يعمل بها الحرير الكثير الغزير و بها جلود تدبغ بالقرظ و تعمّ أكثر المغرب فتأتى من طيب الرائحة و نعمة اللمس بمثل حال الأديم الجرشىّ و بها صدقات و زكوات و ضرائب و جوال على اليهود و سائمة كثيرة و لها عامل بنفسه و هى خصبة فى أكثر أوقاتها و أهلها قليلو الدماثة غير محظوظين من الجمال و النظافة و فيهم سلامة و فى باديتهم شرّ شمرّ و دين قذر و ذلك أنّهم لا يخلون من الشراية و القول بالوعد و الوعيد مع الغيلة لبنى السبيل و الاعتراض على أموالهم فى الكثير و القليل و الويل لمن نام بينهم و الحرب على من جاورهم و استجار بهم مخالفين أكثر أيّامهم لسلطانهم مواربين فى الحقوق عليهم و لم تزل هذه العادة بهم الى أن سار منهم الكثير الى قابس فأحرقوا ربضها و حاصروها و استباحوا أموال تجّارها و أهل الذمّة منها و أمكن الله تعالى منهم فأهلك جميع من رصدها ثمّ سار عليهم زعيم صنهاجة فجعل عشرة منهم فى كساء ، (۱۶) و مدينة سفاقس مدينة جلّ غلّاتها الزيتون و الزيت و بها منه ما ليس بغيرها مثله و كان سعره عندهم فيما سلف من الزمان بحال غيّرته الفتن فى وقتنا هذا ربّما بلغ من ستّين قفيزا بدينار الى مائة قفيز بدينار على حسب السنة و ريعها و زيت مصر فى وقتنا هذا فمن ناحيتها يجلب لقلّته بالشأم، و هى ناحية على نحر البحر و لها مرسى ميّت الماء و عليها سور من حجارة و أبواب حديد منيعة و فيها محارس مبنيّة

للرباط بها و أسواقها

صورة الأرض، ج۱، ص: ۷۱

عامرة و هى قليلة الكروم و فاكهتها من قابس تسدّ حاجة أهلها و شرب أهلها من مواجل بها و مواجنها صالحة الطعوم حافظة لما استودعت، و لهم من صيود السمك ما يكثر و يعظم تصاد بحظائر قد زربت و عملت فى الماء فتؤخذ بأيسر سعى، و بناؤها بالحجارة و الجير و بينها و بين المهديّة مرحلتان و لها عامل عليها للسلطان بذاته، (۱۷) و المهديّة مدينة صغيرة استحدثها المهدىّ القائم بالمغرب و سمّاها بهذا الاسم و هى فى نحر البحر و تحوّل اليها [من رقّادة القيروان] فى سنة ثمان و ثلثمائة و هى من القيروان على مرحلتين فرضة لما والاها من البلاد كثيرة التجارة حسنة السور و العمارة منيعة و لها سور من حجارة و له بابان ليس لهما فيما رأيته من الأرض شبيه و لا نظير غير البابين اللذين على سور الرّافقة و على مثالها عملا و مثل شكلهما اتّخذا كثيرة القصور نظيفة المنازل و الدور حسنة الحمّامات [۲۲ ظ] و الخانات خصبة رفهة الفواكه و الغلّات طيّبة الداخل نزهة الخارج بهيّة المنظر أدركتها سنة ستّ و ثلثين و ملوكها كماة و جيوشها حماة و تجّارها طراة و قد اختلّت أحوالها و التاثت أعمالها و انتقل عنها رجالها بانتقال ملوكها عنها و بعدهم منها و كان أوّل نحس أظلّها أبو يزيد مخلد بن كيداد و خروجه بالمغرب على أهلها و انثالت المناحس عليها الى الآن و قد بقى بها بعض رمق ، (۱۸) [و انتقل عنها رجالها بانتقال المنصور عليه السلام عنها و بعده عنها و سكناه بالمنصوريّة من ظهر القيروان و ذلك لما دهمه من أبى يزيد مخلد بن كيداد و قصده المخالفة عليه و اطّراد ما اطّرد له عند خروجه بالمغرب فى أحزاب الكفر و النفاق و الإباضيّة و النكاريّة المرّاق فإنّه صارت به الحال عند نجومه لما سبق به القدر و تقدّم به القضاء الى أن

صورة الأرض، ج۱، ص: ۷۲

استولى على المغرب بأجمعه و حاصر المهديّة و ضيّق على أهلها و موالينا عليهم السلام حتّى أذن الله تعالى ببواره و هو فى غاية الثقة بأنصاره و السرور باغتراره فخانه فجوره و أسلمه سروره و خرج اليه مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله صلّى الله عليه و سلّم فى فئة شعارها الإيمان و عادتها من الله الظفر و الإحسان و عدوّ الله فى عدد لا يحصى و أمّة أذن الله فيها بالفنى ..... يمرّ مرّا كرجع الطرف أبطؤوه فى قبض أنفسهم و النصر منتظم فزحزحهم عن مستقرّهم و صياصيهم و بذل السيف فى نواصيهم و انهزم اللعين و قد عاين الموت و شارف الفوت يطلب من الأرض معاذا و فيها من سوء ما اقترفه لواذا فمنّاه أهل القيروان الغرور و أنزلوه كالمقهور و قد وصل اليهم فى مرحلة واحدة فمنّوه الأباطيل و زخرفوا له الأقاويل فأقام و وصل المنصور أمير المؤمنين صلوات الله عليه فنزل عن غربىّ القيروان فى منزل نزله بالسعادة و علت فيه طير النصر و السلامة فتيمّن بنزوله و تبرّك بحلوله فأنجزه الله ما وعده و بلّغه ما أمّله فهزم أبا يزيد عن مكانه و أمكن الله من حزبه و أعوانه فمنّ على أهل القيروان بالعفو و الغفران و اتّبع أبا يزيد فكان بينهما ما يطول شرحه و يتفاقم إنباؤه الى أن أخذه و رجع الى العسكر المنصور و المكان المذكور فاختطّ به أحسن بلد فى أسرع أمد و انتقل اليه و استوطنه و أقام به و استحسنه صلوات الله عليه يوم الثلثاء لليلة بقيت من شوّال سنة سبع و ثلثين و ثلثمائة،] (۱۹) و أمّا سوسه فمدينة بين الجزيرة و المهديّة طيّبة رفهة خصبة على نحر البحر و لها سور حصين و ماؤها معين و بها مواجن قليلة و أعمال صالحة نبيلة و فى أهلها دهقنة و الغالب عليهم السلامة و هى إحدى فرض البحر و لها أسواق حسنة و فنادق و حمّامات طيّبة و هى من القيروان على

صورة الأرض، ج۱، ص: ۷۳

مرحلة و كانت لها ضياع جمّة و وجوه من الجباية غزيرة و غلّات واسعة و رباطات كثيرة، و بين المهديّة وسوسه رباط يسكنه أمّة من الناس على مرّ الأيّام و الساعات يعرف بالمنستير و يقصده أهل افريقية لوقت من السنة فيقيمون به أيّاما معلومة و يحضر بفاخر الأطعمة و نفيس المآكل و يقيم جمعهم به مدّة ثمّ يتفرّقون الى أوطانهم و هو على نحر البحر، و بينه و بين المهديّة أيضا قصر رباط يعرف بشقانص دونه عندهم فى المنزلة و هو حصين منيع و به أيضا أمّة مقيمة على صيد السمك، [و هما قصران عظيمان على حافة البحر للرباط و العبادة عليهما أوقاف كثيرة بافريقيّة و الصدقات تأتيهما من كلّ أرض،] (۲۰) و الجزيرة إقليم له مدينة تعرف بمنزل باشوا

واسعة العمل خصبة أوسع من سوسه على سلطانها دخلا و أكثر منها جباية و أهلا و لها كورة تضاف اليها و غير غلّة يعوّل التجّار عليها و بها فى غير موضع وخم ظاهر الثقل فى مياهها و لا يدخلها غريب إلّا مرض و إذا دخلها السودان صلحوا به و صلحت نفوسهم و طابت بالخدمة قلوبهم و جميع الفواكه بها و لباشوا هذه أسواق فى كلّ شهر تحضر لأيّام معروفة، (۲۱) واليها مدينة تونس و هى قديمة أزليّة ذات مياه جارية قليلة و الانتفاع بها كثير و العائدة الى أربابها صالحة و هى خصبة فى ذاتها متّسع بغلّاتها و يعمل بها غضار حسن الصباغ و خزف حسن كالعراقىّ المجلوب و كان اسمها فى قديم الزمان ترشيش فلمّا أحدث فيها المسلمون البنيان و استحدثوا البساتين و الحيطان سمّيت تونس و هى مصاقبة لقرطاجنه

صورة الأرض، ج۱، ص: ۷۴

المشهور أمرها بالطيب و كثرة الفواكه و حسنها و جودة الثمار و صحّة الهواء و اتّساع الغلّات و من غلّاتها القطن و يحمل الى القيروان فيظهر الانتفاع به و كذلك القنّب و الكروياء و العصفر و العسل و السمن و الحبوب و الزيت و كثير من الماشية مختصّة بها، (۲۲) و سطفوره إقليم أيضا على البحر جليل له ثلث مدائن فأقربهنّ الى تونس انبلونه ثمّ متيجه [ثمّ بنزرت] و بنزرت مدينة على البحر خصبة أصغر من سوسه فى ذاتها و عامل المعونة ينزل من أعمالها فى بنزرت فيها ثمار كثيرة، و أنهار سطفوره واسعة غزيرة و الارتفاع بها و الجدى على السلطان قليل [۲۲ ب] و الحيتان بها و بتونس ما يزيد على الكثرة و لا يدانيه ما باطرابلس من الرخص و السعة [و لها واد عجيب يخرج فيه فى كلّ شهر نوع من السمك و إذا أهلّ الهلال لا تجد من ذلك النوع واحدة و يظهر غيره] و أهل هذا الإقليم جلد و ناسه ذوو بأس فى البرّ و البحر صبر على الشقاء و الكدّ مع قلّة الخور و الضجر و إن كان بلدهم فى هذا الوقت قد خلا و جلا، (۲۳) و طبرقه قرية و هى عدوة لأهل الاندلس اليها ينتهون و منها الى الاندلس يركبون [و هى قرية و بئة و بها عقارب قاتلة نحو عقارب عسكر مكرم فى وحاء القتل و سرعته] و مضاء الميتة و قربها، و من أراد طبرقه من تونس على الجادّة اجتاز على مدينة باجه و هى مدينة قديمة أزليّة كثيرة القمح و الشعير و لها من الغلّات و الزروع ما ليس بجميع المغرب كهو عندى كثرة و جودة و نقاء الى جوهر فى نفس حبوبها و هى صحيحة الهواء كثيرة الرخاء واسعة الفضاء غزيرة الدخل على السلطان وافرة الأرباح على تجّارها و المزارعين بها، و طبرقه المذكورة مع صغر مقدارها و تفه منزلتها فانّما اشتهرت لكثرة ورود المراكب بالاندلسيّين و التجّار عليها و نزولهم فيها

صورة الأرض، ج۱، ص: ۷۵

و تعشيرهم كان فى سالف الزمان بها و هى تجاه أوائل الاندلس من المكان الذى هى به و تحاذى أيضا بعض بلاد افرنجه، (۲۴) و على الساحل منها بهذا النحر على نحو مرحلة مرسى الخرز و فيه معدن المرجان و مرسى الخرز أيضا قرية غير أنّها نبيلة لمكان المرجان و حضور من يحضرها من التجّار و لا أعرف فى شىء من البحار له نظيرا فى الجودة و لا يوجد المرجان فى مكان غير هذه القرية المدعوّة بمرسى الخرز [و مدينة تنس] و بمدينة سبتة المحاذية من الاندلس لمدينة جبل طارق و هى المعروفة بالجزيرة [الخضراء] و الذى بها من المرجان قليل الجوهر حقير المقدار فى جنب ما يخرج من مرسى الخرز و لسلطان المغرب بها أمناء على ما يخرج منه و ناظر يلى صلاتها و معاونها و ما يلزم ما يخرج من هذا المعدن و للتجّار بها أموال كثيرة من أقطار النواحى عند سماسرة وقوف لبيع المرجان و شراه، و يعمل بها فى أكثر الأوقات فى إثارة المرجان الخمسون قاربا و ما زاد على ذلك ممّا فى القارب العشرون رجلا- الى ما زاد و نقص و المرجان نبت ينبت كالشجر فى الماء ثمّ يستحجر فى نفس الماء بين جبلين عظيمين و العاملون فيها يكثرون الأكل و الشرب و الخلاعة و لهم بها مكاسب وافرة و ينتبذون نبيذ العسل فيشربونه من يومه و يسكرهم الإسكار العظيم و يعمل من الصداع ما لا يعمله نبيذ الذرة و غيره من الأشربة، و هى ناحية قليلة الزرع يجلب اليها ما يقوتها ممّا يجاورها من فاكهة و غيرها و فيها من صيود السمك ما لم أر ببلد مثله سمنا و ربّما منع جانبه من أكل ما يصاد بها و سيّما وقت الغلّات، (۲۵) و مدينة بونه مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة و لا بالصغيرة و مقدارها فى رقعتها كالاربس و هى على نحر البحر و لها أسواق حسنة و تجارة مقصودة و أرباح متوسّطة و فيها خصب و رخص موصوف و فواكه و بساتين قريبة

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۷۶

و أكثر فواكهها من باديتها و القمح بها و الشعير فى أكثر أوقاتها كما لا قدر له، و بها معادن حديد كثيرة و يحمل منه الى الأقطار الغزير الكثير [و يزرع بها الكتّان] و لها عامل قائم بنفسه و معه من البربر عسكر لا- يزول كالرابطة و من تجارتها الغنم و الصوف و الماشية من الدوابّ [۲۳ ظ] و سائر الكراع و بها من العسل و الخير و المير ما تزيد به على ما داناها من البلاد المجاورة لها و أكثر سوائمهم البقر و لهم إقليم واسع و بادية و حوزة بها نتاج كثير و قلّ من بها تفوته الخيل السائمة للنتاج، و بينها و بين جزائر بنى مزغنّاى مراس فمنها جيجل مرسى و منه الى بجايه [مرسى] و منه الى مرسى بنى جنّاد و منه الى مرسى الدجّاج و هى مدينة عليها سور منيع على نحر البحر و فى شفيره و ليس لها مرسى مأمون و بها من رخص الأسعار أيضا فى الفواكه و المآكل و المطاعم و القمح و الشعير و الألبان و المواشى ما يغرق غيرهم ممّن يجاورهم و بها من الأشجار و الثمر و التين خاصّة العظيم الجسيم ما يحمل منه الى البلاد النائية عنه، (۲۶) و جزائر بنى مزغناى مدينة عليها سور على سيف البحر أيضا و فيها أسواق كثيرة و لها عيون على البحر طيّبة و شربهم منها و لها بادية كبيرة و جبال فيها من البربر كثرة و أكثر أموالهم المواشى من البقر و الغنم سائمة فى الجبال و لهم من العسل ما يجهّز عنهم و السمن و التين ما يجهّز و يجلب الى القيروان و غيرها و لها جزيرة فى البحر على رمية سهم منها تحاذيها فإذا نزل بهم عدوّ لجؤوا اليها فكانوا فى منعة و أمن ممّن يحذرونه و يخافونه، و تامدفوس مرسى و مدينة خربت و فيها بقيّة قوم يسكنونها

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۷۷

سكنى الصابين الى أوطانهم، واشرشال مدينة قديمة أزليّة قد خربت و فيها مرسّى و بها آثار قديمة و أصنام من حجارة و مبان عظيمة، و منها الى برشك مدينة كان عليها سور فتهدّم و لها مياه جارية و أبآر معين و بها فواكه حسنة غزيرة و سفرجل معنّق كالقرع الصغار و هو طريف و أعناب الغالب على أهلها البربر و لها بادية يشتارون العسل من الشجر و الأجباح لكثرة النحل بالبلد و أكثر أموالهم الماشية و لهم من الزرع و الحنطة و الشعير ما يزيد على حاجتهم، (۲۷) و تنس مدينة عليها سور و لها أبواب عدّة و بعضها على جبل قد أحاط به السور و بعضها فى سهل و هى من البحر على نحو ميلين على واد كثير الماء و شربهم منه و هى مدينة فوق الصغيرة و ليس على البحر فيما قاربها على شكلها بنواحيها فى الكبر و بها فواكه حسنة و هى من الخصب فى جميع الوجوه الرفهة بأمر مستفاض و هى أكبر المدن التى يتعدّى اليها الاندلسيّون بمراكبهم و يقصدونها بمتاجرهم و ينهضون منها الى ما سواها و لسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة كالخراج و الجوالى و الصدقات و الأعشار و مراصد على المتاجر الداخلة اليها و الخارجة و الصادرة و الواردة و لها بادية من البربر كثيرة و قبائل فيها أموالهم جسيمة غزيرة و بها من الفواكه و السفرجل المعنّق ما لا أزال أحكيه لحسنه و نعمته و حلاوته و طيب رائحته، (۲۸) و منها الى مدينة و هران مراس لا مدن لها مشهورة كمرسى عطا و ليس به أحد يسكنه و قصر الفلوس و إن كانت مدينة محدثة فلها سور و هى لطيفة جدّا و سورها من تراب طابية و ماؤها من عين ماء جارية بها و غلّاتهم من القمح و الشعير و المواشى عندهم كثيرة، و لمدينة وهران مرسى فى غاية [۲۳ ب] السلامة و الصون من كلّ ريح و ما أظنّ له مثلا فى جميع

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۷۸

نواحى البربر سوى مرسى موسى فقد كنفته الجبال و له مدخل أمن و عليها سور و ماؤها من خارجها جار عليها فى واد عليه بساتين و أجنّة كثيرة فيها من جميع الفواكه و فى حاضرتها دهقنة [و حذق و فيهم حميّة مع الغريب و هى فرضة الاندلس اليها ترد السلاع و منها يحملون الغلال] و الغالب على باديتها البربر من يزداجه و هم فى وقتنا هذا فى ضمن يوسف بن زيرى ابن مناد الصنهاجىّ خليفة صاحب المغرب، (۲۹) و من وهران الى واسلن مدينة خصبة لها سور عظيم حصين و ماؤها فيها و لها بساتين كثيرة و كنت أعرفها قديما لحميد بن يزل و لها مرسى و هى خصبة كثيرة الأهل و أكثر أموالهم الماشية و لهم منها الكثير الغزير، و منها الى ارجكوك مدينة أيضا لطيفة لها مرسى و بادية و خصب وسعة فى الماشية و الأموال السائمة و مرساها فى جزيرة لها فيها مياه و مواجن كثيرة للمراكب و أهلها و المحتاجين اليها فى سقى سوائمهم و هى جزيرة معمورة بالناس، و ارجكوك على واد يعرف بتافنا و بينها و بين

البحر نحو ميلين، و كانت مليله مدينة ذات سور منيع و حال وسيع و كان ماؤها يحيط بأكثر سورها من بئر فيها عين عظيمة و كانت أزليّة فاكتسحها أبو الحسن جوهر الداخل مصر برجال المغاربة و قد تغلّب عليها بنو بطويه بطن من البربر و كان بها من الأجنّة ما يسدّ حاجتهم و من الزروع الكثيرة و الحبوب و الغلّات الجسيمة فزال أكثرها، و نكور مدينة مقتصدة فى وقتنا هذا و كانت قديما أعظم ممّا هى و آثارها بيّنة و لها مرسى ترسى فيه المراكب فى بطن جزيرة تعرف بالمزمّة، (۳۰) و منها الى مدينة سبتة و هى لطيفة على نحر البحر و بها بساتين و أجنّة تقوم بأهلها و ماؤها من داخلها يستخرج من أبآر بها معين و من

صورة الأرض، ج۱، ص: ۷۹

خارجها أيضا من الأبآر شىء كثير عذب و لها مرسى قريب الأمر و قد تقدّم أنّ بها معدنا للمرجان صالحا يعمل فيه قويربات لطاف و هى وقتنا هذا لبنى أميّة و لم يكن لهم فى عدوة المغرب غيرها و لها من ظاهرها بربر يأخذ صدقاتهم و لوازمهم و خراجهم من كان بها واليا عليها و كذلك من كان بمرسى موسى فى ضمنهم [و كأنّى بها راجعة الى مولانا عليه السلام] ، و منها الى طنجة مدينة أزليّة آثارها بيّنة و أبنيتها بالحجارة قائمة على وجه البحر سكنها أهلها قديما سنين فى صدر الإسلام ثمّ استحدثوا لهم مدينة عن مسيرة ميل منها على ظهر جبل و الذى أوجب استحداثها خوف آل إدريس عليها عند استحواذهم على سبتة فى وقتهم و أكثر أموال أهلها من الزرع حنطة و شعير و حبوب و ماؤها مجلوب اليها فى قنىّ من مكان بعيد لا يعلم أصله و لا يعرف من أين مجيئه و إنّما يظنّون جهاته و هى خصبة صالحة الأسعار و ليس عليها سور، (۳۱) و زلول مدينة لطيفة فى شرق ازيلى لها أسواق قريبة و كان عليها معوّل حسن بن كنون الحسنىّ الفاطمىّ و هو مستحدثها و شربهم كشرب أهل طنجة مجهول المبتدأ غير معلوم الأصل، و أزيلى مدينة عليها سور متعلّقة على رأس جرف خارج من البحر المحيط الى أرض المغرب [۲۴ ظ] و هى لطيفة و سورها من حجارة و بعضها على البحر المحيط و حظّهم من الزروع و الحنطة و الشعير وافر و ماؤها من أبآر فيها معين لذيذ و فيها أسواق، و إذا أخذ منها الآخذ يريد الجنوب على سيف البحر المحيط لقيه وادى سفدد و هو واد كبير عظيم غزير الماء يحمل المراكب عذب و منه شرب أهل تشمّس و هى مدينة لطيفة قديمة أزليّة أوّليّة جاهليّة و عليها سور من البناء الأوّل تركب وادى تشمّس هذا المعروف بسفدد و بينها و بين البحر نحو ميل و يمدّ سفدد شعبتان تقع فيه إحداهما من بلد دنهاجه من جبلى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۸۰

البصرة و الثانية من بلد كتامة و كلتاهما ماء كثير و فيه يحمل أهل البصرة تجاراتهم فى المراكب ثمّ يخرجون الى البحر المحيط و يعودون الى البحر الغربىّ فيسيرون منه حيث شاؤوا و بين مدينة تشمّس هذه و بين مدينة البصرة دون المرحلة على الظهر، (۳۲) [ثمّ نعطف على البحر المحيط يسارا و عليه من المدن قريبة منه و بعيدة جرمانه و تاوارت و الحجر على نحر البحر و دونها فى البرّ مشرقا الاقلام ثمّ البصرة ثمّ كرت،] و البصرة مدينة مقتصدة عليها سور ليس بالمنيع و لها مياه عن خارجها من عيون عليها بساتين يسيرة من شرقيها و لها غلّات كثيرة من القطن المحمول الى افريقية و غيرها و من غلّاتهم القمح و الشعير و القطانى و سهمهم من ذلك وافر و هى خصبة كثيرة الخير حسنة الأسواق و العمارة طيّبة الهواء صحيحة التربة و فيها قوم لهم خطر و ميل الى السلامة و العلم و لهم محاسن فى خلقهم قد عمّت نساءهم و رجالهم و الغالب عليهم حسن القدود و الشطاط و اعتدال الخلق و جمال الأطراف و يشملهم الستر و السلامة و المعروف، و بين البصرة و المدينة المعروفة بالاقلام أقلّ من مرحلة و هى مدينة استحدثها يحيى بن إدريس و لها سور منعهم عند منابذتهم موسى بن أبى العافية و لها مياه كثيرة و هى فى وسط شعراء و جبال شامخة عالية و المدخل اليها من مكان واحد و فيها منبر و مسجد جامع لآل إدريس و اليها لجؤوا عند محاصرة موسى لهم عند مواقعتهم لبنى أميّة آنفا و قد كان قبضها منذ قريب بنو أميّة و قد عادت اليهم و هى خصبة حصينة و إنّما قبضها آل أميّة منهم بالجوع و تواصل الحصار ، (۳۳) و كرت أيضا مدينة لطيفة فى سفح جبل منيعة أيضا بغير سور

صورة الأرض، ج۱، ص: ۸۱

و لها مياه كثيرة و أجنّة واسعة و مزارع عظيمة و غلّاتهم من القمح و الشعير و القطن كثيرة و أهلها تجّار و الغالب عليهم البربر و جميعهم و جميع أهل هذا الصقع المذكور و هو إقليم طنجة لآل إدريس تصل اليهم جبايته و يجتبون خراجه و من المدن المضافة اليهم و الداخلة فى قبضتهم بالمجاورة ماسيته و هى [مدينة] لها سور فى قبلة مدينة البصرة و هى على واد عذب يجرى الى وادى سبه و هو وادى فاس، و هى مدينة عليها سور يمنعها و لها غلّات كثيرة و رخص و خصب و لها بادية من البربر و من غلّاتهم القطن و القمح و الشعير و لهم مياه كثيرة و سقى يغزر عائدته عليهم، و الحجر مدينة عظيمة محدثة على جبل عظيم شامخ لآل إدريس و هى حصن منيع فيه أملاكهم و هى من أعظم مدنهم عندهم منزلة و أكبرها خطرا [۲۴ ب] و ماؤها فيها و لها بساتين فيها و ليس عليها طريق و لا اليها سبيل إلّا من جهة واحدة يسلكه الراجل بعد الراجل و هى خصبة رفهة كثيرة الخير، (۳۴) و بحيرة اريغ بحيرة أصلها من البحر المحيط صغيرة ترسى فيها المراكب الاندلسيّة التى تحمل غلّات الناحية و فيها يركب أهل البصرة و يشحنون من نواحيهم و ناحية بلد بياثه ، و منها عن مرحلة الى جهة الجنوب مصبّ وادى سبه و هو وادى فاس و من ورائه الى ناحية برغواطه على نحو بريد وادى سله و اليه ينتهى سكنى المسلمين، (۳۵) و بسله رباط يرابط فيه المسلمون و عليه المدينة الأزليّة المعروفة بسله القديمة و قد خربت و الناس يسكنون و يرابطون برباطات تحفّ بها و ربّما اجتمع فى هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون فى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۸۲

وقت و ينقصون لوقت و رباطهم على برغواطه قبيل من قبائل البربر على البحر المحيط متّصلين بهذه الجهة التى سقت عمارة بلد الإسلام اليها يغزون و يسبون، و ذلك أنّ رجلا كان يعرف بصالح بن عبد الله دخل العراق و درس شيئا من النجوم و صلحت منزلته فى علمها الى أن قوّم الكواكب و عمل التقاويم و المواليد و أصاب فى أكثر أحكامه و كان له خطّ حسن و فهم بأطراف من العلم و عاد فنزل بينهم و كان بربرىّ الأصل مغربىّ المولد مضطلعا بلغة البربر يفهم غير لسان من ألسنتهم فدعاهم الى الإيمان به و ذكر أنّه نبىّ و رسول مبعوث اليهم بلغتهم و احتجّ بقول الله تعالى و ما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه و أنّ محمّدا صلّى الله عليه نبىّ حقّ عربىّ اللسان مبعوث الى قومه و الى العرب خاصّة و أنّه صادق فيما أتى به من القرآن و الأحكام و إيّاه أراد الله عزّ و جلّ بقوله و صالح المؤمنين و الملئكة بعد ذلك ظهير و وعدهم غير كسوف فوجدوه و أنذرهم غير شىء فأدركوه و أصابوه على حكايته فأفسد عقولهم و بدّل معارفهم و افترض عليهم طاعته فى سنن ابتدعها و أحوال فرضها و اخترعها و أوجب عليهم صوم شعبان و إفطار شهر رمضان و عمل لهم كلاما رتّله بلغتهم و شرع فيه محابّه على نحلتهم فهم يتدارسونه و يعظّمونه و يصلّون به و هلك فخلفه وصىّ كان له أقامه يكنى أبا العفير فزاد فيما رسمه أشياء ذكر أنّ له فيها الزيادة و النقصان و الحلّ و العقد فيما قدّمه صالح لهم من الأحوال فدعاهم الى النسك و ترك الدنيا و الإقبال على التقلّل و الزهد و تناهى هو و خاصّته فى ذلك الى أن حفظ عليه صبره عن الغذاء خمسا من الدهر و سبعا و تسعا و هو فى جميع ذلك يذكر أنّه يوحى اليه و أنّ الملائكة تأتيه بما يأمرهم به و ينهاهم

صورة الأرض، ج۱، ص: ۸۳

عنه، و كان صالح يحلّ لهم الطيّبات و يبيحهم اللذّات و يسوسهم فى المحظورات و فيهم الآن من يقرأ القرآن بغاية الاحترام و يحفظ منه السور و يتأوّل آياته على موافقته لكتابهم و قرآنهم، و كان أهل البصرة و مدينة فاس يغزونهم فى بعض الأوقات و يسالمونهم و يتاجرونهم و يجلبون اليهم التجارات [۲۵ ظ] على ما يرونه ولاتهم و فى برغواطه أمانة و بذل للطعام و تجنّب للكبائر من الحرام و المحظورات من الآثام و قد يصل اليهم أهل اغمات و السوس أيضا بالتجارة و كذلك قوم من أهل سجلماسه و بلدهم بلد مستقلّ بنفسه عن الحاجة الى ما فى غيره و فيهم جمال بارع و شدّة و بأس و صبر على القلاء و المراس و كنت ألفيت محمّد بن الفتح المعروف بالشاكر للّه بسجلماسه يدعو الى غزوهم فى سنة أربعين و ثلثمائة و أظنّه هلك و لم يبلغ منهم محابّه لقلّة إجابة من كان يدعوه الى غزوهم من البربر و خوفهم من اطّراد حيلة لمحمّد بن الفتح الشاكر لله عليهم فى ذلك، (۳۶) و هذه جملة أحوال المدن المشهورة و المراسى و القرى المعروفة على نحر بحر المغرب من حدّ برقة الى البحر المحيط ممّا انتهيت اليه و أدركته بالعيان أو

أخذته عمّن نشأ فيه، و ليس من حدّ برقة و أعماله الى نواحى افريقية فيما يواجه البحر المغربىّ من البرّ غير عشر مراحل فما فوقها بلد يذكر و لا يعرف إلّا ما ذكرته و الغالب على ما واجه هذا البحر من أرض مصر الى نواحى عمل افريقية البراريّ و المفاوز التى بين بلاد السودان و أرض المغرب و فى أطرافها سكّان من البربر و فى قلب البرّ أيضا مياه عليها قوم منهم، و أمّا ما حاذى أرض افريقية الى آخر أعمال طنجة عن مرحلة الى عشر مراحل فزائد و ناقص فبلاد مسكونة و مدن متّصلة الرساتيق و المزارع و الضياع و المياه و الولاة و السلاطين و الملوك و الحكّام و الفقهاء و كلّ ذلك فى جملة صاحب المغرب و حوزته و قبضته أو فى يد خليفته، و ما عداه

صورة الأرض، ج۱، ص: ۸۴

و أوغل فى براريّ سجلماسه و اودغست و نواحى لمطه و تادمكه الى الجنوب و نواحى فزان ففيه مياه عليها قبائل من البربر المهملين الذين لا يعرفون الطعام و لا رأوا الحنطة و لا الشعير و لا شيئا من الحبوب و الغالب عليهم الشقاء و الاتّشاح بالكساء و قوام حياتهم باللبن و اللحم و سأذكر ذلك و أصفه بعد فراغى من ذكر المسافات على استقصاء إن شاء اللّه، (۳۷) ذكر الطريق من افريقية الى تاهرت و فاس، فمن القيروان الى الجهنيين قرية مرحلة، و منها الى سبيبه مدينة أزليّة كثيرة المياه و الأجنّة و عليها سور من حجارة حصين و لها ربض فيه الأسواق و الخانات و شربهم من عين جارية كثيرة تسقى بساتينهم و أجنّتهم و هى على مرّ الأيّام كثيرة الفواكه رخيصة الأسعار و يغلب على غلّاتهم الكمّون و الكروياء و البقول و يزرع عندهم الكتّان و لهم ماشية كثيرة مرحلة، و منها الى مرماجنه قرية مرحلة و هى لهوارة و فيها أسواق حسنة، و منها الى مجانه مدينة ذات سور من طابية مرحلة و هى كثيرة الزعفران و الزرع و بها معادن حديد و فضّة و منها الحجارة المجلوبة للمطاحن بجميع المغرب و لهم واد غزير الماء يزرعون عليه و أسواق صالحة، و من مجانه [۲۵ ب] الى تيجس طريق قصد على مناهل و قرى خمس مراحل و يفارق طريق باغاى قبل أن يصل الى نهر ملاق، و منها الى مسكيانه قرية عليها سور قديمة كثيرة المياه و الزرع و لها سوق و ماؤها جار من عيون فيها من الحوت الكثير الرخيص و سوقها ممتدّ كالبساط مرحلة و هى أكبر من مرماجنه و تجمعان أبدا لعامل واحد، و منها الى مدينة باغاى و هى كبيرة عليها سور أزليّ من حجارة و لها ربض عليه سور و الأسواق فيه و كانت الأسواق قديما فى المدينة فنقلت و لها ماء جار من واد يأتيهم من القبلة و منه شربهم مع أبآر لهم عذبة و لهم من البساتين الكثير مرحلة و هو بلد بربرىّ البادية و أكثر غلّاتهم الحنطة و الشعير و عاملها على صلاتها و معاونها و وجوه أموالها عامل بنفسه لا من تحت يد أحد و جبل اوراس منها على أميال و فيه المياه الغزيرة و المراعى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۸۵

الكثيرة و العمارة الدائمة و كان أهله قوم سوء و طوله نحو اثنا عشر يوما و سكّانه مستطيلين على من جاورهم من البربر و غيرهم فهلكوا و أتى الله بنيانهم من القواعد ، و لباغاى طريق يأخذ الآخذ على بلزمه الى نقاوس الى طبنه و يتّصل هذا الطريق بطريق مجانه الى تيجس فيمرّ عليه الى بونه و من أحبّ فيه من تيجس الى القسطنطينيّة الى ميله الى سطيف الى المسيلة وصل اليها و من أراد من سطيف الى حائط حمزة الى اشير بلد زيرى كان أقصد له إن كان يريد المغرب، (۳۸) و من باغاى الى دوفانه قرية من جبل اوراس لها سكّان من اللهان و كان البلد لهم و لبنى عمّهم من اللهان مرحلة، و منها الى دار ملول و كانت مدينة قديمة فرزحت أحوالها و صارت منزلا ينزله المجتازون و فيها مرصد قديم على جميع ما يجتاز بها و ماؤها من عين بها مرحلة، و منها الى طبنه مدينة قديمة و كانت عظيمة كبيرة البساتين و الزروع و القطن و الحنطة و الشعير و لها سور من طابية مرحلة و أهلها قبيلتان عرب و برقجانه و أكثر غلّاتهم السقى و يزرعون الكتّان و جميع الحبوب فيها غزيرة كثيرة و كانت وافرة الماشية من البقر و الغنم و سائر الكراع و النعم فحدث بينهم البغى و الحسد الى أن أهلك الله بعضهم ببعض و أتى على نعمهم فصاروا بعد السعة و الدعة الى الضيق و الذلّة و الصغار و الشتات و القلّة مشرّدين فى البلاد مطرّحين فى كلّ جبل و واد و بقيّتهم صالحة، و من طبنه الى مقره منزل فيه أيضا مرصد مرحلة، و من مقره الى المسيلة مرحلة و هى مدينة محدثة استحدثها علىّ بن الاندلسىّ أحد خدم آل عبيد الله و عبيدهم و عليها سور حصين من طوب و لها واد يقال له وادى سهر فيه ماء عظيم منبسط على وجه الأرض و ليس بالعميق و لهم عليه كروم و أجنّة كثيرة تزيد على كفايتهم و

حاجتهم و لهم من السفرجل المعنّق ما يحمل الى القيروان

صورة الأرض، ج۱، ص: ۸۶

و أصله من تنس و من غلّاتهم القطن و الحنطة و الشعير و تكثر عندهم المواشى من الدوابّ و الأنعام و البقر و عليها من البربر بنو برزال و بنو زنداج [۲۶ ظ] و هوارة و مزاتة و عليهم صدقات و خراج غزير، و منها الى جوزا منهل ينزله الناس لا ساكن به و فيه ماء من عيون عدبة مرحلة، و من جوزا الى هاز قرية كانت قديمة عظيمة فخربت و هى فى وقتنا هذا مفازة فيها ماء عيون مسجونة مرحلة و هو بلد يغلب عليه الرمل، و منها الى جرتيل قرية كبيرة كثيرة الزرع و المياه و شربهم من عيون بها مرحلة و سكّانها زناتة، و منها الى ابن ماما مدينة صغيرة ذات منبر عليها سور طوب و لها خندق و ماء فى واد عذب كثير الماء يزرع عليه و على المطر أيضا مرحلة، و منها الى اغير قرية صغيرة يشقّها الطريق و يقطعها جانبين مرحلة، و منها الى تاهرت مرحلة، و تاهرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة أزليّة و الأخرى محدثة و القديمة ذات سور و هى على جبل ليس بالعالى و بها كثير من الناس و فيها جامع و فى المحدثة أيضا جامع و لكلّ إمام و خطيب و التجّار و التجارة بالمحدثة أكثر و لهم مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم و أشجار و بساتين و حمّامات و خانات و هى أحد معادن الدوابّ و الماشية و الغنم [و البغال] و البراذين الفراهية و يكثر عندهم العسل و السمن و ضروب الغلّات، (۳۹) و من القيروان الى المسيلة طريق غير هذا الطريق على بلاد كتامة و الأربس و هو من القيروان الى جلولا مدينة عليها سور و فيها عين ماء جارية و عليها بساتين كثيرة قد حفّت بها و نخيل غزيرة مرحلة خفيفة، و منها الى أجر قرية ماؤها من الأبآر و لهم زروع كثيرة من القمح و الشعير مرحلة خفيفة، و منها الى طافجنه قرية لها فحص واسع، و لهم من الغلّات المتّصلة بنواحى الاربس من الحنطة و الشعير أمر عظيم مرحلة خفيفة أيضا، و منها الى الاربس مدينة لها إقليم واسع و غلّات جلّها

صورة الأرض، ج۱، ص: ۸۷

الزعفران و لها سور حصين من حجر و فيها من داخلها عينان جاريتان إحداهما تسمّى عين رباح و الأخرى عين زياد و عين زياد أطيب و عليها معوّلهم فى شربهم و ماؤها صحيح و بها معدن الحديد و هى ذات فواكه صالحة، و ابه مدينة عن غربىّ الاربس و منها على اثنى عشر ميلا و بها من الزعفران ما يضاهى ما بالأربس فى الكثرة و الجودة و أرضهما واحدة مختلطة و عملهما كعمل واحد و فى وسطها عين ماء جارية منها شربهم و هى غزيرة و عليها سور من طابية خصبة كثيرة الفواكه و الثمار و عليها جبل مطلّ، و من الاربس الى تامديت مدينة لها سور و شربهم من عيون بها و أكثر غلّاتهم القمح و الشعير مرحلتان بينهما قرية تعرف بمرماجنه، و من تامديت الى تيفاش مرحلة و هى مدينة أيضا أزليّة أوّليّة قديمة عليها سور قديم بالحجر و الجير و بها عين ماء جارية و لهم من الأجنّة و البساتين ما يقوتهم و عليها شعراء كبيرة، و منها الى قصر الافريقىّ مدينة لا سور عليها و الغالب على غلّاتها القمح و الشعير و تحتها واد يجرى [۲۶ ب] ينتفع به من كان فى أعالى عملها و منه شربهم مرحلة، و منها الى اركوا قرية لها أجنّة و عيون و مياه جارية كثيرة و قمح و شعير و غلّات صالحة و جميع مياههم عذبة مرحلة، و منها الى تيجس مدينة لها سور و ربض قد استدار من قبلتها الى بحريّها و سوق صالح و ماء جار من عين تعرف بتبودا و فى وسط المدينه ماء كثير من عين طيّبة مرحلة، و من تيجس الى نمزدوان قرية لها حاضرة و بادية و لها بالبعد منها عيون و شربهم منها و هو بلد قمح و شعير مرحلة، و منها الى مهريّين قرية فى فحص ماؤها من أبار و لها سوق و الغالب عليها البربر و هى لكتامة و مزاتة مرحلة، و منها الى تامسنت قرية و سوق لكتامة و مزاتة و لها أجنّة و ماء يجرى و أبار معينة مرحلة، و منها الى دكمه قرية لها سوق و الغالب عليها كتامة و شربها من أبار و غلّاتهم من القمح و الشعير وافرة مسيرة مرحلة، و منها الى اوسجيت مرحلة صورة الأرض ؛ ج۱ ؛ ص۸۷

صورة الأرض، ج۱، ص: ۸۸

و هى قرية فيها بعض حوانيت لبربر كتامة و لها مياه كثيرة يزرعون عليها، و منها الى المسيلة مرحلة خفيفة، و من المسيلة الى اشير مرحلتان ينزل المارّ بينهما فى وادى المالح و هو واد يجرى بماء مالح و يرحل منه الى اشير و سأصفها فيما بعد، (۴۰) و من المسيلة

الى افريقيـة طريق ثالث يأخـذ من المسـيلة الى مقره و منها الى طبنه [و من طبنه] الى بسـكره مرحلتان و من بسـكره الى تهوذا مرحلة و منها الى بادس مرحلـة و من بادس الى تامـديت مرحلـة و من تامـديت الى مـداله مرحلتان و من مداله الى نفطه مرحلة و من نفطه الى قسـطيليه بعض مرحلـة و منها الى قفصه و سـيأتى ذكر هـذا الطريق فيما بعـد إن شاء الله، (۴۱) ذكر الطريق من فاس الى المسـيلة، فمن فـاس على سـبه و هو نهر عظيم المـاء كثيره و اليه مصبّ وادى فـاس و جميعـا يقعان فى البحر بنواحى سـله و عليه قرى تتّصل إحـداها بالأخرى الى نمالته مرحلة و هى أيضا على واد يقال له ايناون و لنمالته واد غير ايناون يأتيها من القبلة و يعرف بوادى نمالته عليه كروم و بسـاتين كثيرة، و منهـا الى كرانطه و هى مدينـة على وادى ايناون و لها واد آخر يأتيها من القبلـة عليه من الفواكه و الكروم و السـقى الكثير الغزير، و من كرانطه يأخذ الطريق على باب زناتة و هو واد و قرى متّصـلة ذوات أسـقاء و بعض هذه القرى متّصلة بمياه ايناون و مخرج ذلك الى قلعـة كرماطه و هو سوق و حصن على ايناون و بها من الزرع و الضـرع و السائمـة الكثير العظيم مرحلة، و من كرماطه على فجّ الجبل المعروف بتازا الى مزاوروا و هى مدينة لطيفة كثيرة القمح و الشعير مرحلة، و منها على وادى مسون طريق الى تابريدا و هى مدينة لطيفة على وادى ملويه مرحلة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۸۹

و وادى ملويه يقع الى وادى صـاع و يصـبّان جميعا الى البحر ما بين جراوة أبى العيش و مليله ، و منها الى صاع مدينـة لطيفـة على واد [۲۷ ظ] عظيم يدخل على جميع دورهم و يشقّ الصـحراء اليهم مرحلة، و من صاع الى جراوة أبى العيش و بينها و بين البحر سـتّة أميال و كـانت عـامرة آهلـة مرحلـة، و منهـا الى ترفـانه مدينـة عليهـا سور و لها سوق و أنهار مطّردة و فواكه واسـعة عظيمـة و كروم جسـيمة [مرحلـة] ، و منها الى العلويّين قريـة على نهر يأتيها من القبلـة و لها عليه فواكه عظيمـة مرحلـة ، و منها الى تنمسان مرحلـة لطيفـة و هى مدينة أزليّة و لها أنهار جارية و أرحية عليها و فواكه و لها سور من آجرّ حصـين منيع و زرعها سقى و غلّاتها عظيمة و مزارعها [كثيرة] ، و منها الى قريـة تعرف أيضا بالعلويّين مرحلـة و هى قريـة عظيمـة آهلـة على نهر و لها أجنّـة و عيون، و منها الى تاتانلوت و هى قرية جليلـة كبيرة ذات أجنّة و أرحية على واديها و فواكه مرحلة، و منها الى عيون سـى قرية كبيرة لها عيون و أنهار تطّرد مرحلة، و منها الى وادى الصـفاصف و هو الوادى النازل من افكان الى افكان مرحلة و افكان مدينة لها أرحية و حمّامات و قصور و فواكه و كانت ليعلى بن يحمد ذات سور من تراب فى غاية الارتفاع و العرض و واديها يشقّها بنصفين، و منها الى تاهرت بالعرض الى الشرق ثلث مراحل و لا فكان على واديها أعمال عريضة و أجنّة و مزارع، و منها الى المعسكر قرية عظيمة لها أنهار و أشجار و فواكه مرحلة، و من المعسكر الى جبل توجان الى عين الصـفاصف قرية كبيرة لها عين و أنهار و أشـجار و منها سـقى يلل مرحلة، و منها الى يلل مدينة ذات أنهار و فواكه مرحلة،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۹۰

و من يلل الى شـلف مدينة ذات سور و حصن و نهر و شجر و مزارع مرحلة، و منها الى غزه مدينة صالحة [مرحلة] و فيها سوق و حمّام و يصاقب أعمالها سوق إبراهيم و هى مدينة أيضا صـغيرة فيها حمّام و سوق و هى على نهر شلف، و من سوق إبراهيم الى تاجنه مدينة صغيرة فيها سوق و لها فواكه و تين عظيم كثير بجهّز عنها مرحلة، و منها الى تنس مرحلة، و من تنس الى بنى واريفن مرحلة لطيفة بين جبال عظام شواهق سوامق و بنو واريفن قرية أزليّة لها كروم و سوان كثيرة و هى على نهر شـلف، و منها الى الخضراء مدينة على نهر و لها فواكه و سوان و بها السفرجل المعنّق الفراسىّ مرحلة و لها ناحية خصبة و فيها سوق و جامع و حمّام، و منها الى ملیانه مدينة أزليّة و لهـا أرحيـة على نهرهـا و سـقى كثير من واديهـا و لهـا حظّ من نهر شـلف مرحلـة، و منها الى سوق كران و هو حصن أزلىّ له مزارع و سوان و هو على نهر شـلف أيضا مرحلـة، و من سوق كران الى ريغه و هى قريـة و لها سوق صالـح و لها فواكه و أجنّـة و أنهار تطّرد و مزارع مرحلة، و منها الى رطل مازوغه قرية لطيفة حسـنة فيها ماء عذب مرحلة، و منها الى اشير مدينة بحصن يسكنها آل زيرى بن مناد و لها سور حصـين و أسواق و عيون تطّرد و أجنّـة و مزارع و إقليم حسن القـدر مرحلـة، و من اشـير الى تامزكيدا و بها عين و لها أنهار

عذبة مرحلة، و منها الى الوادى المالح مرحلة، و منها الى المسيلة مرحلة، [و قد أتيت بهذا الطريق مقلوبا لأنّى سلكته من المغرب الى افريقيّة،] (۴۲) و فاس مدينة جليلة يشقّها نهر و هى جانبان يليهما أميران مختلفان [۲۷ ب] و بين أهل الجانبين الفتن الدائمة و القتل الذريع المتّصل و نهرها كبير غزير الماء عليه أرحية كثيرة و هى مدينة خصبة مفروشة بالحجارة أحدثها إدريس بن إدريس فى كلّ يوم من أيّام الصيف يرسل فى أسواقها من نهرها الماء فيغسلها فتبرد الحجارة و جميع ما بها من الفواكه

صورة الأرض، ج۱، ص: ۹۱

و الغلّات و المطاعم و المشارب و التجارات و المرافق و الخانات فزائد على سائر ما قرب منها و بعد فى أرض الهبط موقعه و ظاهر بكثرته حدّه و موضعه و مستفاض بوفوره مكانه و مرفقه، (۴۳) و منها الى سجلماسه ثلث عشرة مرحلة و سجلماسه مدينة حسنة الموضع جليلة الأهل فاخرة العمل على نهر يزيد فى الصيف كزيادة النيل فى وقت كون الشمس فى الجوزاء و السرطان و الأسد فيزرع بمائه حسب زروع مصر فى الفلاحة و ربّما زرعوا سنة عن بذر و حصدوا ما راع من زرعه و تواترت السنون بالمياه فكلّما أغدقت تلك الأرض سنة فى عقب أخرى حصدوه الى سبع سنين بسنبل لا يشبه سنبل الحنطة و لا الشعير بحبّ صلب المكسر لذيذ المطعم و خلقه ما بين القمح و الشعير و لها نخيل و بساتين حسنة و أجنّة و لهم رطب أخضر من السلق فى غاية الحلاوة و أهلها قوم سراة مياسير يباينون أهل المغرب فى المنظر و المخبر مع علم و ستر و صيانة و جمال و استعمال للمروؤة و سماحة و رجاحة و أبنيتها كأبنية الكوفة الى أبواب رفيعة على قصورها مشيّدة عالية، (۴۴) و عن يسار طريق فاس الى سجلماسه إقليم اغمات و هو رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير و التجارة الى سجلماسه و غيرها، و من سجلماسه الى اغمات نحو ثمانى مراحل و مثلها الى فاس، و من ورائها الى ناحية البحر المحيط السوس الأقصى و ليس بالمغرب كلّه بلد أجمع و لا ناحية أوفر و أغزر و أكثر خيرا منها قد جمعت فنون المآكل كلّها ذات الصرود و الجروم فيها الأترجّ و الجوز و اللوز و النخل و قصب السكّر و السمسم و القنّب و سائر البقول التى لا تكاد تجتمع بغيرها و أهل السوس فرقتان مختلفتان مالكيون أهل سنّة و موسويّون شيعة يقطعون على موسى بن جعفر من أصحاب علىّ بن ورصند و الغالب على الجميع الجفاء و الغلظة فى العشرة و قلّة رقّة الطبع و المالكيّون من فظاظ الحشويّة و بينهم القتال المتّصل و الدماء الدائمة و لهم بالبلد مسجد جامع تصلّى فيه الفرقتان [فرادى] عشره

صورة الأرض، ج۱، ص: ۹۲

صلوات إذا صلّت فرقة تلتها الأخرى بعشرة أذانات و عشر إقامات و بالمالكيّين من جباسة الأخلاق و بحسب ما نالوا من رفاهة العيش نالوا من الجهل و الطيش، و من السوس الى سجلماسه اثنتا عشرة مرحلة، (۴۵) و من سجلماسه الى اودغست شهران [على سمت المغرب فتقع منحرفة محاذاة عن السوس الأقصى كأنّهما مع سجلماسه مثلّث طويل الساقين أقصر أضلاعه من السوس الى اودغست] ، و اودغست مدينة لطيفة أشبه بلاد الله بمكّة و بمدينة الجرزوان فى بلد الجوزجان من بلاد خراسان لأنّها بين جبلين ذات شعاب، و من اودغست الى غانه بضعة عشر يوما [بالمفردة] و من غانه الى كوغه نحو شهر و من كوغه الى سامه دون الشهر و من سامه الى كزم نحو شهر أيضا و من كزم الى كوكو شهر و من كوكو الى مرنده شهر و من مرنده الى زويله شهران و من زويله الى اجدابيه شهر و من زويله الى فزان خمس عشرة مرحلة و من فزان الى زغلوه شهران، [و على سمت اودغست المتقدّم ذكرها فى نقطة المغرب اولیل و هو على نحر البحر و آخر العمارة و اولیل معدن الملح ببلاد المغرب بينها و بين اودغست شهر] [۲۸ ظ] و من اولیل الى سجلماسه راجعا الى الإسلام شهر و كسر ، و من سجلماسه الى لمطه معدن الدرق اللمطيّة عشرون يوما [و من اولیل الى لمطه معدن الدرق خمسة و عشرون ميلا و دون لمطه من بلاد المغرب تامدلت

صورة الأرض، ج۱، ص: ۹۳

و على جنوبها اودغست]، و من سجلماسه الى القيروان على نفزاوه و نواحى قسطيليه شهران، (۴۶) و أكثر بربر المغرب الذين من سجلماسه الى السوس و اغمات و فاس الى نواحى تاهرت و الى تنس و المسيلة و بسكره و طبنه و باغاى الى كربال و ازفون و نواحى

بونه [الى مدينـة قسـطنطينيّة الهواء و كتامـة و ميله وسـطيف] يضـيفون المارّة و يطعمون الطعام و يتخلّق قوم منهم بخلق ذميم من بـذل أنفسـهم لأضـيافهم على سبيل الإكرام و لا يحتشـمون من ذلك و أكبرهم و أجملهم كأصغرهم فى بذله نفسه لضيفه حتّى يلحّ به ، [و قد جاهد على ذلك أبو عبد الله الداعى لبعضهم الى أن بلغ بهم كلّ مبلغ فما تركوه،] (۴۷) و أمّا القسطنطينيّة التى لكتامة فمدينة قريبة الأمر تـدانى ميله و نقاوس فى حالهما، و مدينة نقاوس مدينة كبيرة عليها سور من حجارة قديمة أزليّة و لها مياه كثيرة و أجنّة عظيمة و بهـا جميع الفواكه كـاللوز و الجوز و الكروم و زرعهم غزير كثير، و مدينـة بلزمه حصن لطيف فيه رجـال جلـد و له مـاء جـار و هو فى وسط فحص عليه سور تراب و زروعهم تسقى بمائهم و هو بلد محدث للعرب و فيه بقاياهم الى الآن و هو من الرخص و السعة و كثرة الكراع و الماشـية و العزّ و المنعـة فى غايـة حسـنة، و ممّا ظاهر هـذه الـديار الى نواحى البادية على طريق سـجلماسه من افريقيـة مدينة سماطه و هى من نفزاوه مدينة صالحة و تدانيها مدينة بشّرى و هى أيضا

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۹۴

ذات سور و مدينـة نفطه أيضا مصاقبـة لهـذه الحـدود و لها سور و نخيل واسـعة، و قسـطيليه مدينة أيضا كبيرة عليها سور حصـين و لها نخيـل كثيرة و التمر و القسب بهـا كثير و هى مغوثـة افريقيـة بتمورها و فيها الأترجّ الكثير الحسن الطيّب الزكىّ و أكثر الفواكه بها على حال معتدلة فى الطيبة و ماؤها غير طيّب و لا مرىء يجرى سواقيها فى خلال أجنّتها و نخلها أكثر منه بغيرها ممّا يجاورها و سـعر الطعام بهـا فى سـائر الأقوات غـال لأنّه يجلب اليها و لا يزرع بها من الشـعير و لا القمـح إلّا زرع تافه و هى من السـعة و البيوع و الأشـربة فى الأسواق و كثرة الوارد و الصادر عليها ملتمسـين للمير و التجارة بما لا يدانيها فيه مدينة ممّا قاربها و جهاز الصوف فى جميع جهاته من الشـقّة و الكسى و الحنبل الى سائر ما يعمل منه يحمل منها الى جميع الأقطار، و مدينة الحمة مدينة غير طيّبة الماء أيضا و لها شىء من النخيل و بينها و بين مدينة قفصه القصور الثلاثة، و قفصه مدينة أيضا مسـتقلّة ذات سور و نهر يجرى أطيب من ماء قسـطيليه و لها أجنّة و كروم و نخيل و هى تصاقب من جهـة إقليم قموده قاصـره و مدينـة مذكود و مدينة نفايض و مدينة كمونس الصابون و هى مدنيّات قريبة الأحوال و كانت قبل سـنة ثلثين فى غاية الكمال فأتى عليها أبو يزيد مخلد بن كيداد الإباضىّ، (۴۸) و أمّا جبل نفوسه فجبل عال منيف يكون نحو ثلثة أيّام فى أقلّ من ذلك و فيه منبران لمدينتين تسمّى إحداهما شروس فى وسط الجبل و فيها مياه جارية و كروم و أعناب طيّبة و تين غزير و أكثر زروعهم الشـعير و أيّاه يأكلون و إذا خبز كان أطيب طعما من خبز الحنطة و لشعيرهم لذّة [۲۸ ب] ليس لخبز من أخباز الأرض لأنّه ينفرد بلذّة ليست فى خبز

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۹۵

إلّا ما كان من سـميذ أو حوّارى قـد تأنّق صانعه فيه، و بالجبل مدينـة ثانيـة تعرف بجادوا من ناحيـة نفزاوه و فيها منبر و جامع، و الجبل بأجمعه دار هجرتهم على قـديم الأيّام لهم و به معشـر الإباضـيّة و الوهبيّة ثووا بعد عبد الله بن إباض و عبد الله بن وهب الراسبىّ لأنّهما قدماه و ماتا به و لم يدخل أهل هذا الجبل فى عهد الإسـلام الى سلطان و لا سكنه غير الخوارج مذ أوّل الإسلام بل مذ عهد علىّ عليه السـلام وقت انصـرافهم عنه بمن سلم معهم من أهل نهروان و قد أقام من خلفهم على منهاج سلفهم به و بما قاربه من مدن الخوارج و هى نفزاوه و لا وجه و بادس و بسـكره يعتقدون آراءهم و يمشون على سـننهم و للسلطان على أهل هذه المدن حكم و أمره فيهم نافذ و كـذلك فيمن كان منهم، (۴۹) و كورة تاهرت من افريقيـة عنـد الجميع و كانت فى القـديم مفردة العمل و الاسم فى الـدواوين، [و مدينة سـطيف كثيرة الخير تقارب ميلة و المسـيلة و تصاقب القسطنطينيّة و بربرها بالصورة التى ذكرتها من بذل الطعام و الأولاد و كان أصـل ما اسـتباحهم به أبو عبـد الله الـداعى على بـذل أولادهم لأضـيافهم، فإنّى سـمعت أبا علىّ بن أبى سـعيد يقول أنّه ليبلغ بهم فرط المحبّة فى إكرام الضـيف أن يؤمر الصبىّ الجليل الأب و الأصل الخطير فى نفسه بمضاجعة ضيفه ليقضى منه نهمته و ينال منه الحرام و ربّما وقعت شـهوة أحد الباطل فى جليل من فرسانهم و شجعانهم فلا يمتنع عليه منه مطلب من الباطل و يرى ذلك كرما و فخرا و الإباء عنه عارا و نقصا

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۹۶

و ليس نرى بكتامة التى بسطيف و لا بغيرها شيئا من هذا الأمر و لا يجيزونه و لا يستحسنون ذكره، و كتامة التى بهذه الناحية متشيّعون و بهم ظهر أبو عبد الله الداعى و أخذ المغرب،] و قد تغيّرت [تاهرت] عمّا كانت عليه و أهلها و جميع من قاربها من البربر فى وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم [و دوام القحط و كثرة القتل و الموت و كذلك كتامة فى حالها] من جهة خليفة أهل المغرب بالمغرب و هو بلكين يوسف بن زيرى و قد استباح الجميع، [فأمّا أهل قسطيلية و قفصة و نفطة و الحامّة و سماطة و بشّرى و أهل جبل نفوسة فشراة إمّا إباضيّة من أصحاب عبد الله بن إباض أو وهبيّة من أصحاب عبد الله بن وهب و تجاورهم من البربر زماتة و مزاتة قبيلتان عظيمتان الغالب عليهم الاعتزال من أصحاب واصل بن عطاء و كان أبو يزيد مخلد بن كيداد الإباضىّ الخارج على القائم محمّد بن عبيد الله عليه السلام من أهل سماطة و من فراعنتهم قتل خليلا صاحب ديوان المغرب و ميسورا الخادم صاحب جيش المغرب و اتّسق له من الظلم و العدوان ما جعل الله بغيه نكالا عليه،] (۵۰) و كانت القيروان أعظم مدينة بالمغرب و أكثرها تجرا و أموالا و أحسنها منازل و أسواقا و كان فيها ديوان جميع المغرب و اليها تجبى أموالها و بها دار سلطانها و بظاهرها المكان المدعوّ رقّادة و هو مدينة كانت منازل لآل الأغلب، (۵۱) و سمعت أبا الحسن بن أبى علىّ الداعى المعروف كان بحمدان قرمط و هو صاحب بيت مال أهل المغرب يقول فى سنة ستّ و ثلثين و ثلثمائة دخل المغرب من جميع وجوه أمواله و سائر كوره و نواحيه و أصقاعه

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۹۷

عن خراج و عشر و صدقات و مراع و جوال و مراصد و ما يؤخذ عمّا يرد من بلد الروم و الاندلس فيعشر على سواحل البحر و ما يلزم الخارج من القيروان الى مصر و يلزم ما يرد منها من الورق و المقوّم بقيمة العين و العين المجتبى من هذه الوجوه فيكون من سبع مائة ألف دينار الى ثمان مائة ألف دينار قال و لو بسطت يده فيه لبلغ ضعفه و إن قصر عن ذلك فالقليل، و سمعت هذه الحكاية بعينها و اللفظ بصيغته من زيادة الله أبى نصر بن عبد الله بن القديم فى سنة ستّين يذكرها عن نفسه و كان صاحب الخراج بافريقية و جميع المغرب و كأنّهما تفاوضا القول و علما وجوه ذلك و ما يدخل فيه من ارتفاق أصحاب الأعمال و استئثارهم بما يزيد على القوانين فى أيديهم و ما أبعد أن يكون ذلك كذلك لما تبيّنته فى ضمان برقة و حالها و كان جميع المغرب فى أيّام آل عبيد الله يعمل بالأمانة من غير ضمان حتّى تقبّلت برقة و ليس بجميع المغرب ضمان غيرها، (۵۲) فأمّا ما يجهّز من المغرب الى المشرق فالمولّدات الحسان الروقة كالتى استولدهنّ بنو العبّاس و غيرهم و أكابر رجالهم و ولدن غير سلطان عظيم كسلامة البربريّة أمّ أبى جعفر عبد الله بن محمّد بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس و قراطيس أمّ أبى جعفر هرون الواثق بن المعتصم و قتول أمّ أبى منصور محمّد القاهر بن المعتضد و غير من ذكرت [۲۹ ظ] من ملوك المشرق و أمرائه و الغلمان الروقة الروم و العنبر و الحرير و الأكسية الصوف الرفيعة و الدنيّة الى جباب الصوف و ما يعمل منه و الأنطاع و الحديد و الرصاص و الزيبق و الخدم المجلوبون من بلاد السودان و الخدم المجلوبون من أرض الصقالبة على الاندلس، و لهم الخيل النفيسة من البراذين و البغال الفره و الإبل و الغنم و ما لديهم من ماشية البقر و جميع الحيوان الرخيص، فأمّا أسعارهم على تنائى مدنهم و ديارهم فعلى غاية الرخص

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۹۸

فى الأطعمة و الأغذية و الأشربة و اللحمان و الأدهان و لهم من جيّد الفواكه و الثمور و الأرطاب و سائر الاغذية [و عندهم من الجمال الكثيرة فى براريّهم و سكّان صحاريهم التى لا تدانيها فى الكثرة إبل العرب،] (۵۳) هذا الى طاعتهم لمن ملكهم فثقّفهم و نفارهم عمّن أهملهم و أغفلهم و ليس فى بلدانهم من الفواحش الظاهرة و تعاطى الأمور المنكرة كالعيدان و الطنابير و المعازف و النوائح و القيان و المخنّثين و الفسق الشنيع ما بكثير من المواضع، و قد يعرض فى بعض نواحيهم من التهوّر الشديد و الجنون العتيد و بذل السيف و بدار الطيش و يوجد عندهم فيمن رقّ أدبه و حسن عمله من هذا وجوه فاسدة و حجج فيمن يقول به و يستحسنه داحضة، و فيهم خاصّة بغير هذه الصفة لم يزالوا تسمو هممهم و تتوق نفوسهم الى ورود المشرق بسعة أخطارهم و فاشى مروآتهم فيزدادون ظرفا

و أدبا و محتدا و فروسيّة و عملا فى جميع وجوه الفضل و سبل النبل، و كان ممّن قدم مصر بهذه الحال قديما محمّد بن هواشا و كانت فيه آلة من آلات الخير و كان تائئا فاكتنفه السلطان بمصر و استخدمه لبسالته و شجاعته و رياسته فتقدّم فى كلّ حال من الجميل و الخير و كان يتخرّق فى نفقاته و يتّسع فى صدقاته و يتناهى فى معروفه و طلباته و كان إذا نصبت موائده فتحت أبوابه و رفعت ستوره و حجابه و بلغ الداخل عليه جميع آماله بل أناف على رجائه بإجماله و حسن فعاله، و اليه توهيب بن سعيد و كان يتعاطى الزيادة على ابن هواشا و غيره من منتحلى المحاسن و مكتسبى المكارم، و بنو مصعب و كانوا ثلثة نفر من بعد هؤلاء بزمان و أدركت من شاهدهم فى غاية الكمال من أمور الدنيا و الآخرة و اختلّت أحوالهم بتغيّر الزمان و السلطان و انتقال الولايات بمصر فلم يفارقوا عاداتهم و لم يخلّوا برسم لمن كان برسمهم الى القيام بمن جاور أسبابهم و اتّصل بأتباعهم و قبروا مستورين

صورة الأرض، ج۱، ص: ۹۹

فى آخر نعمهم، و أبو الحسن البلزمىّ و كان أميرا مع الماذرائيين مجبورا على الإمارة يذهب بنفسه عن أحوال الوزارة الى التواضع بذمّ الدنيا و قلّة الحفل بالمقبل منها و لحق الاخشيذ فأحسن اليه و بالغ فى إكرامه و زاد فى أرزاقه و جرايته و كان يقول أبو الحسن طريق المعروف و السبيل الى صلاح الخاصّة و العامّة و القاضى حقّه كالقاضى حقّ نفسه لأنّ اكتسابه المحامد به حال لا تجدها مع سواه و لا تراها مع غيره، (۵۴) و يقارب القيروان سجلماسه فى صحّة الهواء [۲۹ ب] و مجاورة البيداء مع تجارة غير منقطعة منها الى بلد السودان و سائر البلدان و أرباح متوافرة و رفاق متقاطرة و سيادة فى الأفعال و حسن كمال فى الأخلاق و الأعمال يخرجون برسومهم عن دقّة أهل المغرب فى معاملاتهم و عاداتهم الى عمل بالظاهر كثير و تقدّم فى أفعال الخير شهير و حنوّ بعض على بعض من جهة المروءة و الفتوّة و إن كانت بينهم الحنات و الترات القديمة تواضعوها عند الحاجة و اطّرحوها رياسة و سماحة و كرم سجيّة تختصّ بهم و أدب نفوس وقف عليهم بكثرة أسفارهم و طول تغرّبهم عن ديارهم و تعزّبهم من أوطانهم، و دخلتها فى سنة أربعين فلم أر بالمغرب أكثر مشايخ فى حسن سمت و ممازجة للعلم و أهله الى سعة نفوس عالية و هم سامقة سامية، و سائر أرباب المدن دونهم فى اليسار وسعة الحال و نتقارب بالعصبيّة أوصافهم و تتشاكل أحوالهم و لقد رأيت باودغست صكّا فيه ذكر حقّ لبعضهم على رجل من تجّار اودغست و هو من أهل سجلماسه باثنين و أربعين ألف دينار و ما رأيت و لا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبها و لا نظيرا و لقد حكيتها بالعراق و فارس و خراسان فاستطرفت، و لم يزل المعتزّ أيّام ولايتها و هو أميرها يجتبيها من قوافل خارجة الى بلد السودان و عشر و خراج و قوانين قديمة [على] ما يباع بها و يشترى من إبل و غنم و بقر الى ما يخرج عنها و يدخلها من نواحى افريقية و فاس و الاندلس و السوس

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۰۰

و اغمات الى غير ذلك ممّا على دار الضرب و السكّة زهاء أربع مائة ألف دينار تختصّ بها و بعملها و قد ذكرت أنّ ارتفاع المغرب من أوّله الى آخره من ثمان مائة ألف دينار الى ما زاد على ذلك بيسير و ربّما نقص الكثير و جباية سجلماسه تختصّ بها و بعملها و تكون خمسة أيّام فى ثلثة، (۵۵) و البربر السكّان بالمغرب فقبائل لا يلحق عددهم و لا يوقف على آخرهم لكثرة بطونهم و تشعّب أفخاذهم و قبائلهم و توغّلهم فى البرارىّ و تبدّدهم فى الصحارى و جميعهم من ولد جالوت إلّا اليسير منهم و فيهم ملوك و رؤساء و مقدّمون فى القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم و يأمرونهم فلا يخالفونهم و المال فيهم من الماشية كثير غزير و من المتعزّبين الموغلين فى البرارىّ صنهاجة اودغست و سمعت أبا إسحاق ابراهيم بن عبد الله المعروف بفرغ شغله و هو صاحب الدين و الصكّ الذى قدّمت ذكره باودغست يقول سمعت تنبروتان بن اسفيشر يقول و كان ملك صنهاجة أجمع أنّه يلى أمرهم مذ عشرون سنة و أنّه لا يزال فى كلّ سنة يرد عليه قوم منهم زائرين له لم يعرفهم و لا سمع بهم و لا مقلهم قال و يكونون نحو ثلثمائة ألف بيت من بين نوّالة و خصّ و كان الملك فى أهل هذا الرجل لهذا القبيل مذ لم يزالوا، و حدّثنى أيضا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد اللّه أنّ قبيلة من قبائل البربر قصدت ناحية اودغست للإيقاع بآل تنبروتان فى جمع كثيف و عدّة قويّة و عدّة عظيمة تلتمس غرّة و تهتبل فرصة عن طوائل حدثت

مع بعض صنهاجة و بلغ ذلک تنبروتان ملکهم هذا و أعید علیه ذکرهم و حالهم و مقصدهم فی طریقهم [۳۰ ظ] دفعات فلم یعد جوابا فیه و دعا برعاة کانوا لأخته و کانت أیسر أهل قبیلتها و أکثرهم مالا من حیث لا یعلم أحد و قال لهم أنتم علی میاه فلانة و فلانة و بنو فلان یردون ناحیتکم لیلة کذا و کذا فإذا کان فی سحرة تلک اللیلة فاعتمدوا هیج الإبل التی هناک بأجمعها علی الشرف الفلانیّ و نفارها علی القوم و اکتموا علی ما أقوله عن

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۰۱

أنفسکم لتنالوا به منّی خیرا إن شاء الله و أتی القوم فنزلوا و نفّر الرعاة الإبل فصوّبت علی المکان و الجیش الذی به فأتت علی جمیع من کان منهم مع إبلهم و سلاحهم دوسا لهم و وطئا علیهم حتّی استفاض جمیع من باودغست و من بعد عنها من أعدائهم أنّه لم یعرف لواحد منهم حلیة بوجه من الوجوه و لا أثر لشیء ممّا کان معهم حتّی جعلوه شذر مذر و کان رعاتها هناک مائة و مع کلّ راع منهم مائة و خمسون جملا و أصبحوا الیه یهنّئونه و قد کفاهم الله شرّهم، (۵۶) و ملک اودغست هذا یخالط ملک غانه و غانه أیسر من علی وجه الأرض من ملوکها بما لدیه من الأموال و المدّخرة من التبر المثار علی قدیم الأیّام للمتقدّمین من ملوکهم و له و یهادی صاحب کوغه و لیس کوغه بقریب من صاحب غانه فی الیسار و حسن الحال و یهادونه و حاجتهم الی ملوک اودغست ماسّة من أجل الملح الخارج الیهم من ناحیة الإسلام فإنّه لا قوام لهم إلّا به و ربّما بلغ الحمل الملح فی دواخل بلد السودان و أقاصیه ما بین مائتین الی ثلثمائة دینار، (۵۷) و فیما بین اودغست و سجلماسه غیر قبیلة من قبائل البربر متعزّبون لم یروا قطّ حاضرة و لا عرفوا غیر البادیة العازبة فمن ذلک [شرطة و سمسطة و] بنو مسوفا قبیل عظیم من المقیمین بقلب البرّ علی میاه غیر طائلة لا یعرفون البرّ و لا الشعیر و لا الدقیق و فیهم من لم یسمع بهما إلّا بالمثل و أقواتهم الألبان و فی بعض الاوقات اللحم و فیهم من الجلد و القوّة [ما لیس لغیرهم و لهم ملک یملکهم و یدبّرهم تکبره صنهاجة و سائر أهل تلک الدیار لأنّهم یملکون تلک الطریق و فیهم] البسالة و الجرأة و الفروسیّة علی الإبل و الخفّة فی الجری و الشدّة و المعرفة بأوضاع البرّ و أشکاله و الهدایة فیه و الدلالة علی میاهه بالصفة و المذاکرة و لهم الحسّ الذی لا یدانیه فی الدلالة إلّا من قاربهم و سعی سعیهم، فإنّه یحکی عن أهل فرغانه و اشروسنه

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۰۲

و اسبیجاب و خوارزم من الهدایة و الاستدلال فی الظلام و اللیل البهیم بغیر نجوم و النهار المنطبق بالقتام و الرکام و سقوط الثلج بحیث ینکر المرء من لدیه علی خطوات و لا یراه للضباب و هم فی ذلک یجرون و یسیرون و قد استوت فجاج الأرض و أوعارها و جبالها و أودیتها بما استولی علیها من الثلوج فصارت کالمستویة الأرجاء و هم غازون فیقول قائلهم أین نحن و علی أیّ أشجار نسیر و بأیّ واد و علی أیّ قتر من الجبل الفلانیّ أنتم فلا یخرم مجیبه فیما یجیبه به عن نفس الحقیقة و الموضع الذی سأله عنه و لقد قال أحدهم لمن سأله نحن علی الشجرة الفلانیّة من بلد کذا و کذا و ما رآه سائله بل أنت عن تلقائها فوجد الأمر علی قول المجیب، و رأیت من بعض هذا القبیل و قد أثیرت جمال أراد هذا الرجل بعضها و قد قعد علی طریقها و هی نافرة [۳۰ ب] شاردة و کانت بأجمعها فحولا بزّلا فقبض علی کراعه و هو نافر و قد ساواها فی العدو فمنعه الحرکة الی أن ضرب به الأرض و نحره فکأنّه نحر عنزا أو قصد جدیا، و لهم خلق تامّ و حول و جلد عامّ فی نسائهم و فی رجالهم و لم یر لأحدهم و لا لصنهاجة مذ کانت من وجوههم غیر عیونهم و ذلک أنّهم یتلثّمون و هم أطفال و ینشؤون علی ذلک و یزعمون أنّ الفم سوءة تستحقّ الستر کالعورة لما یخرج منه إذ ما یخرج منه عندهم أنتن ممّا یخرج من العورة، و لهم لوازم علی المجتازین علیهم بالتجارة من کلّ جمل و حمل و من الراجعین بالتبر من بلد السودان و بذلک قوام بعض شؤونهم، (۵۸) و من بأدانی سجلماسه و المغرب من البربر یأکلون البرّ و یعرفونه و الشعیر و یزرعونه و التمور و الطیّبات [و فی أعراضهم أصحاب البرانس المقیمون بین السوس و اغمات و فاس و لهم لوازم علی المجتازین من فاس الی سجلماسة یلزمونهم علی ما معهم من التجارة و یخفرونهم] ، و فی کثیر منهم

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۰۳

الشرایة [و التدیّن القویّ بها و التمسّک بها] و فی بعضهم الاعتزال و العلم و من بالسوس و نواحی درعه شیعة و فی أخبارهم أنّ بعض شراتهم رکب فی فئة من قومه فلقی نفرا من أصحاب واصل بن عطاء بنواحی زناتة فبدر الیهم و قال من أنتم و کان المسؤول لسنا جدلا فقال مشرکون نحبّ أن نسمع کلام الله و کان یجب علیهم لوازم فیما معهم من المتاع فقال السائل أریحوا و انزلوا علی هذا الماء لتسمعوا و تبلغوا مأمنکم کما أمر الله تعالی فأنزلوهم و أضافوهم و علفوهم و أکرموهم و بلّغوهم و لم یلزموهم شیئا [و أجازوهم الی متوسّط بلاد المغرب] ، و جمیعهم یبیحون البلاد للمراعی و الزرع و المیاه لورود الإبل و الماشیة ، و فی کثیر منهم ألوان حسنة و محاسن فائقة فی خلقهم و أبدان نقیّة حتّی یأخذوا فی جهة الجنوب فتستجیل ألوانهم و أبشارهم، و فیهم أصحاب [ماشیة و] خیل و بغال و نتاج یقتنون الرمک و یستنتجون البغال و غیرها و منهم من لا یقدر لعوز الماء علی غیر الإبل [و الیسیر من المعز] و لنأی الماء عنه، (۵۹) و بین المغرب و البلدان التی قدّمت ذکرها و بلد السودان مفاوز و براریّ منقطعة قلیلة المیاه متعذّرة المراعی لا تسلک إلّا فی الشتاء و سالکها فی حینه متّصل السفر دائم الورود و الصدر، (۶۰) و من بالسواحل من البربر بنواحی الهبط و أرض طنجة وازیلی و فاس و السوس و تامدلت ففی خفض من العیش و طیبة المآکل و خاصّة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۰۴

من بالهبط فی ضمن عبد الله بن إدریس بن إدریس بن عبید الله بن إدریس بن إدریس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علیّ بن أبی طالب صلوات الله علیهم أجمعین و فی غایة من الخصب و رخص الأسعار و اللذیذ من الأغذیة الحسنة و کانب حالهم فیما تقدّم أزید من هذا الوقت صلاحا، و قد تغیّر بعض ما أدرکته فی سنی نیّف و ثلثین من حالهم، (۶۱) [و فی وقتنا هذا فقد تدانت أحوالهم و صلحت أمورهم و عمر طریقهم و لم یزل أهل هذا النسب منظورا الیهم مرعیّة حقوقهم عند بنی أمیّة علی سالف الدهر و أدرکت عبد الرحمن أبا المطرّف بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن الحکم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاویة بن هشام بن عبد الملک بن مروان یحافظ علیهم مرّة و یسوقهم بالعصا مرّة لما کان تظاهر به أبو العیش من قبح السیرة و خبث المعاملة لبنی السبیل و کثر الغیلة، و ذلک أنّ عبد الرحمن هذا و أهله یملکون الاندلس و یحاذون هذه الناحیة و بینهم أصل الخلیج الخارج الی بلد الروم عن قرب مسافة ما بین العدوتین حتّی أنّهم لیری بعضهم ماشیة بعض و صور أشجارهم و زروعهم و یتبیّنون الأرض المفلوحة من أرض البور و عرض الماء فی ذلک یکون اثنی عشر میلا، و أمّا حکم أصحاب طنجة المذکورین عند المهدیّ و القائم و من تقدّم من ملوک المغرب فعلی سبیل الرعایة و الصیانة کانوا یفدون و یزورون و یکرمون و یبجّلون و یحملون و یوصلون و یصرفون علی ما یحبّون،] (۶۲) و قد أعدت فی غیر موضع ما استکثرته من عدد أحیاء البربر و قبائلهم الذین تجمعهم أبوّة جالوت و کأنّی ببعض المتصفّحین لکتابی هذا یستثقل ذلک و لا ینزله منزلته، و قد أعدت بهذه الصفحة و ما یتلوها ذکر ما وقع الیّ من أسماء قبائل صنهاجة و بطونها و أفخاذها و عصبتهم، و هم انکیتو و بنی مارکسن و بنی کاردمیت و بنی سیغیت [۳۱ ظ] و بنی

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۰۵

صالح و بنی مسوفا و بنی وارت و بنی توتک و سرطه و سططه و ترجه و مداسه و بنی لموتونا و مغرسه و مومنه و فریّه و لمطه و ملوانه و انیکارت فهذه قبائل صنهاجة الخلّص، و أمّا بنی تانماک ملوک تادمکه و القبائل المنسوبة الیهم فیقال أنّ أصلهم سودان ابیضّت أبشارهم و ألوانهم لقربهم الی الشمال و بعدهم عن أرض کوکو و هم لأمّهاتهم من ولد حام، و هندزه و مکیته و کلماته و انکریاغن و کرکه و ایللغموتن و کطوطاوه و سکره و بلغلاغه و اندیمن و هاکته و انمزیرن و ایمزواغن و کیلتموتی و کیلمکزن و کیلفروک و فداله و کلساندت وکیل دفر و بنی بزار و ایمکدرن و ایکوفان و انککلن و ایسطافن و ایفکرن، و یقول آخرون بل من صنهاجة أنفسهم و احتجّ ملحق بنی تانماک ببنوّة حام بقول الکندیّ أنّ البیضان إذا تناسلوا فی بلد السودان سبعة أبطن عادوا فی سحنتهم و بسوادهم و إذا توالد السودان فی بلد البیضان سبعة أبطن عادوا فی صورتهم و خلقهم من البیاض و النقاء و لیس بمثل هذه الدعوی یتکلّم علی الأنساب و یقرّ منکر بنی تانماک بأنّ بنی تماکیزت منهم، و مساطه آل یوسف بن زیری بن مناد خلیفة آل عبید

الله أصحاب المغرب على المغرب و بلكين يوسف بن زيرى بن مناد هو صاحب المغرب يومنا هذا و ملكه مذ يوم شخوص أبى تميم عنه، و من قبائل صنهاجة الخارجة [.....] و بنى عمر زيرى و قبيلته يسّيوه و ايفرين و ايمكيتن و ايتوتين و ايتروين و ايوازين و اسواله و بنى كسيله و بنى ورتاف و ايزقارن و تلكاته، و سيّد ملوك تادمكه فى وقتنا هذا فسهر بن الفاره و ايناو بن سبنزاك و هم الولاة و فيهم رياسة و علم وفقه و سياسة الى علم بالسير و اضطلاع بالأثر و الخبر و هم بنو تانماك،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۰۶

(۶۳) و من قبائل البربر الخارجة عن صلب زناتة بنو مغراوه و بنو و تاجن و بنو يلوما و بنو يزللن و بنو بزمرنتا و بنو زاوين و بنو امندرين و زواوه و مكلاته و بنو ملنتيس و بنو واريتن و نزارته و بنو سنوس و بنو يانكانس واى سراوسن و بنو يوكسّن و بنو يوجين و بنو يوجلين و بنو تيكرت و مريطاطه و بنو يغمريتن و بنو يلغيل و بنو يلاسيكشن يريد قوم الله و بنو نفوريت و منجصه و دانه و زواوه و نفزه و بنو واريفن و بنو يرنيان و بنو امزيور و بنو وارونيفن و بنو صندرين و بنو بطوى و بنو غرميست و كرنتايه و فنزازه و بنو و رياغن و بنو مطكوداسن و بنو مومناسن و بنو مستيزين و بنو غمرت و بنو يسوكين و بنو طارق و بنو مومان و بنو احوب و بنو مستنيتن و بنو ورتيزان و بنو غليان و بنو و مانوا و بنو وريليتس و بنو وفا و بنو يليان و بنو لوه و رجمه و بنو ويسروكن و بنو تدرج و بنو وصين و بنو مصنان [۳۱ ب] و بنو بوليت و بنو سبلين و بنو سيكرين و بنو غفاوسن و صدينه و بنو وكلادن و بنو وطوف و بنو غرزوات و بنو سغماز و بنو يرزال و بنو تزارت و بنو زوراغ و بنو شلكان و بنو يوراسن و يغمره ، و هؤلاء عصبة زناتة من لواتة و مزاتة و هم بنو خطاب ملوك مزاتة و هم من مزاتة أنفسهم، و بنو يكدلين و بنو يزدرن و بنو عكاره و رماته و نجاسه، و سيّد بنى خطاب اليوم أبو عبد الله مبارك بن عيسى بن خطاب بزويله مطاع فى أدانيه و أباعده و رهطه بنو مزليكش و فيهم المملكة و هم آل خطاب علية مزاته، و بلكاوه و اسيله و فطناسه و سمتيسه و كلله و بنو درف و بنو مندره و بنو دوسين و بونيسه الأشرار الأنكاد الأقذار و بنو اجرفزان و باجايه و بنو سدوين و بنو غيلين و بنو يرمزيان و بنو الهكم و زهاته و بنو

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۰۷

عبد الملك و بنو يفوكسن و نسيده و وردیغه و رزيفه و كرداسه و رهاوه و بنو ايكلان و ورزيغه و بنو سفتلن و بنو يطوفه و بنو الاسوار و بنو عاصم و بنو يزتاسن و بنو مكسن و بنو ويان و بنو زعرور و بنو اسماعيل و بلاجه و عنزوره و اكوده و مزوره و فرطبطه و مقرطه و بنو كملان، و من قبائل زناتة أيضا [....] ، و بنو يفرن قبيل يعلى بن يحمد و هم و ولديه فى غاية البلاء مع يوسف بن زيرى وقتنا هذا، و بنو واسين و مطاره و بنو واصل و بنو حمزة و بنو وابوط و مكناسه و بنو تيغرين و مسغونه و بنو ياكرين ، و ملوك زناتة بنو ورزمار و كان منهم محمّد بن الخير بن محمّد بن خزر و عطيّة و مقاتل و لقمن و خزرون بن فلفل قاتل أبى عبد الله بن المعتزّ صاحب سجلماسه و كان أبو عبد الله بن المعتزّ قتل أخاه المنتصر و هم اثنا عشر رجلا فأمّا محمّد بن الخير فإنّه قتل نفسه بيده إذ بايته يوسف بن زيرى خوفا من أن يأسره و كان أجمل قومه و كان محمّد أبو عبد الله بن خزر و عطيّة فارسى زناتة و مقاتل أخوهما بالسوس حيّ، و بنو ستاته و بنو دركمون و بنو مسكن و بنو لنت و كورايه و سندراته و بنو زنداج و بنو ورسفيان و ورداجه و بنو دمر و بنو سنجاسن، (۶۴) و لو قلت أنّى لم أصل الى علم كثير من قبائلهم لقلت حقّا إذ البلاد التى تجمعهم و النواحى التى تحيط بهم مسيرة شهور فى شهور و العلماء بأنسابهم و أخبارهم و آثارهم هلكوا و كنت قد أخذت عن بعضهم رسوما أثبّتها و لم أرجع منها الى غير ما قدّمته من ذكر قبائلهم،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۰۸

[الاندلس]

(۱) فأمّا الاندلس فهى من نفائس جزائر البحر و من الجلالة فى القدر بما حوته و اشتملت عليه بحال سآتى بأكثرها و دخلتها فى أوّل

سنة [۳۲ ظ] سبع و ثلثین و ثلثمائة و القیّم بها أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن الحکم بن هشام بن عبد الرحمن بن معویة بن هشام بن عبد الملک بن مروان، و طولها شهر فی عرض نیّف و عشرین یوما و فیها غامر و أکثرها عامر مأهول و یغلب علیها المیاه الجاریة و الشجر و الثمر و الأنهار العذبة و الرخص و السعة فی جمیع الأحوال الی نیل النعیم و التملّک الفاشی فی الخاصّة و العامّة فینال ذلک أهل مهنهم و أرباب صنائعهم لقلّة مؤنهم و صلاح بلادهم و یسار ملکهم بقلّة کلفه و لوازمه و سقوط شغله بشیء یحذره و حال تخیفه إذ لا رقبة علیه لأحد من أهل جزیرته و لا خشیة له من عدوّ ینصب لمملکته مع عظم مرافقه و جباياته و وفور خزائنه و أمواله و ممّا أدلّ بالقلیل منه علی کثیره و غزیره أنّ سکّة دار ضربه علی الدنانیر و الدراهم ضمانها فی کلّ سنة مائتا ألف دینار و یکون عن صرف سبعة عشر بدینار ثلثة آلاف ألف و أربع مائة ألف درهم هذا الی صدقات البلد و جباياته و خراجاته و أعشاره و ضماناته و مراصده و جوالیه و ما یقبض من الأموال الوافرة علی المراکب الواردة الیهم و الصادرة عنهم و الرسوم علی بیوع الأسواق، [و من أعجب أحوال هذه الجزیرة بقاؤها علی من هی فی یده مع صغر أحلام أهلها وضعة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۰۹

نفوسهم و نقص عقولهم و بعدهم من البأس و الشجاعة و الفروسیّة و البسالة و لقاء الرجال و مراس الأنجاد و الأبطال و علم موالینا علیهم السلام بمحلّها فی نفسها و مقدار جباياتها و مواقع نعمها و لذّاتها،] (۲) فأمّا مغرب هذه الجزیرة فمن مدخل خلیج المغرب المذکور و مصبّ مائه علی البحر المحیط من نواحی لبله و جبل العیون آخذا علی لب و شلب الی أن یتّصل بشنتره و النهر الآخذ من سموره مدینة الجلالقة الی موضع مصبّه من البحر المحیط، و شمالها فمن شنتره ذاهبا علی نواحی سموره و لیون و یونه من بلاد جلیقیه الی أقاصی بلد جلیقیه، و مشرقها فمن مشارق جلیقیه الی الخلیج المغربیّ علی نواحی سرقصه و ضواحی وشقه و طرطوشه و جمیع بلاد الافرنجه من جهة البرّ، و جنوبیّها الخلیج المذکور من بجانه الی تجاه جزیرة صقلیه علی بلاد بلنسیه و مرسیه و المریّه و مالقه و الجزیرة الی رکن البحر المحیط، (۳) و أوّل أرضها المعمورة علی الخلیج الرومیّ فمن اشبیلیه ثمّ الجزیرة و یستمرّ علی المریّه الی افرنجه و یعود علی أرض جلیقیه الی شنتره الی احشنبه علی البحر المحیط، و أمّا حدّ شدونه و مرسیه و ما صاقبها من أرض بلنسیه الی طرطوشه و هی آخر المدن التی علی البحر المتّصل ببلد الافرنجه فهی ثغور تتّصل من جهة البرّ ببلاد غلجشکش و هی بلاد حرب للروم ثمّ تتّصل ببلد بشکونس و هم أیضا نصاری الجلالقة، فینتهی من الاندلس حدّان حدّ الی دار الکفر و حدّ الی البحر المحیط، و جمیع ما ذکرته من المدن علی البحر فمدن کبار عامرة مشحونة بالمرافق التی یفتخر بها أهل النواحی فی بلادهم و منابرهم، و لم تزل الاندلس فی أیدی بنی مروان الی هذه الغایة،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۱۰

(۴) و من مشاهیر مدنها القدیمة جیان و طلیطله و وادی الحجارة و جمیع مدنها قدیمة أزلیّة لم یحدث بها فی الإسلام غیر مدینة بجانه [و هی المریّة] و هی علی حدود رستاق لبیرة و شنترین أیضا علی ظهر البحر المحیط [۳۲ ب] محدثة، (۵) و بالاندلس غیر طراز یرد الی مصر متاعه و ربّما حمل منه شیء الی أقاصی خراسان و غیرها، و من مشهور جهازهم الرقیق من الجواری و الغلمان الروقة من سبی افرنجه و جلیقیه و الخدم الصقالبة و جمیع من علی وجه الأرض من الصقالبة الخصیان فمن جلب الاندلس لأنّهم عند قربهم منها یخصون و یفعل ذلک بهم تجّار الیهود و الصقالبة قبیل من ولد یافث و بلدهم مستطیل واسع و لغزاة خراسان من ناحیة البلغار بهم اتّصال فهم إذا سبوا الی هنالک ترکوا فحولة علی أحوالهم مقرورین علی صحّة أجسامهم [و ذلک أنّ بلد الصقالبة طویل فسیح] و الخلیج الآخذ من البحر المحیط بنواحی یاجوج و ماجوج یشقّ بلدهم و یستمرّ مغرّبا الی نواحی اطرابزنده ثمّ الی القسطنطینیّة و یقطع ناحیتهم بنصفین، [فنصف بلدهم بالطول یسبیه الخراسانیّون و یصلون و النصف الشمالیّ یسبیه الاندلسیّون من جهة جلیقیة و افرنجة و انکبردة و قلوریة و بهذه الدیار من سبیهم الکثیر باق علی حاله،] و سأذکر جمیع ما بها من المجالب فی جملة ما یرد من المغرب من التجارة و الجهاز، (۶) و من معاظم کور الاندلس ریه و مدینتها ارجذونه و منها کان عمر بن حفصون الخارج علی بنی أمیّة و فحص

البلوط متّصل بديار ابن حفصون و ريه كورة واسعة خصبة، و اسفقه رستاق أيضا حسن و مدينته

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۱۱

غافق، و بالاندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدّن و هم على دين النصرانيّة روم و ربّما عصوا فى بعض الأوقات و لجأ بعضهم الى حصن فطال جهادهم لأنّهم فى غاية العتوّ و التمرّد و إذا خلعوا ربقة الطاعة صعب ردّهم إلّا باستئصالهم و ذلك شىء يصعب و يطول، و ماردة و طليطله من أعظم مدن الاندلس و أشدّها منعة، و ثغور الجلالقة ماردة و نفزه و وادى الحجارة و طليطله تلى مدينتى الجلالقة التى تعرف بسموره و ليون و ليون مسكن سلطانهم و عدّتهم بعد سموره و اوبيط من كبار مدنهم و هى بعيدة عن بلد الإسلام، و ليس فى أصناف الكفر الذين يلون الاندلس أكثر عددا من الافرنجه غير أنّ الذى يلى المسلمين منهم ضعيفة شوكتهم قليلة عدّتهم و عدّتهم و فيهم إذا ملكوا طاعة و حسن نصيحة و محاسن كثيرة، و اليهم يرغب أهل الاندلس عن الجلالقة بأولادهم و الجلالقة أحسن و أصدق محاسن و أقلّ طاعة و أشدّ بأسا و قوّة و بسالة و فيهم غدر و هم فى عرض طريق الافرنجه، (۷) و أعظم مدينة بالاندلس قرطبه و ليس بجميع المغرب لها شبيه و لا بالجزيرة و الشأم و مصر ما يدانيها فى كثرة أهل وسعة رقعة و فسحة أسواق و نظافة محالّ و عمارة مساجد و كثرة حمّامات و فنادق و يزعم قوم من سافرتها الواصلين الى مدينة السلام أنّها كأحد جانبى بغداذ و ذلك أنّ عبد الرحمن بن محمّد صاحبها ابتنى فى غربها مدينة و سمّاها بالزهراء فى سفح جبل حجر أملس يعرف بجبل بطلش و خطّ فيها الأسواق و ابتنى الحمّامات و الخانات و القصور و المتنزّهات و اجتلب اليها العامّة بالرغبة و أمر مناديه بالنداء فى جميع أقطار الاندلس ألا من أراد أن يبتنى دارا أو أن [۳۳ ظ] يتّخذ مسكنا بجوار السلطان فله من المعونة أربع مائة درهم فتسارع الناس الى العمارة و تكاثفت الأبنية و تزايدت فيها الرغبة و كادت الأبنية أن تتّصل بين قرطبه و الزهراء و نقل اليها بيت ماله و ديوانه

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۱۲

و محبسه و خزائنه و ذخائره، [و قد نقل جميع ذلك و أعيد الى قرطبة تطيّرا منهم بها و تشأما بموت رجالهم فيها و نهب سائر ذخائرهم،] (۸) و سمعت غير محصّل ثقة ممّن يستبطن جبايات البلد و حاصل عبد الرحمن بن محمّد أنّ لديه ممّا اتّجه له جمعه من الأموال الى سنة أربعين و ثلثمائة ما لم ينقص من عشرين ألف ألف دينار إلّا اليسير القليل دون ما فى خزائنه من المتاع و الحلى المصوغ و آلة المراكب و ما يتحمّل به الملوك من القنية المصوغة، و لمّا توفّى عبد الرحمن بن محمّد سنة خمسين و ثلثمائة صار الأمر الى ابنه أبى العاصى الحكم بن عبد الرحمن فصادر رجال أبيه و قبض نعم خدمه و الوزراء الذين لم يزالوا فى صحبته فكان الحاصل منهم عشرين ألف ألف دينار يتواطأ فى علم ذلك أهل الخبرة بهم و يتساوون فى معرفة وجوهه و لم يكن لهذا المال فى وقته فى بلد الإسلام شبه إلّا ما كان فى يد الغضنفر أبى تغلب بن الحسن بن عبد الله بن حمدان فإنّه كان ممّا يتعامله خاصّتهم بالجزيرة و العراق و مقداره يزيد على ذلك حتّى قيل أنّه كان خمسين ألف ألف دينار و أدال الله منه فأخرجه عن يده و محقه و بدّده و كذلك عادة الله تعالى فى كلّ ما كسب من حرام و اجتمع بالبغى و الظلم و الآثام، و صورة ما بالاندلس من المال الذى قدّمت ذكره صورة ما للشقىّ بن الشقىّ و قد استحوذ عليه أبو عامر بن أبى عامر صاحب السكّة بالاندلس وقتنا هذا فهو يلذّ تفريقه و شقى به من جمعه و باء بإثمه من لم يحظ به، (۹) و قرطبه و إن لم تك كأحد جانبى بغداذ فهى قريبة من ذلك و لاحقة به و هى مدينة ذات سور من حجارة و محالّ حسنة و رحاب فسيحة و فيها لم يزل ملك سلطانهم قديما و مساكنه و قصره من داخل سورها المحيط بها و أكثر أبواب قصره فى داخل البلد من غير جهة و لها بابان يشرعان فى نفس سور المدينة الى الطريق الآخذ على الوادى من الرصافة، و الرصافة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۱۳

مساكن أعالى ربضها متّصلة مبانيها بربضها الأسفل و أبنيتها مشتبكة مستديرة على البلد من شرقه و شماله و غربه فأمّا الجنوب منه فهو الى واديه و عليه الطريق المعروف بالرصيف و الأسواق و البيوع و الخانات و الحمّامات و مساكن العامّة بربضها، و مسجد جامعها

جليل عظيم فى نفس المدينة و الحبس منه قريب، و قرطبه هذه بائنة بذاتها عن مساكن أرباضها غير ملاصقة لها و المدينة قريبة الحال و درت بسورها غير يوم فى قدر ساعة و هى نفسها مستديرة حصينة السور و سورها من حجر، و لم تكن الزهراء بذات سور تامّ و بها مسجد جامع حسن طيّب فى نفسه [دون جامع البلد فى المحلّ و القدر و الكبر] و لقرطبه سبعة أبواب حديد، و هى فخمة واسعة الحال بحسن الجدّة و كثرة المال و التصرّف فى وجوه التنعّم بجيّد الثياب و الكسى من ليّن الكتّان و جيّد الخزّ و القزّ و المتعة بفاره المركوب و المأكول و المشروب، (۱۰) و ليس لجيوشهم حلاوة فى العين لسقوطهم عن أسباب الفروسيّة و قوانينها و إن شجعت أنفسهم [۳۳ ب] و مرنوا بالقتال فإنّ أكثر حروبهم تتصرّف على الكيد و الحيلة و ما رأيت و لا رأى غيرى بها إنسانا قطّ جرى على فرس فاره أو برذون هجين و رجلاه فى الركابين و لا يستطيعون ذلك و لا بلغنى عن أحد منهم لخوفهم السقوط و بقاء الرجل فى الركاب على قولهم و هم يفرسون على الأعراء من الخيل و ما أطبقت قطّ جريدة عبد الرحمن بن محمّد و لا من سبقه من آله و آبائه على خمسة آلف فارس ممّن يقبض رزقه و يختم عليه ديوانه لأنّه مكفىّ المؤونة بأهل الثغور من أهل جزيرته ما ينوبه من كيد العدوّ و من يجاوره من الروم و لا عدوّ عليه سواهم و قلّما يكترث بهم، و ربّما طرقه فى بعض الأحايين مراكب الروس و الترك البجناكيّة و قوم فى جملتهم من الصقالبة و البلغار فينكوا فى أعماله و ربّما انصرفوا خاسرين خائبين،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۱۴

(۱۱) و بالاندلس الزيبق و الحديد و الرصاص و من الصوف قطع كأحسن ما يكون من الأرمنىّ المحفور الرفيع الثمن الى حسن ما يعمل بها من الأنماط و لهم من الصوف و الأصباغ فيه و فيما يعانون صبغه بدائع بحشائش [تختصّ] بالاندلس تصبغ بها اللبود المغربيّة المرتفعة الثمينة و الحرير و ما يؤثرونه من ألوان الخزّ و القزّ و يجلب منها الديباج و لم يساوهم فى أعمال لبودهم أهل بلد على وجه الأرض و ربّما عمل لسلطانهم لبود ثلاثيّة يقوّم اللبد منها بالخمسين و الستّين دينارا غير أنّه قد جعل عروضها خمسة و ستّة أشبار فهى من محاسن الفرش، و يعمل عندهم من الخزّ السكب و السفيق ما يزيد ما استعمل منه للسلطان على ما بالعراق و يكون منه المشمّع فيمنع المطر أن يصل الى لابسه، و أمّا أسعارهم فتضاهى النواحى الموصوفة بالرخص و كثرة الخير و السعة و فواكههم مع طيبة فيها وسطة فكالمباحة التى لا ثمن لها، و يعمل فى أقطار بلدهم من الكتّان الدنىّ للكسوة و يجلب الى غير مكان حتّى ربّما وصل الى مصر منها الكثير فأمّا أرديتهم المعمولة ببجانه فتحمل الى مصر و مكّة و اليمن و غيرها و يستعمل عندهم للعامّة و للسلطان من الكتّان ثياب لا يقصّر عن الدبيقىّ ما كان منها صفيقا و من السلس الدقيق ما يستحسنه من لبس الشرب و يضاهى رفيع الشطوىّ الجيّد، و قلّ سوق بها يصير اليه أهله إلّا على الفاره من المركوب [و لا يعرف فيهم المهنة و المشى إلّا أهل الصنائع و الأرذال] و تختصّ بالبغال الفره و بها يتفاخرون و يتكاثرون، و لهم منها نتاج ليس كمثله فى معادن البغال المذكورة و أصقاعها المشهورة من ارمينيه و الران و باب الأبواب و تفليس و شروان لأنّها تبدن و تصنع و تنجب و يجلب اليهم منها شىء حسن الشية عظيم الخلق كثير الثمن من جزيرة ميرقه و هى جزيرة لعبد الرحمن بن محمّد فيها المسلمون منقطعة تلى ناحية

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۱۵

افرنجه واسعة الخير كثيرة الثمار رخيصة الماشية لكثرة المراعى غزيرة النتاج و المواشى معدومة الجوائح قليلة الآفة و ليس بها عاهة و لا وحش يؤذيهم فى سائمتهم و رأيت منها غير بغل بيع بخمس مائة دينار و اليها يرغب ملوكهم بمراكبهم و إيّاها يستوطئون و يؤثرون [۳۴ ظ] فيما يركبون فأمّا ما يبلغ منها المائة و المائتى دينار فأكثر من أن يحصى و ليس ذلك لأنّها أزيد على البغال الموصوفة بحسن السير و سرعة المشى فقط بل جمعت مع ذلك عظم الخلق و حسن الشية الى اختلاف الألوان الصافية و الشعور الدهينة المشرقة و الصحّة على مرّ الأيّام مع الصبر على الكدّ و العسف، (۱۲) ذكر المسافات بها، فمن قرطبه الى مراد مرحلة و من مراد الى غرغيره مرحلة و من غرغيره الى اشبيليه يومان و هى مدينة كثيرة الخير و الفواكه و الكروم و التين خاصّة و هى على وادى قرطبه و من اشبيليه الى لبله يومان و هى مدينة قديمة أزليّة كثيرة الخير صالحة القدر عليها سور و منها الى جبل العيون يومان و هى أيضا قديمة أزليّة كثيرة

الخير و من جبل العيون الى لب ثلثة أيّام و هى مدينة قديمة ذات سور و من لب الى اخشنبه مدينة مشهورة عظيمة غزيرة الخير كثيرته أربعة أيّام و من اخشنبه الى مدينة شلب ستّة أيّام و من شلب الى قصر بنى ورداسن خمسة أيّام و هى أيضا مدينة حصينة و منها الى المعدن و هو فم النهر ثلثة أيّام و هى فى نفسها صالحة القدر و من فم النهر الى لشبونه يوم و من لشبونه الى شنتره يومان و من شنتره الى شنترين يومان و من شنترين الى بيزه أربعة أيّام و من بيزه الى جل مانيه [يومان و من جل مانيه] الى البش يوم و من البش الى بطليوس يعبر النهر يوم و من بطليوس الى قنطرة السيف أربعة أيّام و من قنطرة السيف الى ماردة يوم و من ماردة الى مدلّين يومان و من مدلين

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۱۶

الى ترجيله يومان و من ترجيله الى قصراش يومان و من قصراش الى مكناسه يومان و من مكناسه الى مخاضة البلاط يوم و من المخاضة الى طلبيره خمسة أيّام و من طلبيره الى طليطله ثلثة أيّام، و من قرطبه الى بطليوس على الجادّة ستّ مراحل و من قرطبه الى بلنسيه اثنا عشرة مرحلة و من قرطبه الى المريّه فرضة بجانة سبعة أيّام و من المريّه الى مرسيه خمسة أيّام، (۱۳) و جميع هذه المدن المذكورة مشهورة بالغلّات و التجارات و الكروم و العمارات و الأسواق و البيوع و الحمّامات و الخانات و المساجد الحسنة يقام فيها جميع الصلوات و ليس بجميع الاندلس مسجد خراب و فيها مدن يزيد بعضها على بعض فى المحلّ و الجباية و الارتفاع و الولاة و القضاة و المخلّفين على رفع الأخبار و يقال لأحدهم مخلّف و ليس بها مدينة غير معمورة ذات رستاق فسيح الى كورة فيها ضياع عداد و أكرة وسعة و ماشية و سائمة و عدّة و عتاد و كراع و زروعهم فإمّا بخوس حسنة الربع كثيرة الدخل أو أسقاء على غاية الكمال و حسن الحال، (۱۴) و من قرطبه الى كركويه المدينة و فيها منبر و أسواق و حمّامات و فنادق أربعة أيّام و المنزل فى كلّ ليلة بقرية آهلة و من كركويه الى قلعة رباح مدينة كبيرة ذات سور من حجارة و هى على واد لها كبير منه شرب أهلها و يزرعون عليه و بها أسواق و حمّامات و متاجر مرحلة و الطريق على قرى ذات عمارة و من قلعة رباح الى ملقون مدينة على نهر لها سور من تراب [۳۴ ب] و هى دون قلعة رباح فى الكبر و نهرها يعرف باسمها و منه شرب أهلها [مرحلة] و منها الى ابنش قرية فيها فندق و عين منها شربهم كثيرة الأهل مرحلة و من ابنش الى طليطله مرحلة و هى مدينة كبيرة جليلة مشهورة أكبر من بجانه ذات سور منيع و هى على وادى تاجو و عليه قنطرة عظيمة طولها خمسون باعا و يصير واديها الى الوادى المنصبّ الى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۱۷

شنتره، و من طليطله الى مغام قرية كبيرة و بها معدن الطفل الاندلسىّ مرحلة و من مغام الى الغرّاء مدينة كبيرة ذات أسواق و محالّ و يكون نحو واداياش مرحلة، و منها الى وادى الحجارة مدينة كبيرة و ثغر مشهور الحال مسوّر بحجارة ذات أسواق و فنادق و حمّامات و حاكم و مخلّف و بها يسكن ولاة الثغور كأحمد بن يعلى و غالب و عليها أكثر جهاد جليقيه، و منها الى شعراء القوارير و فيها منهل تنزله الرفاق مرحلة، و منها الى مدينة سالم مرحلة و منها غالب بن عبد الرحمن صاحب الجيش و لها سور عظيم و رستاق و إقليم واسع و ناحية كثير الماشية رفهة فى جميع أسبابها فائضة الخير واسعته و هى أكثر الاندلس حربا و غزوا، فهذه جملة من أخبار جزيرة الاندلس،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۱۸

[صقليه]

(۱) و يلحق بها فى حسن الحال ممّا هو بيد أهل الإسلام صقلّيه و هى جزيرة [على شكل مثلّث متساوى الساقين زاويته الحادّة من غربىّ الجزيرة] طولها سبعة أيّام فى أربعة أيّام [و هى فى شرقىّ الاندلس فى لجّ البحر و تحاذيها من بلاد الغرب بلاد افريقية و باجة و طبرقه الى مرسى الخرز و غربيّها فى البحر جزيرة قرشقه و من جنوب صقلّية جزيرة قوسره و على ساحل البحر شرقيّها من البرّ الأعظم

الذى عليه قسطنطينيّة مدينة ريو ثمّ نواحى قلوريه] ، و الغالب عليها الجبال و القلاع و الحصون و أكثر أرضها مسكونة مزروعة و ليس لها مدينة مشهورة معروفة غير المدينة المعروفة ببلرم قصبة صقليه و هى على نحر البحر و هى خمس حارات متجاورة غير متباينة ببعيد مسافة و إن كانت حدودها ظاهرة بيّنة، (۲) و منها المدينة الكبرى المسمّاة بلرم و عليها سور عظيم من حجارة شامخ منيع يسكنها التجّار و فيها مسجد الجامع الأكبر و كان بيعة للروم قبيل فتحها و فيه هيكل عظيم و يقول بعض المنطقيّين أنّ حكيم يونان يعنى ارسطوطالس فى خشبة معلّق فى هذا الهيكل الذى قد اتّخذه المسلمون مسجدا و أنّ النصارى كانت تعظّم قبره و تستشفى به لما شاهدت يونان عليه من إكباره و إعظامه قال و السبب فى تعليقه بين السماء و الأرض ما كان الناس يلاقونه عند الاستسقاء و الاستشفاء و الأمور المهمّة التى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۱۹

توجب الفزعة الى الله تعالى و التقرّب اليه فى حين الشدّة و خوف الهلكة و عند وطئ بعضهم لبعض و قد رأيت خشبة يوشك أن يكون هذا القبر فيها، (۳) و تجاهها مدينة تعرف بالخالصة ذات سور من حجارة و ليس كسور بلرم يسكنها السلطان و أتباعه و فيها حمّامان و لا أسواق فيها و لا فنادق و فيها مسجد جامع صغير مقتصد و بها جيش للسلطان و دار صناعة للبحر و الديوان و لها أربعة أبواب من قبولها و دبورها و غربها و شرقيها البحر و سور لا باب له، و حارة تعرف بحارة الصقالبة و هى أعمر من المدينتين اللتين ذكرتهما و أجلّ و مرسى البحر بها و بها عيون جارية بينها و بين صقلّية [۳۵ ظ] و مياه كالحدّ بينهما، و حارة تعرف بحارة المسجد المعروف بابن سقلاب و هى كبيرة أيضا و ليس بها مياه جارية و شرب أهلها من الأبآر و على طرفها الوادى المعروف بوادى عبّاس و هو عظيم كبير و مطاحنهم عليه كثيرة و بساتينهم و أجنّتهم غير منتفعة به، و الحارة الجديدة و هى كبيرة تقارب حارة المسجد و ليس بينهما فرق و لا فاصلة و لا عليهما و لا على حارة الصقالبة سور، و أكثر الأسواق فيما بين مسجد ابن سقلاب و الحارة الجديدة كسوق الزّياتين بأجمعهم و الدّقاقين و الصيارفة و الصيادنة و الحدّادين و الصياقلة و أسواق القمح و الطرازيّين و السمّاكين و الأبزاريّين و طائفة من القصّابين و باعة البقل و أصحاب الفاكهة و الريحانيّين و الجرّارين و الخبّازين و الجدّالين و طائفة من العطّارين و الجزّارين و الأساكفة و الدبّاغين و النجّارين و الغضائريّين و الخشّابين خارج المدينة و ببلرم طائفة من القصّابين و الجرّارين و الأساكفة و بها للقصّابين دون المائتى حانوت

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۲۰

لبيع اللحم و القليل منهم فى المدينة برأس السماط و يجاورهم القطّانون و الحلّاجون و الحذّاؤون و بها غير سوق صالح، و يدلّ على قدرهم و عددهم صفة مسجد جامعهم ببلرم و ذلك أنّى حزرت المجتمع فيه إذا غصّ بأهله بلغ سبعة آلف رجل و نيّفا لأنّه لا يقوم فيه أكثر من ستّة و ثلثين صفّا للصلاة و كلّ صفّ منها لا يزيد على مائتى رجل، (۴) و بصقلّيه من المساجد فى مدينة بلرم و المدينة المعروفة بالخالصة و الحارات المحيطة بها من وراء سوريهما عامرة أكثرها قائمة على عروشها بحيطانها و أبوابها نيّف و ثلثمائة مسجد يتواطأ أهل الخبرة منهم فى علمها و يتساوون فى معرفتها و عددها و بظاهرها ممّا حفّ بها و لاصقها و بين أجنّتها و أبراجها و محالّ كانت متّصلة بالأقرب فالأقرب منها على الوادى المعروف بوادى عبّاس و مجاورة للمكان المعروف بالمعسكر فى ضمن البلد متبدّدة فى فحص عبّاس و بعضها فى أثر بعض الى المنزل المعروف بالبيضاء قرية تشرف على المدينة و بينهما نحو نصف فرسخ و قد خربت هلك أربابها بما دار عليهم من الفتن يعرف ذلك جميعهم غير مختلفين فى مقدارها و إنّها تزيد على مائتى مسجد، و لم أر لهذه العدّة من المساجد بمكان و لا بلد من البلدان الكبار التى تستولى على ضعف مساحتها شبها و لا سمعت من يدّعيه إلّا ما يتذاكره أهل قرطبه من أنّ بها خمس مائة مسجد و لم أقف على حقيقة ذلك من قرطبه و ذكرته فى موضعه على شكّ منّى فيه و أنا محقّقه بصقلّيه لأنّى شاهدت أكثره، و لقد كنت واقفا ذات يوم بها فى جوار دار أبى محمّد عبد الواحد بن محمّد المعروف بالقفصىّ الفقيه الوثائقىّ فرأيت من مسجده فى مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصرى و منها شىء تجاه شىء و بينهما عرض الطريق فقط، و سألت

عن ذلك فأخبرت أنّ القوم لشدّة انتفاخ رؤوسهم كان يحبّ كلّ واحد منهم أن يكون له مسجد مقصور [۳۵ ب] عليه لا يشركه فيه غير أهله و غاشيته و ربّما كانا

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۲۱

أخوان منهم متلاصقة داراهما متصاقبة الحيطان و قد عمل كلّ واحد منهما مسجدا لنفسه ليكون جلوسه فيه وحده، و فى جملة هذه العشرة المساجد التى ذكرتها مسجد يصلّى فيه أبو محمّد ابن القفصىّ هذا و بينه و بين دار ولد له يتفقّه دون الأربعين خطوة و قد ابتنى ابنه مسجدا الى جانب داره و هو أحد حدودها الأوّل جديدا مغلق الباب أبدا و يحضر أوقات الصلاة و هو جالس فى دهليز داره المجاورة الملاصقة لمسجده فلا يصلّى فيه، و كأنّ رغبته كانت فى ابتنائه أن يقال مسجد الفقيه بن الفقيه و هو حدث له من نفسه محلّ عظيم و خطر جسيم و كأنّه لعظم خطره عنده أنّه يظنّ أبو أبيه أو أنّه بغير أب لبأوه و صلفه و حسن ركبته و زيّه و فى هذه الأربعين خطوة التى ذكرت بين مسجده و مسجد أبيه مسجد آخر معلّق له إمام و فيه مكتب، (۵) و بها رباطات كثيرة على ساحل البحر مشحونة بالرياء و النفاق و البطّالين و الفسّاق متمرّدين شيوخ و أحداث أغثاث رثاث قد عملوا السجّادات منتصبين لأخذ الصدقات و قذف المحصنات نقم منزلة و بلايا شاملة و حتوف مصبوبة منصوبة و أكثرهم يقودون و منهم من لا يرى ذلك لشدّة الرياء و السمعة و أكثرهم بالزور تطوّعا يشهدون مع جهل لا يفرّق فيه بين فرض الوضو و سنّته و يقصدهم من أعوزه المكان لبطالته و الموضع لعيارته فيؤونه و ربّما شاركوه بتافه من المأكول على أحوال يقبح ذكرها و ليس هذا الكتاب ممّا يذكر فيه مثلها، و أحسب تأسيسها كان على غير التقوى حسب ما أسّست عليه المساجد المتقدّم ذكرها فهارت و باد أهلها بما جنوه من الفتن و العصيان و شقّ عصا السلطان و الله أعلم، (۶) و كنت ذكرت أحوال الخالصة و أبوابها و ما فيها و لم أذكر بلرم و هى

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۲۲

المدينة القديمة و أشهر أبوابها باب البحر و سمّى بذلك لقربه من البحر و يليه باب أحدثه أبو الحسين أحمد بن الحسن بن أبى الحسين لشكوى أهل هذه الناحية بعد مخرجهم فعمله على نشز مطلّ على نهر و عين تدعى عين شفاء و بها يعرف هذا الباب وقتنا هذا و لمن قرب منه مرفق بهذه العين، ثمّ باب يعرف بشنتغاث و هو باب قديم و اليه باب يعرف بباب روطه و روطه نهر كبير يهبط من هذا الباب اليه و أصله تحت هذا الباب و فيه ماء صالح عليه أرحية كثيرة متقاطرة، ثمّ باب الرياض و هو أيضا محدث استحدثه أبو الحسين أحمد بن الحسن و كان بجواره باب يعرف بابن قرهب فى موضع غير حصين و كانت المدينة قوتلت عليه قديما فدخل على أهلها منه معرّة و ضرر جسيم فسدّه أبو الحسين و أزاله و بجواره باب الأنباء و هو أقدم أبوابها و اليه باب السودان تجاه الحدّادين ثمّ باب الحديد و منه المخرج الى حارة اليهود و اليه باب استحدثه أبو الحسين أيضا و لم يسمّ باسم و يخرج منه الى حارة أبى جمين و جميعها تسعة أبواب، و هذه المدينة مستطيلة ذات سوق قد أخذ من شرقها الى غربها [۳۶ ظ] يعرف بالسماط مفروش بالحجارة عامر من أوّله الى آخره بضروب التجارة و يطيف بها عيون كثيرة منصبّة من غربها الى شرقها و يكون مقدارها ما يدير رحى و على مائها غير رحى تطحن فى غير مكان و يجاور مصبّ ماء هذه العيون من حيث بدؤ مسيلها الى حيث مصبّها فى البحر أراض كثيرة تغلب عليها السباخ و آجام فيها قصب فارسىّ و بحائر و مقاث صالحة و فى خلال أراضيها بقاع قد غلب عليها البربير و هو البردىّ المعمول منه الطوامير و لا أعلم لما بمصر من هذا البربير نظيرا على وجه الأرض إلّا ما

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۲۳

بصقلّيه منه و أكثره يفتل حبالا لمراسى المراكب و أقلّه يعمل للسلطان منه طوامير القراطيس و لن يزيد على قلّة كفايته، (۷) و شرب أهل المدينة و هم المجاورون لسورها من نحو باب الرياض الى نحو عين شفاء من مياه هذه العيون و باقى أهلها و أهل الخالصة و جميع أهل الحارات شربهم من أبآر دورهم خفيفا كان أو ثقيلا من الماء و يلذّ لهم على كثرة المياه العذبة الجارية عندهم و ذلك لكثرة أكلهم البصل، و شرب أهل المعسكر فمن العين المعروفة بالغربال و ماؤها صالح و بالمعسكر عين تعرف [بعين التسع دون

الغربال فى كثرة الماء و عين تعرف] بعين أبى سعيد دونها و عين تعرف بعين أبى علىّ و كان من بعض ولاتهم فهى مضافة اليه و شرب الناحية المعروفة بالغربيّة فمن العين المعروفة بعين الحديد و هناك معدن للسلطان من الحديد يصرف ما يستثار منه لحاجته فى مراكبه و قرسطياته و كان هذا المعدن لبنى الأغلب يجدى عليهم الكثير [و هو بقرب قرية تعرف ببلهرا و فيها عيون و أنهار تتفجّر منها و هى تمدّ وادى عبّاس و تقوّيه و هى كثيرة البساتين و الكروم] ، و يحيط بالبلد عيون غير مشهورة و ينتفع بمياهها كالقادوس فى ناحية القبلة و بها الفوّارة الصغيرة و الفوّارة الكبيرة على أنف الجبل من البلد و هى أغزر عيونهم ماء و تنصرف هذه المياه الى أجنّتهم، و لقرية البيضاء عين حسنة تعرف بالبيضاء و تصاقب الغربال و الغربيّة و شرب الناحية المعروفة ببرج البطّال من العين المعروفة بعين أبى مالك و أكثر مياه الدبور من أراضى المدينة لأجنّتهم فبالسوانى، و لهم أجنّة كثيرة الخير و بساتين أعذاء بخوس لا تسقى كالشأم و أكثر مياه البلد و الحارات من الأبآر ثقيلة غير مرئة و إنّما صرفهم الى شربها رغبة عن شرب الماء الجارى العذب قلّة مروآتهم و كثرة أكلهم للبصل و فساد حواسّهم بكثرة تغذّيهم بالنىّ منه و ما فيهم من

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۲۴

لا يأكله كلّ يوم أو يؤكل فى داره صباح مساء من سائر طبقاتهم و هو الذى أفسد تخيّلهم و ضرّ أدمغتهم و حيّر حواسّهم و غيّر عقولهم و نقص أفهامهم و بلّد معارفهم و أفسد سحنة وجوههم و أحال أمزجتهم حتّى رأوا الأشياء أو أكثرها على خلاف ما هى به، (۸) و ممّا يؤيّد قولى و يشهد ببرهانه ما حكاه يوسف بن إبراهيم الكاتب فى كتاب أخبار الأطبّاء عند نزوله بدمشق على عيسى بن الحكم و هو المسيح المتطبّب قال ذاكرته بالبصل فلم يزل فى ذمّه و وصف معائبه و كان عيسى و سلمويه بن بيان يسلكان طريق الرهبان و لا يحمدان شيئا يزيد [۳۶ ب] فى الباءة و يقولان أنّ ذلك يتلف الأبدان و يذهب الأنفس فلم أستحسن الاحتجاج عليه بزيادة البصل فى الباءة فقلت قد رأيت منه فى سفرى هذا منفعة فسأل عنها فقلت إنّى كنت أذوق الماء فى بعض المناهل فأجده كريها فآكل البصل و أعاود شربه فأجد حاله قد نقصت و كان عيسى قليل الضحك فاستضحك من قولى ثمّ استرجع بجزع منه و قال يعزز علىّ أن يغلط مثلك هذا الغلط لأنّك صرت الى أسمج نكتة فى البصل فجعلتها منقبة يا هذا أليس متى حدث بالدماغ فساد فسدت الحواسّ حتّى ينقص حسّ الشمّ و حسّ الذوق و السمع و البصر فقلت اجل فقال إنّ خاصّيّة البصل إحداث فساد فى الدماغ و إنّما قلّل حسّك لملوحة الماء و لكراهيته ما أحدثه البصل فى دماغك من الفساد، و هذه قضيّة عقليّة فأمّا نتيجتها فليس بالبلد عاقل و لا فاضل و لا عالم بالحقيقة بفنّ من فنون العلم و لا ذو مروءة و لا متديّن و الغالب عليه الرعاع و أكثر أهله سقّاط أوضاع لا عقول لهم و لا دين كامل و أكثرهم برقجانه و موال يدّعون ولاء قوم افتتحوها و قد هلكوا، (۹) و حدّثنى غير إنسان منهم أنّ عثمن بن الخرّاز ولى قضاءهم و كان ورعا قد ركن الى قوم منهم فى العدالة و الشهادة و وقف آخرين عن قبولهم

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۲۵

فرفعت اليه امرأة اعتورتها مطالبة فى دار لها باطلة فسألها البيّنة و ادّعت ملك اليد الى شهود و شهادات معها و أحضرتهم عنده فاستزادها شهودا و كان يسكن الى شهادة أبى إبراهيم إسحاق بن الماجلىّ المعلّم و كان له بأمرها علم و سألته إقامة الشهادة و هو ينكل عنها الى أن ضمنت له رشوة رباعيّات على أدائها فشهد لها بذلك و اتّفق أنّ عثمن بادر بإمضاء تنفيذ الحكم بشهادة إسحاق و عمل على التسجيل لها بذلك و طلب إسحاق ما ضمنته المرأة له فدفعته و أبت أن تعطيه ما ضمنته له ظنّا بحقّها و ثقة أنّ الشهادة قد قامت و أنّها لا تحتاج الى إسحاق و لا غيره و أحضر الحاكم إسحاق ليبدأ بشهادته على نفسه بإنفاذ الحكم للمرأة بشهادته فقال أعزّ الله الحاكم هذه الشهادة أنا راجع عنها لأمور قد أشكلت علىّ منها و كان الحاكم قد حفظ على إسحاق فى الشهادة ما لا يجوز معه الرجوع فاستراب قصّته و كشف عنها بالفحص الشديد فظهرت له القصّة على وجهها فكان لا يقبل شهادته و لا شهادة غيره و خرّج جماعتهم و أسقط شهادتهم، و صارت أكثر أحكامه جارية على الصلح و شكّ فيهم فلم تثنه اليهم رغبة و لا رهبة الى أن هلك بينهم و حضرته المنيّة فقال ليس بجميع البلد من يوصى اليه و دفع ديوانه الى رجل كان بها من الغرباء يعرف بالغضائرىّ من أهل القيروان و

كان يزكّيه و ظهرت هذه القصّة لأهل البلد فكانت إحدى وسائل ابن الماجلىّ فى إجلابهم و اختيارهم له و تصييره حاكما عليهم و خطيبا لهم رغبة من بعضهم فى مظاهرته على ما يرجوه من الخيانة، و كان إسحاق على قولهم خفيف الوزن شديد الجهل كثير الإعجاب بتخلّفه غير ركيز و لا مهيب و لا فى سمت القضاة و حسبك بمعلّم برقجانىّ [۳۷ ظ] جعل قاضيا، (۱۰) و حدّثنى رجل من المقيمين بها يعرف بأبى الحرث فحل بن فلاح اللهيصىّ ثمّ الكتاميّ و رأيته يخبر كثيرا من أخبار البلد أنّه كان و رجل سمّاه بين يدى إسحاق بن الماجلىّ بعد أن ولى الحكم بها يوما و هو فى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۲۶

محراب الجامع جالسا و بيده قضيّة لهما فى مهر و هو مقبل على قراءتها فكلما مرّ له فصل [داوم] على تقريظه لحسن ما تأتّى له من المعانى الجيّدة و الشروط البديعة و استيفاء أسباب البلاغة و هما سكوت و هو مع كلّ فصل يفعل ذلك الى أن قام من المحراب و كان فيه متصدّرا كالقضاة فجلس بين أيديهما و لم يزل يقرأه و يعيد وصفه و يقول ما أراكما تسمعان هذه الحكومة التى ما حكم بمثلها و الله أحد على وجه الأرض و أعاد قراءتها ثمّ رجع الى مكانه من المحراب، قال و كان ربّما مدّ يده الى الخصوم بالضرب، و أخبرنى جماعة منهم أنّ رجلا تقدّم اليه بخصم له فراجعه فى مناظرته و كان بين يديه مقصّ كبير فأخذه و أومأ به الى الرجل ليضربه فى وجهه فأقبل الرجل على نعل إسحاق و كانت بين يديه فتناولها فقال و لم مسست نعلى لتضربنى بها فقال لا و لكن خشية أن تقصد بالمقصّ وجهى لأتّقى بها منك، و له أخبار كثيرة فى أنواع من الجنون و الخباط كان من مجانين المعلّمين و حمقاهم و كان من كبارهم و عليتهم، (۱۱) و الغالب على البلد المعلّمون و المكاتب به فى كلّ مكان و هم فيه على طبقات مختلفة و منازل شتّى متباينة من الصراع و الخباط على ما يفوق جنون معلّى كلّ بلد و حمقى كلّ ناحية حتّى أنّهم المتكلّمون على السلطان فى سيره و اختياراته و الإطلاق بالقبائح من ألسنتهم بمعائبه و إضافة محاسنه الى قبائحه، و بالبلد منهم ما يقارب ثلثمائة معلّم و لم ينقص من ذلك إلّا القليل و ليس كهذه العدّة بمكان من الأماكن و لا فى بلد من البلدان و إنّما توافرت عدّتهم مع قلّة منفعتهم لفرارهم من الغزو و رغبتهم عن الجهاد و ذلك أنّ بلدهم ثغر من ثغور الروم و ناحية تحادّ العدوّ و الجهاد فيهم لم يزل قائما و النفير دائما مذ فتحت صقلّيه و ولاتهم لا يفترونه و إذا نفروا لم يفتروا بالبلد أحدا إلّا من بذل الفدية عن نفسه أو أقام العذر فى نخلّفه مع رابطة السلطان و كان قد سبق الرسم بإعفاء المعلّمين قديما بينهم من

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۲۷

النوائب و حملت عليهم المغارم ففزع الى التعليم بلههم و حسّنه لديهم جهلهم مع قلّة الانتفاع به و الجدوى منه فإنّ فيهم الكثير تمرّ به السنة فلا يصيب من جميع صبيانه و هم كثير عشرة دنانير فأىّ منزلة أقبح و صورة أخسّ و أوتح من رجل باع ما أوجب الله تعالى عليه من الجهاد و شرفه و الغزو و عزّه بأخسّ منزلة و أوضع حرفة و أسقط صنيعة على أنّها فى أعيان البلاد مع تخريج أولاد السراة و أهل الإمكان عنصر الخذلان و مظانّ الحرمان و بالإجماع منهم و من كلّ إنسان أنّ المعلّم أحمق محكوم عليه بالنقص و الجهل و الخفّة و قلّة العقل، و من أعظم الرزيّة و أشدّ البليّة و أقطع النازلة أنّ جميع أهل صقلّيه لصغر أحلامهم و نقص [۳۷ ب] درايتهم و بعد أفهامهم يعتقدون أنّ هذه الطائفة أعيانهم و لبابهم و فقهاؤهم و محصّلوهم و أرباب فتاويهم و عدولهم و بهم عندهم يقوم الحلال و الحرام و تعقد الأحكام و تنفذ الشهادات و هم الأدباء الخطباء، و لقد رأيت ولدا كان لإسحق ابن الماجلىّ المعلّم القاضى المتقدّم ذكره يخطبهم نحو حولين يجزم الأسماء مع الصلة و يجرّ الأفعال من أوّل خطبته الى آخرها، و خاطبت أديبا كان من أهلها يسعى و يدّعى الدراية بجميع الأحوال و قد نصب هذا الخطيب ما لم يسمّ فاعله أو رفع منصوبا و أظنّه كان مفعولا به فقلت أما سمعت الخطيب و ما كان منه و ذكرته له و قد ذهب عنّى اللفظ فقال كأنّه و اللّه يا سيّدى كما تقول غير أنّا نحن لا نأبه لمثل هذا، (۱۲) و من كبائر المذكورين من المعلّمين بها فى السير و العدالة و هو بالضدّ للغباء و الجهالة و أشدّهم تقدّما عندهم أبو عبد الله محمّد بن عيسى ابن مطر المعلّم فى مسجد الزهرى بالسماط و قد سافر يشرّق و دخل المشرق و كتب الحديث، و أبو الحسن علىّ بن بانة المعروف بابن

ألف سوط و هو اليه فى العدالـة و يراه قوم منهم فوقه فى العلم و الفقه و ظلف النفس و كلاهما غبىّ عم ناقص رزىّ المنظر و المخبر، و حدّثنى أبو عبد الله محمّد بن عيسى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۲۸

المعروف بالناشـى القروىّ المتكلّم و كنّـا معا بصـقلّيه قال بينا أنا واقفا بالسـماط بقرب مكتب ابن مطر أحادث إخوانا لى إذ وقف بهم ابن مطر فسـلّموا عليه و سـلّم علىّ فرددت عليه و أخذ فى صفتى و ما أعتقده بأقبح عبارة و أبشع لفظ و إشارة و قال فى خلال قوله لى يعزز علىّ بعـدك عن الحقّ فقلت لعن اللّه أبعـدنا عن الحقّ و أقلّنا علما به فالتاث لونه و تغيّر فقال له القوم قـد أنصـفك لأنّه إنّما لعن الأبعـد من الحقّ و لم يقصـد إلّـا الأقـلّ علما بالله فقال الست عراقىّ المـذهب فقلت لا و ذلك أنّ أهل العراق يـدّعون مرجئـة و إنّما و سموا بـذلك لتركهم القطع على أهل الكبائر بالخلود و أخـذت أصف المسألة بيننا و بينهم فقال ما أرى قولكم إلّا قريبا من قولنا فقلت يا هـذا إنّما أصف لك رأى أهل العراق المـذموم عنـدى و أنا ضـدّهم فقال و كيف فقلت نحن نقطع على تخليد أهل الكبائر فى النار فقال ما ظننت يقول بهـذا غير أهل العراق و هو بجهله صـباح مساء يكفّرهم فى كلّ مقعـد و مشـهد و يكفّر المعتزلة و لا يعلم اعتقادها بين الفرقتين التى هى أشـهر أهل المذاهب و يطلق اللعن عليهما و هو لا يفرّق بين الوعيدىّ من المرجئ و هذه المنزلة أعلى منازل البله و رحم اللّه ناقلا فلقـد ظلمه نقلة الأخبار بقطعهم عليه بالانفراد بالجهل، و كنت جالسا بصـقلّيه يوم الجمعة لعشـر خلون من رجب سـنة اثنتين و ستّين على دكّان المعروف بابن الانطاكىّ فى سـماط بلرم و كان يوما مطيرا فى الساعـة السادسة و على القيام الى الجامع و ابن الانطـاكىّ معا و الجامع منّا على غلوة [۳۸ ظ] إذ أقبـل ابن ألف سوط من نحو الجامع و منزله بالقرب منه فقلنا الى أين فقال قـد صـلّى الناس و أنا أمضـى أتقـدّم لأشـهد جنازة الخطيب و كان ابن الماجلىّ الخطيب الذى قدّمت ذكر تخلّفه توفّى ليلة الجمعة هذه و مضـى يريد باب البحر و أطال ثمّ رجع و قد أئسـنا من الصـلاة فقلنا الى أين فقال بلغنى أنّهم ما صـلّوا بعد فعدت لعلّى ألحق الصـلاة و مضـى فبقينا حيارى فى أمره نتعاود قلّة تحصيله و ما يدفع الناس اليه فى شهادة مثله إذ أقبل فقلنا

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۲۹

هيه فقال قد صلّوا و أنا ماض لأصلّى فى المصلّى و هذا الرجل عندهم أثبت القوم عدالة و أشفّهم منزلة و هذه صورته، (۱۳) و أكثرت عنه و عن ابن مطر و جماعتهم واصـفا قلّـة فطنهم و كلال أفهامهم و حـدّة جهلهم و سـرعة طيشـهم و موت يقظتهم و براعـة لؤمهم مع دوام غفلتهم و بشاعـة تعاطيهم و كثرة معائبهم و سـخف أغـذيتهم المؤكّدة جهلهم و سوء تخلّيهم فى كتاب جعلته أبوابا عشـرة بدأت منها بـذكر ما يتفاخر به أهل الأمصار و القبائل و البلـدان و ما يلحقهم من الفضائل و كيفيّة لحاقها بالكور و المدن و الرذائل المقصـرة ببعضـها عن الفخر و الطيب و الحسن و وسـمته بكتـاب صـقلّيه و لم أترك لهم من فضـيلة و رذيلـة الى جميـع مـا خصّـوا به و منعوه و أعطوه و ما حرموه الى غلظ طباعهم و سوء أخلاقهم و ما انفردوا به من المطاعم المنتنة و الأعراض القذرة الدرنة و غلبة كثرة الجفاء و طول المراء و سـمّيت جميع معلّميهم الى مـا وصل اليّ من أخبارهم و محلّهم فى الرقاعـة و خلعهم على مرّ الأيّام للسـلطان و الطاعـة و حال الفرقـة التى ليست كفرقـة من فرق الإسـلام و لا نحلة من النحل و لا فى بلد من البلدان و لا بدعة من البدع و لا مشاكلة لنحلة فى دين من الأديـان، و هم المشـعمذون أكثر أهـل حصونهم و باديتهم و ضـياعهم رأيهم التزويـج الى النصارى على أنّ ما كان بينهم من ولد ذكر لحق بأبيه من المشـعمذين و ما كانت من أنثى فنصـرانيّة مع أمّها لا يصلّون و لا يتطهّرون و لا يزكّون و لا يحجّون و فيهم من يصوم شهر رمضان و يغتسلون إذا صاموا من الجنابة و هذه منقبة لا يشركهم فيها أحد و فضيلة دون جميع الخلق أحرزوا بها فى الجهل قصب السـبق، و لقـد أعددت كتابى هذا بذكرهم فيه و لكنّ نفوس أهل النبل و قلوب أهل الفضل متطلّعة الى علم الكلّ و لذكرها فى الخزائن منزلة ليست على ما هى به فى الحقيقة، (۱۴) و من أرثّ ما رأيته بها و أغثّه خمسة معلّمين فى مكتب واحد

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۳۰

يعلّمون فيه الصبيان شـركاء متشاكسون على باب عين شـفاء يرؤسـهم شـيخ يعرف بالملطاط جبس ضـبس أشقر أزرق من أقدم الناس

على شهادة زور و ولدان له و رجل يعرف بابن الودانى و آخر يدعى بأخى رجاء على مراتب فى شركتهم، و خرجت من صقلّيه و قد مات ابن الودانى فلو شاهدهم أكثر الناس حزنا و أشدّهم إخباتا و سمتا عند وفاته [۳۸ ب] و تفجّعهم له و حنينهم عليه و تساكرهم فى بكائهم عند عزائهم لقهقه و ضحك أو أبلس لجهلهم كالمرتبك، (۱۵) و أمّا حال يسارهم فإنّهم مع قلّة مؤنهم و نزور نفقاتهم و كثرة غلّاتهم ليس فيهم رجل ملك بدرة عين و لا رآها قطّ إلّا عند سلطان إن كان ممّن يدخل اليه و محلّه محلّ من يؤذن له عليه، و بالأموال و الجبايات و اليسار يعتبر أحوال أهل المدن و الكور و الأقاليم و كذلك النبل و الفضل الى غير ذلك مع أنّ مال جزيرة صقلّيه وقتنا هذا و هو أجلّ أوقاتها و أكثره و أغزره بأجمعه من سائر وجوهه و قوانينه خمسها و مستغلّاتها و مال اللطف و الجوالى المرسومة على الجماجم و مال البحر و الهدية الواجبة فى كلّ سنة على أهل قلوريه و قبالة الصيود و جميع المرافق و جهاتها و هذه جملة ارتفاعها ..... ، فأمّا غلّاتها و خصبها و ما هى عليه فى أسباب المآكل و المشارب فكالمواضع المشار اليها فى صدر الكتاب بالخصب و السعة قديما و فيما مضى و دخلتها و قد استحالت جميع أمورها من الخصب الى الجذب و خلق أربابها من أهل باديتها فكأرباب الجزائر العجم الغتم الصمّ البكم و سكّانها الذين لم يصفهم الأسفار من وراء بهيميّة غامرة لألبابهم و غفلة عن الحقوق و المواجب ظاهرة فى معاملاتهم و قول من الحقّ بعيد و شنآن للغريب و الطارئ عليهم عظيم شديد لا يألفون و لا يؤلّفون آخذين لذلك عن حاضرتهم لأنّهم أيضا فى بغض التجّار و الغرباء المجهّزين بمنزلة

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۳۱

ليست لجيل من أجيال العالم الجفاة و لا فى أهل الجبال الأجلاف الجساة مع قوام مصالحهم بالجلّابين و فقرهم و فاقتهم الى المسافرين لأنّها جزيرة لم تختصّ بوجه من فضائل البلدان غير القمح و الصوف و الشعر و الخمر و صبابة من القند الى شىء من ثياب الكتّان و الحقّ فيها أحقّ أن يتّبع فإنّه لا نظير لها جودة و رخصا و يباع مستعملها ممّا يقطع قطعين من الخمسين رباعيّا الى ستّين رباعيّا فيزيد على ما يشترى من أمثاله بمصر بالخمسين و الستّين دينارا كثيرا، و جميع ما تقع اليه الضرورات و تدفع الحاجة اليه من سائر الطلبات بحلوب الى بلدهم و محمول الى جزيرتهم، و قد جمعت مع فساد عقول أهلها و أديانهم فساد التربة و القمح و الحبوب و لا يحول الحول عليها عندهم إلّا و قد فسدت و ربّما ساست فى الأنادر قبل دخول المطامير و الأهراء و ليس يشبه و سخهم فى دورهم وسخ أقذار اليهود و لا ظلمة منازلهم و سوادها سواد الأتاتين و الأفران و أجلّهم منزلة يسرح الدجاج على مقعده و تذرق الطيور على مصلّاه و مخدّته، (۱۶) و هذه جمل من أوصاف المغرب و ما استقلّ به ممّا يضاف اليه و يقع فى جملته،

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۳۲

[مصر]

(۱) فأمّا مصر فلها حدّ يأخذ من بحر الروم من الإسكندريّة و يزعم قوم من برقة فى البرّيّة حتّى ينتهى الى ظهر الواحات و يمتدّ الى بلد النوبة [۳۹ ظ] ثمّ يعطف على حدود النوبة من حدّ اسوان على أرض البجة فى قبلىّ اسوان حتّى ينتهى الى بحر القلزم ثمّ يمتدّ على بحر القلزم [و يجاوز القلزم الى طور سينا و يعطف على تيه بنى إسرائيل مارّا الى بحر الروم] فى الجفار خلف العريش و رفح و يرجع على الساحل مارّا على بحر الروم الى الإسكندريّة و يتّصل بالحدّ الذى قدّمت ذكره من نواحى برقة، (۲) و ما فى بطن هذه الصفحة صورة مصر، [۳۹ ب] إيضاح ما يوجد فى القسم الأوّل من صورة مصر من الأسماء و النصوص، قد صوّر بحر القلزم موازيا لطرف الصورة الفوقانىّ و على هذا البحر من طرفه الأيسر مدينة القلزم، ثمّ كتب تحت خطّ الساحل هذه الديار للبجه و نزلت عليهم أحياء ربيعة و مضر و صاهر رؤسآء ربيعة أكابر البجة و خالطوهم فهى مشحونة بقبائل الجميع و أعزّ القوم ربيعة و عن يمين هذا النّص مدينة العلاقى، ثمّ تحت الكتابة المذكورة و موازيا لسلسلة الجبل هذا جبل المقطّم و يمتدّ الى بلد الحبشه و يقطع بلد النوبه فى عمارات دنقله و علوه، و من أسفل الجبل مع خطّه بهذه الناحية رمل أحمر و أبيض غزير كثير يتّصل برمل الجفار و يشقّه النيل فيتّصل من غربىّ

النیل برمال نفزاوه و یمرّ بظاهر سجلماسه الی اودغست، ثمّ تحت ذلک نواحی اهریت و شرونه و بیاض و صول و البرنیل، و صوّر نهر النیل فی وسط الصفحهٔ و کتب علی کلّ واحد من جانبیه الصعید تربط الکتابتان بکلمهٔ بلد فمعناها بلد الصعید، و ذکر علی جانب النیل الأعلی من المدن

صورهٔ الأرض، ج۱، ص: ۱۳۳

ابتداء من الیمین اسوان، المحدثه، قوص، اخمیم، انصنا، اتفیح، اسکر، الحی، الحرس، حلوان، الفسطاط ثمّ شکلا مدینتین لا اسم فیهما، و علی جانب النیل المقابل قریه، اتفو ، اسنا، ارمنت، هو، البلینا، بوتیج ، اسیوط، منساره، الاشمونین، طحا، القیس، سمسطا، دلاص، اهناس، اطواب، الجیزه ، و بین الفسطاط و الجیزهٔ فی النیل الجزیره و عند الجیزهٔ مثلّثان مکتوب فیهما هذان الهرمان، و علی شاطئ خلیج النیل الذی یتشعّب بین منساره و الاشمونین راجعا الی النیل بین اهناس و اطواب من المدن طوفه، البهنسه، اللاهون ، بوصیر قوریدس، و یتشعّب من هذا الخلیج عند اللاهون شعبهٔ علی جانبیها الفیوم، و کتب بین الفیوم و الهرمین هذه بحیرهٔ اقنی و تنهمت و تمتدّ مسیرهٔ یومین فی وسط جبال رمل أصفر و بها من الطیر فی الشتاء ما لیس بمکان ما یدانیه و لا یقاربه، ثمّ من أسفل النیل فی یمین الصورهٔ ناحیهٔ الواحات و تحت ذلک مساکن بنی هلال، و کتب تحت السلسلهٔ الجبلیّهٔ الموازیهٔ لطرف الصورهٔ التحتانیّ هذا جبل الواحات یمتدّ من بحیرهٔ اقنی علی النیل الی أن یصل الی جبل القمر و جلّه عامر، [۴۰ ظ] إیضاح ما یوجد فی القسم الثانی من صورهٔ مصر من الأسماء و النصوص، یقرأ فی طرف الصورهٔ الفوقانیّ هذه صورهٔ مصر و ینطبق ذلک أیضا علی القسم الأوّل من الصورهٔ، و کتب فی النصف الأعلی من الصورهٔ الحوف و فی النصف الأسفل الریف، و یتشعّب النیل وسط طرف الصورهٔ الأیمن شعبتین و بینهما مدینهٔ شطنوف، و علی الجانب الأیمن من الذراع الآخذهٔ الی الأعلی من المدن دجوه، ینها العسل، تفهنه، القنطره و کتب عند منتهاها خلیج سردوس یحفّ، و تأخذ من هذه الذراع شعبتان الی الأیسر تبدأ الأولی من عند تنوهه و الأخری من عند صهرجت و بین هاتین الشعبتین من المدن زفتا جواد، سند بسط، تطابه، و عن یسار صهرجت علی شعبتها اشیه و عند منتهی الشعبهٔ الآخذهٔ من اشیه الی الیسار کتب خلیج دقدوس، و عن یسار تنوهه علی شعبتها مدینهٔ مخنان و تأخذ تجاه مخنان شعبهٔ علیها أوّلا تطابه المتقدّم ذکرها ثمّ دمسیس من جانبیها ثمّ فی الجانب الأعلی تنا، ابو صیر، سمنود، اوش و فی الجانب الأسفل

صورهٔ الأرض، ج۱، ص: ۱۳۴

طلخا ، قجنجیمه، دمیره و أوّل اسم دمیره فی الجانب الآخر من ذراع تنوهه، و بین مخنان و دمیره فی الجانب الأعلی محلّهٔ شرقیون و فی الجانب المقابل ملیج، زمزور، و علی ظهر الشعبهٔ المحیطهٔ بهاذین البلدین من الأسفل طوخ، محلّهٔ روح، و تأخذ تجاه دمیره شعبهٔ الی الیسار فتجتمع مع شعبهٔ أخری تبدأ من عند دقهله علی العمود و کتب بین الشعبتین خلیج دقهله ، و بحذاء دقهله کتب من أسفل العمود نواحی البرمونات و عن یسار ذلک من المدن شارم ساح، شارم بارم، بوره، ثمّ تأخذ من العمود شعبتان إحداهما الی الأسفل الی نقیزه و کتب عند هذه الشعبهٔ خلیج زعفران و الأخری کتب عندها اشتوم دمیاط و بینها و بین العمود دمیاط ثمّ علی البحر شطا، و عند شطا فی البحر جزیرهٔ تنیس، و عن یمین الذراع الآخذهٔ من شطنوف الی الأسفل من المدن ذات الساحل، ابو یحنس ، ترنوط تقابلها ترنوط مرّهٔ ثانیهٔ ثمّ بستامه ، طنوب ثمّ بعد عطف الذراع الی الیسار شابور، محلّهٔ نقیده، دنشال، قرطسا، شبروا ابو مینا، قرنفیل، الکریون و هی من جانبی الذراع ثمّ قریهٔ الصیر، الاسکندریه و هی من الجانبین و فوق الإسکندریّهٔ علی ساحل البحر اجنا، و دون شطنوف عن یسار هذه الذراع الجریسیات و بعد الجریسیات تأخذ شعبهٔ الی الیسار و علی جانبها الأعلی من المدن شبروالاو، منوف، تتا ، فیشه بنی سلیم، البنداریه، محلّهٔ المحروم، صا، دیای، الصافیه، دمی جمول ، سندیون ، فوه، دسیو، نطویه الرمان، و علی الطریق من شطنوف الی صا من المدن سبک العبید، منوف العلیا، محلّهٔ صرد، صخا، شبرلمته ، ثمّ من أسفل الشعبهٔ الآخذهٔ من عند شبروالاو طنتتا، قلیب العمال، ببیج ، و تلیها شعبهٔ الی الأسفل ثمّ محلّهٔ ببیح ، فرنوه، محلّهٔ مسروق، محلّهٔ ابی خراشه، فیشه، سندبیس، سنباذه، بلهیب، دیروط، محلّهٔ الامیر، محلّهٔ بوله، و کتب فی الجزیرهٔ بین شعبتی صا و محلّهٔ ببیج سنهور ، [لم أجد سبیلا الی إیراد صورهٔ مصر

فى صفحة واحدة فأثبتّها فى صفحتين

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۳۵

و الصورة الأولى صورة الصعيد من اسوان الى الفسطاط و شطنوف عند انفصال النيل منها و الثانية من انفصال النيل فى خليجين أحدهما يأخذ من شرقىّ شطنوف الى تنّيس و أعمال دمياط و الآخر عن غربىّ شطنوف آخذا الى رشيد من ساحل الإسكندريّة،] (۳) [۴۰ ب] مصر اسم للإقليم و قد ذكرت حدوده و هو قديم جليل عظيم جسيم العائدة فى سالف الزمان و إن قصر عن ذلك فى آنفه فلوجوه منها أنّه كان قديما قعدد الملك يسكنه عظام الفراعنة و كبار الجبابرة كمصعب بن الوليد فرعون موسى و الوليد بن مصعب فرعون يوسف و من كان بين عصريهما من أكابر الفراعنة، و وجدتّ بخطّ أبى النمر الورّاق فى أخبار أبى الحسين الخصيبىّ قال حدّثنى أبو خازم القاضى قال قال لى أبو الحسن بن المدبّر لو عمرت مصر كلّها لوفت بأعمال الدنيا، و قال تحتاج مصر الى ثمنية و عشرين ألف ألف فدّان و إنّما يعمر منها ألفا ألف فدّان، قال و قال له أنّه كان يتقلّد الدواوين بالعراق يريد ديوان المشرق و المغرب قال و لم أبت قطّ ليلة من الليالى و علىّ عمل أو بقيّة منه و تقلّدت مصر فكنت ربّما بتّ و قد بقى علىّ شىء من العمل فأستتمّه إذا أصبحت، قال و قال له أبو خازم القاضى جبا عمرو بن العاص مصر لعمر بن الخطّاب رضى الله عنه اثنى عشر ألف ألف دينار فصرفه عنها عثمن بعبد الله بن أبى سرح فجباها أربعة عشر ألف ألف دينار فقال عثمن لعمرو أبا عبد الله علمت أنّ اللقحة درّت بعدك فقال نعم و لكنّها أجاعت أولادها، و قال أبو خازم إنّ هذا الذى جباها عمرو و عبد الله ابن أبى سرح إنّما كان من الجماجم خاصّة دون الخراج و غيره قال فاستثبّته فى ذلك فقال هذا الصحيح عندنا، و بها الهرمان اللذان ليس على وجه الأرض لهما نظير فى ملك مسلم و لا كافر و لا عمل و لا يعمل كهما

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۳۶

و قرأ بعض بنى العبّاس على أحدهما إنّى قد بنيتهما فمن كان يدّعى قوّة فى ملكه فليهدمهما فالهدم أيسر من البناء فهمّ بذلك و أظنّه المأمون أو المعتصم فإذا خراج مصر لا يقوم به يومئذ و كان خراجها على عهده بالإنصاف فى الجباية و توخّى الرفق بالرعيّة و المعدلة إذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع أربعة آلف ألف دينار و مائتى ألف و سبعة و خمسين ألف دينار و المقبوض على الفدّان دينارين بعين ابين فأعرض عن ذلك و لم يعد فيه شيئا، (۴) و لمصر عادة و سنّة لم تزل مذ عهد فراعنتها فى استخراج خراجها و جباية أموالها و اجتلاب قوانينها و ذلك أنّه لا يستتمّ استيفاء الخراج من أهلها إلّا عند تمام الماء و افتراشه على سائر أرضها و تطبيقها و يقع إتمامه فى شهر توت، فإذا كان ذلك و ربّما كانت زيادة على ذلك أطلق الماء فى جميع نواحيها من ترعها ثمّ لا يزال يترجّح فى الزيادة و النقصان الى حين طلوع الفجر بالسماك و هو لثمان تخلو من شهر بابه فإذا انحسر الماء وقعت باكورة البذور بالأقراط و الكتّان و الحبوب و القرط الرطبة، و ببابه يتكامل ريّ الأرض عند ثمان تخلو منه و قد لا يستتمّ الماء فيه فيعجز بعض الأرض عن أن يركبها الماء فيرزح الخراج عن الكمال، و بهاتور يبتدأ فى الحرث و يحصد الأرزّ و يكون الزرع البذرىّ فى أكثر نواحيهم و ضياعهم، و بكيهك يزرع فيه [۴۱ ظ] من أوّله الى آخره الزروع المتأخّرة و لا يزرع بعده فى شىء من أرض مصر غير السمسم و المقاثى و العطب، و بطوبه يطالب الناس بافتتاح الخراج و محاسبة المتقبّلين على

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۳۷

الثمن من السجلّات من جميع ما بأيديهم من المحلول و المعقود، و بأمشير يؤخذ الناس فيه بإتمام ربع الخراج من السجلّات، و ببرمهات يطلب الناس فيه بالربع الثانى و الثمن من الخراج و يزرع قصب السكّر و ما يشبهه، و ببرموده تقع المساحة على أهل الأعمال و يطالب الناس بإغلاق نصف الخراج عن سجلّاتهم و يحصد بذرىّ الزرع، و ببشنس تقرّر المساحة و يطالب الناس بما يضاف الى المساحة من أبواب وجوه المال كالصرف و الجهبذة و حقّ المراعى و القرط و الكتّان على رسوم كلّ ناحية و يستخرج فيه إتمام الربع ممّا تقرّرت عليه العقود و المساحة و يطلق الحصاد لجميع الناس، و بونه يستخرج فيه بتمام نصف الخراج ممّا بقى و لم يوزن بعد

المساحة، و بابيب يستتمّ فيه ثلثة أرباع الخراج و هو أصل زيادة ماء النيل و يكون ضعيفا و فيه يزرع الأرزّ بالفيّوم و يحصد فى هاتور وكيهك، و مسرى يغلق فيه الخراج و فيه جمهور زيادة ماء النيل و فى ذين المشهّرين تتأخّر البقايا على دقّ الكتّان لأنّه يسلّ فى توت و يدقّ فى بابه، و إذا أطلق ماء النيل شرب منه من يمشارق الفرما من ناحية جرجير و فاقوس من خليج تنّيس و مغائضه و شرب من خليج الإسكندريّة و ما يفيض منه [من] بناحية النقيديّة و ارسنيس و زرع عليه أهل الباطن و أهل البحيرة فى فجاج و أودية فيكون ذلك لماصلة قبيل من زناتة و رمجانة و بنى بزال و قبائل البربر و استوفى منهم الخراج، و بين المكانين مسيرة شهر عمران فى محلول و معقود و ليس كهذه الحال تجرى أحوال الخراجات بسائر أصقاع الأرض لأنّ النيل إنّما يأتيهم إذا حصلت الشمس فى الجوزاء و السرطان بإمطار بلد السودان فى بلد الجنوب على مسافة شهور من أرض مصر و أكثر ما يصل أهل مصر بعضهم الى بعض عند زيادة النيل فى المراكب لأنّ الماء يحجب بإحاطته أكثر مدنها و ضياعها و يستولى عليها فى جميع أراضيها فطرقات بعضهم الى بعض فى الماء بالمراكب،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۳۸

(۵) و للفسطاط طريق على الظهر فى البرّ الى الإسكندريّة من جانب الصحراء و قد ذكرته فى صفة المغرب و مراحله على ذات الساحل الى ترنوط، و لها طريق آخر إذا نضب الماء يأخذ بين المدائن و الضياع و ينزل فى كرائم المدن و ذلك إذا أخذت من شطنوف الى سبك العبيد فهو منزل فيه منبر لطيف و بينهما اثنا عشر سقسا و من سبك العبيد الى مدينة منوف و هى كبيرة فيها حمّامات و أسواق و بها قوم تنّاء و فيهم يسار و وجوه من الناس منهم جابر المنوفىّ لا رضى الله عنه و لها إقليم عظيم و عمل يليه عامل جسيم و بينهما ستّة عشر سقسا، و من منوف الى محلّة صرد منبر فيه [حمّام] و فنادق [۴۱ ب] و سوق صالح ستّه عشر سقسا، و من محلّة صرد الى صخا مدينة كبيرة ذات حمّامات و أسواق و عمل واسع و إقليم جليل له عامل بعسكر و جند و كثرة أصحاب و له غلّات و به الكتّان الكثير و زيت الفجل الى قموح عظيمة ستّة عشر سقسا، و من صخا الى شبرلمنه مدينة كبيرة بها جامع و أسواق صالحة ستّة عشر سقسا، و من شبر لمنه الى مسير مدينة لها جامع و أسواق كثيرة القمح و فنون الغلّات و بها عامل عليها للماء و قسمته ستّة عشر سقسا، و من مسير الى سنهور مدينة ذات إقليم كبير و لها حمّامات و أسواق و عامل كبير فى نفسه و كانت بها من النعم للكتّاب و الدهاقين فى ضروب الكتّان و القموح و قصب السكّر و غير ذلك ما بلغنى أنّه قد تناقصت وقتنا هذا حالها فيما ذكرته و أذكره من سائر مدنها ستّة عشر سقسا، و من سنهور الى البجوم إقليم مدينته باسمه عظيمة بها عامل عليها و عسكر [و جامع] و حمّامات و فنادق و أسواق واسعة ستّة عشر سقسا، و من البجوم الى نستراوه مدينة كانت حسنة و هى على بحيرة البشمور و يحيط بها المياه كثيرة الصيود من السموك و عليها

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۳۹

قبالة كبيرة للسلطان و كان بها قوم مياسير و يوصل اليها بالمعدّيات إذا زاد الماء و إذا نضب وصل اليها بالجسور عشرون سقسا، و من نستراوه الى البرلّس مدينة كثيرة الصيد أيضا من هذه البحيرة و بها حمّامات و هى مدينة جميلة الأمر عشر سقسات، و من البرلّس الى اجنا حصن على شطّ البحر المالح فيه منبر و خلق كثير و أسواق و رجال و صيّادون للصير به حمّام عشر سقسات، و من اجنا الى رشيد مدينة على النيل قريبة من مصبّ فوّهته الى البحر و يعرف هذه الفوّهة و هى المدخل من البحر بالاشتوم ثلثون سقسا و كانت بها أسواق صالحة و حمّام و لها نخيل كثيرة و ارتفاع واسع و ضريبة على ما يحمل من الإسكندريّة و يحمل اليها من متاع البحر الى سائر أسباب التجارة، و هذا الطريق الآخذ من شطنوف الى رشيد ربّما امتنع سلوكه عند زيادة النيل لغلبة الماء و كثرته على وجه الأرض فربّما أخذ بعض الطريق على الظهر و بعضه فى المراكب و الماء و ربّما سلك من جهة البرّ على ما قدّمت ذكره و وصفه فيما ابتدأت به فى صفة طريق المغرب من الفسطاط، (۶) و قد ذكرت أنّ الماء الآخذ من شطنوف مغرّبا عن الماء الآخذ الى دمياط و تنّيس يشرع الى ضيعة تعرف بالجريسيّات و هى مع شطنوف فى برّ واحد ذات منبر و بها سوق صالح و بينهما ستّة سقسات، و من الجريسيّات الى

أبی یحنس قریة ینفصل من دونها الماء فی خلیجین آخرین أیضا عشر سقسات، فیجری أحدهما مغرّبا الی الإسکندریّة و یشرع علی ترنوط و هی جانبان متحاذیان علی الخلیج و بها منبر فی الجانب البحریّ منها و بیع کثیرة و فسیسون و رهبان و أسواق عامرة و حمّام و لها عامل بعسکر ذی عدّة و غلّات واسعة و بینهما عشر سقسات، [۴۲ ظ] و یشرع

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۴۰

أیضا هذا الماء علی بستامه ضیعة عظیمة ذات منبر و أسواق کثیرة و بادیة تزید علی ألفی رجل و غلّاتهم واسعة و بینهما اثنا عشر سقسا، ثمّ یمضی الماء منها الی شابور مدینة کثیرة العبید و المقاتلة واسعة الغلّات فیها حمّام و عامل تحته خیل للحمایة ستّة عشر سقسا، و منها الی محلّة نقیده و هی ضیعة کبیرة عامرة بها منبر و عامل علیها و لها حمّام و ناحیة کبیرة و غلّات غزیرة و ضیاع برسمها و فی ضمنها [جلیلة ستّة عشر سقسا، و من محلّة نقیده الی دنشال بلد عامر فیه جامع و حمّام و کروم کثیرة و برسمه ضیاع جلیلة] و عمل مضاف الیها ستّة عشر سقسا، و من دنشال الی قرطسا و هو بلد کبیر فیه حمّام و منبر و برسمه ناحیة و ضیاع وافرة غزیرة فوق ما تقدّم ذکره ممّا بالمدن المضافة الیها الکور و الضیاع و بقرطسا کروم و فواکه غزیرة عظیمة و یجلب منها ستّة عشر سقسا، و من قرطسا الی شبرو ابو مینا ضیعة کبیرة بها جامع و خلق کثیر و بادیة و مزارع و غلّات واسعة اثنا عشر سقسا، و من شبرو ابو مینا الی قرنفیل ضیعة بها جامع و عمارة آهلة غنّاء اثنا عشر سقسا، و لها و برسمها ضیاع تعرف بالجابریّة تدخل فی صفقتها، و من قرنفیل الی برسیق ضیعة بها منبر و بیع و أسواق و لها کورة کبیرة اثنا عشر سقسا، و من برسیق الی الکریون مدینة کبیرة حسنة فیها جامع و حمّام و فنادق و کروم تجلب أعنابها الی الأماکن و برسمها کورة ذات ضیاع و هی جانبان علی خلیج الإسکندریّة و منها ترکب التجّار فی الصیف عند زیادة النیل الی مصر و لها عامل علیها و معه خیل و رجل ستّة عشر سقسا، و من الکریون الی قریة الصیر منهل فیه صیّادون للصیر ثمنیة سقسات، و من قریة الصیر الی الإسکندریة ثمنیة سقسات و هذه مسافات علی خلیج الإسکندریّة، (۷) و أمّا الشعبة الخارجة تجاه ترنوط مشرّقة فتشرع الی شبروالاو

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۴۱

و هی ضیعة ذات ثلث حارات کبار کثیرة الأهل غزیرة السکّان بها حمّام و جامع و قاض و عامل و لها کورة جلیلة واسعة و من أبی یحنس الیها ستّة سقسات، و من شبروالاو الی منوف مدینة کبیرة عظیمة واسعة الغلّات و الخیرات و الکتّان و بها وال علیها و بها حاکم و حمّامات و جامع و أسواق کثیرة حسنة و کور عدّة برسمها واسعة ستّة عشر سقسا، و من منوف الی طنتا ضیعة جلیلة حسنة عظیمة الأهل بها جامع و حمّام و لها ضیاع برسمها و عامل ذو عدّة و عتاد و فیها أسواق و جامع لطیف و لها موعد لسوق یقف بها فی کلّ جمعة أربعة عشر سقسا، و من طنتا الی فیشة بنی سلیم ضیعة فیها حمّام و سوق و جامع و کورة مضافة الیها اثنا عشر سقسا، و من فیشة بنی سلیم الی البندارّیة ضیعة فیها جامع و أسواق و برسمها ضیاع و لها عامل و فیها حمّام طیّب عشرة سقسات، و من البندارّیة الی محلّة المحروم مدینة بها سلطان و شحنة لها و قاض [و خیل و رجل] و جامع و حمّام و أسواق [۴۲ ب] عشرة سقسات، و من محلّة المحروم الی قلیب العمال و هی من الجانب الغربیّ عن الخلیج مدینة فیها جامع و حمّام و لها کورة ذات ضیاع و أسواق و بها حاکم و بها سلطان عشرة سقسات، و من قلیب العمال الی ببیج مدینة کبیرة فیها جامع و بیع کثیرة عامرة و دهاقین تجتبی جماجمهم و بها جامع و حاکم و سلطان و برسمها ضیاع کثیرة غزیرة عشرة سقسات، و بین ببیج و محلّة ببیج الخلیج الآخذ من بین شابور و محلّة نقیده و هما جانبان أیضا و ینفصل هذا الخلیج أیضا قطعتین فیشرع إحداهنّ الی فرنوه مغرّبة من ناحیة ببیج و محلّة ببیج و الأخری مشرّقة الی صا و صا هذه مدینة فیها جامع و بیع کثیرة و حاکم و سلطان و أسواق و حمّام و بها العین المعروفة بعین موسی علیه السلام و یقال أنّه سجن بها ستّة سقسات، و من صا الی دیّای ضیعة کبیرة فیها جامع و برسمها کورة ذات

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۴۲

ضیاع و عامل و حاکم و بیع و أحوالها متقاربة فی الزجاء عشرة سقسات، و من دیّای الی الصافیة ضیعة کبیرة کثیرة قصب السکّر و بها

غير معصرة للسكّر و بها جامع و بيع و حاكم و عامل و أسواق حسنة عشرة سقسات، و من الصافية الى دمى جمول ضيعة كبيرة أيضا كثيرة قصب السكّر و المعاصر و عمل السكّر بها و القند و لها منبر و سوق و حاكم ستّة سقسات، و من دمى جمول الى سنديون ضيعة آهلة واسعة الغلّات و بها جامع و بيع و سوق و حاكم ثمنية سقسات أو تزيد قليلا، و من سنديون الى بلهيب ستّة سقسات، و أمّا الشعبة الآخذة من بييج و محلّة بييج الى فرنوه فإنّ فرنوه منها على نحر الماء و فى غربيّه و هى مدينة كثيرة البادية و هى الغالبة عليها و بها جامع و سلطان و حاكم و بيع عداد و أسواق لا بأس بها و بينهما اثنا عشر سقسا، و من فرنوه الى محلّة مسروق مدينة لها كورة عظيمة فيها الموز الحسن الكثير و الفواكه الواسعة و تجلب فواكهها الى الفسطاط و بها حمّام و جامع و بيع و حاكم و صاحب معونة خمسة عشر سقسا، و من محلّة مسروق الى محلّة أبى خراشة مدينة كثيرة الأسواق و بها جامع و حمّام و حاكم و صاحب معونة فى عسكر صالح و لها كورة ذات غلّات كثيرة ستّة سقسات و من محلّة أبى خراشة الى فيشة ضيعة فيها منبر و لها بادية لا بأس بها اثنا عشر سقسا، و منها الى سندبيس ضيعة فسيحة كثيرة الدهاقين و البيع و الخنازير صالحة الارتفاع خمسة عشر سقسا، و من سندبيس الى سنباذة ضيعة تشاكل سندبيس خمسة عشر سقسا، و منها الى بلهيب نحو عشرة سقسات، و يجتمع ببلهيب الخليجان المتشعّبان من بييج أحدهما آخذا على فرنوه و الآخر على صا قدّام بلهيب و هى مدينة كبيرة بها جامع [۴۳ ظ] و هى على ساحل الإسكندريّة فى الربيع و بها حاكم و صاحب

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۴۳

معونة و جامع و أسواق و لا حمّام بها و جميع ما على شطّى النيل من بلهيب الى رشيد ضياع لا منابر فيها و يطول ذكرهما، (۸) و لمصر و أعمالها غير كتاب مؤلّف مستوفى بصفات ضياعها و جباياتها و خواصّها و قد تغيّرت مذ وقت دخل المغاربة أرضها و رزحت من جميع أسبابها و بقيت منها رسوم و بقايا دمن خالية تشهد بما سلف فيها من الأمور الرفيعة العالية، فلذلك حرّرت أوصافها و لم أستقص حالها، (۹) و أمّا الشعبة الآخذة من شطنوف مشرّقة الى دمياط و تنّيس فقد ذكرت بين أشكال مدنها مسافاتها و يستغنى بذلك عن إعادة لفظ فيه و تكرير قول منه و لو أمكن مثل ذلك فى جميع هذه الخلجان لكان أجمل و أحسن و لمّا تعذّر و لم يمكن فيه إعادة ذكره بالكلّيّة اقتصرت على المشهور المعروف حسب ما توخّيته من ذكر سواد كلّ بلد و ريف كلّ ناحية و وصفها جملة غير مفصّلة بعد تصوير مدنها و بقاعها و طرقها موصّلة و مفصّلة إذ كان ذلك القصد و البغية، و لمّا كان العلم بكلّيّته بإزاء قوى أبناء البشر بكلّيّتهم فلن يبلغ الإنسان الواحد منه بجزئيّة إلّا قدر ما اقتضته سعادته، (۱۰) فأمّا ما يحيط بجميع مصر من الحدّ المشتمل عليها فقد تقدّم ذكره فى غير مكان و من القلزم الى أن تعطف على التيه بساحل البحر ستّ مراحل و من حدّ التيه الى أن تتّصل ببحر الروم نحو ثمانى مراحل و يمتدّ الحدّ على البحر الى أوّل الحدّ الذى ذكرته نحو اثنتى عشرة مرحلة، (۱۱) و من الرملة الى مدينة الفسطاط إحدى عشرة مرحلة فمن ذلك

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۴۴

أن تخرج من الرملة الى ابنى مدينة نصف مرحلة و منها الى يزدود مدينة أيضا قصدة تمام مرحلة و من يزدود الى غزّة مدينة حسنة كثيرة الخير و لها ربض مرحلة و منها الى رفح مدينة صالحة و جامع حسن مرحلة، و من رفح الى العريش مدينة ذات جامعين مفترقة المبانى و الغالب عليها الرمل و هى قريبة من الساحل و لها فواكه و ثمار حسنة مرحلة، و ذكر عبد الله بن عبد الحكم الفقيه صاحب الكتب المؤلّفة أنّ الجفار بأجمعه كان أيّام مصعب بن الوليد فرعون موسى فى غاية العمارة بالمياه و القرى و السكّان و أنّ قول الله تعالى و دمّرنا ما كان يصنع فرعون و قومه و ما كانوا يعرشون [عن هذه المواضع] و أنّ العمارة كانت متّصلة منه الى اليمن قال و لذلك سمّيت العريش عريشا، و من العريش [الى] الورّادة منزل قريب الحال مرحلة، و من الورّادة الى البقّارة قرية مرحلة، و من البقّارة الى الفرما مدينة صالحة على نحر بحر الروم كثيرة النخيل و الرطب و السمك غير طيّبة الماء يردها التجّار فى البرّ و البحر ليلا و نهارا [۴۳ ب] من الفسطاط و الشأم لأنّها على الطريق مرحلة و سابلتها غير منقطعين، و من الفرما الى جرجير مرحلة و هى مدينة، و من

جرجير الى فاقوس مدينة صالحة أيضا مرحلة و ربّما لم يمكن السائر الى جرجير السير من فاقوس فسار من الفرما الى الهامة الى بلبيس و بلبيس مدينة أيضا مرحلة، و منها الى الفسطاط مرحلة، (۱۲) و طول أرض مصر من اسوان الى بحر الروم نحو عشرين مرحلة فمن ذلك أنّ من اسوان الى اتفوا أربعة أبرد و نصف و من اتفوا الى اسنى بريدان و من اسنى الى ارمنت بريدان و من ارمنت الى قوص بريد

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۴۵

و نصف و من قوص الى البلينا أربعة أبرد و نصف و من البلينا الى اخميم بريد و نصف و من اخميم الى قاو بريدان [و من قاو الى اسيوط بريد و من اسيوط الى منسارة بريدان] و من منسارة الى الاشمونين بريدان و هى تجاه انصنى، و من الاشمونين الى طحا بريدان فى الحاجر، و من طحا الى مصر عشرة أبرد [ثمّ تركب فى السفينة الى أىّ موضع و بلدة تريد فإنّ طرقاتهم فى الماء بالمراكب]، (۱۳) و على النيل مضيقان بين جبلين قد قطع كلّ واحد منهما ليستمرّ الماء فى طريقه أحدهما بين اسنى و ارمنت لصيق القرية المدعوّة قرية القسّ و قد خربت و المضيق الثانى يعرف بالحنس على ثلثة أبرد من اسوان الى أسفل منها و بينه و بين اتفوا بريد و نصف، و بالنيل موضعان يعرفان بالجنادل أحدهما فوق اسوان بثلثة أميال فى حدّ الإسلام و هو جبل قطع أيضا لطريق الماء و ترك ما قطع منه على غاية الوعورة فالماء يتسرّب فيه بين أحجار عظام لا- تقدر المراكب أن تسير فيه لوعورته و إذا جاءته حملت فى البرّ متاعها الى أن تلحق بمسيل الماء المستقيم و مقداره رميتا سهم و بينه و بين آخر حدّ الإسلام ثلثة أميال و كأنّه ترك ردءا لمن قصد بلد العدوّ أو ردءا لمن أراد مصر من ناحية العدوّ، و الجنادل الثانى بالقرب من دنقله و يسمع صوت الماء و جريه فيها ليلا و نهارا على أميال كثيرة، (۱۴) و من صفات مدنها و بقاعها أنّ مدينتها العظمى تسمّى الفسطاط و هى على شمال النيل لأنّه يجرى فى نحوها بين المشرق و الجنوب و هى مدينة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۴۶

حسنة ينقسم لديها النيل قسمين فيعدى من الفسطاط الى عدوة أولى فيها أبنية حسنة و مساكن جليلة تعرف بالجزيرة و يعبر اليها بجسر فيه نحو ثلثين سفينة و يعبر من هذه الجزيرة على جسر آخر الى القسم الثانى كالجسر الأوّل الى أبنية جليلة و مساكن على الشطّ الثالث تعرف بالجيزة، و الفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداذ و مقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة و الخصب و الطيبة و اللذّة ذات رحاب فى محالّها و أسواق عظام و متاجر فخام و ممالك جسام الى ظاهر أنيق و هواء رقيق و بساتين نضرة و متنزّهات على مرّ الأيّام خضرة، و بالفسطاط قبائل و خطط للعرب تنسب اليها محالّهم كالكوفة و البصرة إلّا أنّها أقلّ من ذلك فى وقتنا هذا و قد باد أكثرها بظاهر المعافر و هى سبخة الأرض غير نقيّة التربة، و الدار تكون بها طبقات سبعا و ستّا و خمس طبقات و ربّما سكن فى الدار المأئتان من الناس، و بالفسطاط دار [۴۴ ظ] تعرف بدار عبد العزيز بن مروان و كان يسكنها و يصبّ فيها لمن فيها فى كلّ يوم عهدنا هذا أربع مائة راوية ماء و فيها خمسة مساجد و حمّامان و غير فرن لخبز عجين أهلها، و معظم بنيانهم بالطوب و أكثر سفل دورهم غير مسكون، و بها مسجدان لصلاة الجمعة بنى أحدهما عمرو بن العاص فى وسط الأسواق و الآخر بأعلى الموقف بناه أبو العبّاس أحمد بن طولون، و كان خارج مصر أبنية بناها أحمد بن طولون مساحتها ميل فى مثله يسكنها جنده تعرف بالقطائع كبناء بنى الأغلب خارج القيروان لرقّادة و قد خربا جميعا فى وقتنا هذا و رقّادة أشدّ تماسكا و صلاحا، و قد استحدثت المغاربة بظاهر مصر مدينة سمّتها القاهرة استحدثها جوهر صاحب أهل المغرب عند دخوله الى مصر لجيشه و شمله و حاشيته و قد ضمّت من المحالّ و الأسواق و حوت من أسباب القنية

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۴۷

و الارتفاق بالحمّامات و الفنادق الى قصور مشيدة و نعم عتيدة و قد أحدق بها سور منيع رفيع يزيد على ثلثة أضعاف ما بنى بها و هى خالية كأنّها تركت محالّا للسائمة عند حصول خوف، و بها ديوان مصر و مسجد جامع حسن نظيف غزير القوّام و المؤذّنين و قد ابتنت

بعض نساء أهل المغرب جامعا آخر بالقرافة موضع بظاهر مصر كان مساكن لقبائل اليمن و من اختطّ بها هناك قديما عند فتحها و هو من الجوامع الفسيحة الفضاء الرائعة البناء أنيق السقوف يهيّ المنظر، و بالجزيرة و الجيزة أيضا جامعان آخران دون جامع القرافة فى نبله و حسنه، (۱۵) و بمصر نخيل كثيرة و بساتين و أجنّة صالحة و تمتدّ زروعهم بماء النيل من حدّ اسوان الى حدّ الإسكندريّة و الباطن و يقيم الماء فى أرضهم بالريف و الحوف منذ امتداد الحرّ الى الخريف و ينضب على ما قدّمت ذكره فيزرع و لا يحتاج الى سقى و لا مطر من بعد ذلك، و أرض مصر لا تمطر و لا تثلج، و ليس بأرض مصر مدينة يجرى فيها الماء من غير حاجة الى زيادة النيل إلّا الفيّوم و الفيّوم اسم الإقليم و بالفيّوم مدينة وسطة ذات جانبين تعرف بالفيّوم و يقال أنّ يوسف النّبيّ عليه السلام اتّخذ لهم مجرى وزنه ليدوم لهم دخول الماء فيه و قوّمه بالحجارة المنضّدة و سمّاه اللاهون ، (۱۶) و ماء النيل فلا يعلم أحد مبتدأه و ذلك أنّه يخرج من مفاوز وراء أرض الزنج لا تسلك حتّى ينتهى الى حدّ الزنج و يقطع فى مفاوز النوبة و عماراتهم فيجرى لهم فى عمارات متّصلة الى أن يقع فى أرض مصر، [قال كاتب هذه الأحرف زعم مؤلّف الكتاب أنّ النيل لا يعلم أحد مبتدأه و أنّه

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۴۸

يخرج من مفاوز وراء بلاد الزنخ و قد رأيت فى رسالة جغرافيا أنّ مبدأ النيل بطيحتان مدوّرتان يصبّ الى كلّ واحدة خمسة أنهار من جبل القمر و يخرج من هاتين البطيحتين من كلّ واحدة أربعة أنهار الى بطيحة مدوّرة فى الإقليم الأوّل قطرها جزآن و مركزها عند طول نج و العرض من الإقليم الأوّل ب لآ ثمّ يخرج من هذه البطيحة نهر هو نيل مصر و يصبّ اليه نهر يجرى من عين يخرج من خطّ الاستواء عند طول نط لآ و يأتى الى قرب من بلد النوبة فينقسم قسمين يصبّ أحدهما الى النيل عند طول نج لآ و العرض عند يو لآ فى الإقليم الأوّل و الثانى مصبّه فى الإقليم الثانى عند طول نج لآ و عرض يح لآ ثمّ يمتدّ و لا يزال ينعطف انعطافات كثيرة ليس هذا موضع شرحها حتّى يأتى الى اسوان ثمّ يمرّ الى مصر مماسّا لها عند طول ند لآ و العرض كط لآ ثمّ يتفرّق من مصر فى سبعة خلجان الى البحر الأوّل الى الإسكندريّة عند طول نا م و الآخر عند طول نج لآ و الثالث عند طول نج ل و الرابع عند طول نج م و الخامس عند نج نه و السادس عند طول ندك و السابع عند طول ند ل كما نصوّره فى الصفحة الأخرى من هذه الورقة و الله الموفّق،] و هو نهر يكون عند امتداده أكبر من دجلة و الفرات إذا اجتمعا و ماؤه أشدّ عذوبة و حلاوة و بياضا من سائر أنهار الإسلام [و هو متّصل بالبرّيّة التى لا تسلك لجنّها] ، و ذكره بطلميوس فى كتاب جغرافيّا فلم يعز أصله الى مكان، و يكون فيه التماسيح و السقنقور و سمكة تعرف بالرعّادة لا يستطيع أحد أن يقبض عليها و هى حيّه حتّى ترتعش يده و تسقط منها فإذا ماتت فهى كسائر السمك، و التمساح دابّة [۴۴ ب] من دوابّ الماء مستطيل الذنب و الرأس و رأسه نحو نصف طول ذنبه و له أنياب لا تقبض بها على دابّة ما كانت من سبع أو جمل إلّا مدّه فى الماء و له على كلّ شىء سلطان إلّا الجاموس فإنّه لا قوام له بالكبير منها و يخرج من الماء فيمشى فى البرّ و يقيم فيه خارج الماء اليوم و الليلة و نحو ذلك و ليس سلطانه فى البرّ كسلطانه فى الماء و قد يتضرّى بعضها فى البرّ على الناس فيكون من جاوره معه فى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۴۹

إيضاح ما يوجد من الأسماء و النصوص فى صورة النيل المرسومة فى الورقة ۱۳ ب من نسخة حب، قد رسم فى أعلى الصورة جبل القمر و من أسفله البطيحة الأولى و البطيحة الثانية ثمّ تحت البطيحتين خط مستقيم افقىّ كتب عنده خطّ الاستواء، و فى الساحة تحت هذا الخطّ كتب الإقليم الأوّل و فيه كلمتا بطيحة و خليج، و يلى ذلك الى الأسفل خطّ ثان كتب عليه مدينة النوبه و فى الساحة تحت هذا الخطّ الإقليم الثانى و فيه من الأسماء الجنادل و اسوان، و من أسفل ذلك خطّ ثالث كتب فى الساحة تحته الإقليم الثالث و فيه من الأسماء مصر، جزيره، الجيزه، الاسكندريه، و فى أسفل الصورة فى الزاوية اليمنى البحر المالح،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۵۰

أذيّة حتّى يحتال فى قتله و له جلد لا يعمل فيه شىء من السلاح إلّا تحت إبطيه و باطن فخذيه، و السقنقور صنف يتولّد منه و من

السمك فلا يشاكل السمك لأنّ له يدين و رجلين و لا التمساح لأنّ ذنبه أجرد أملس غير مضرّس و ذنب التمساح مسيّف مضرّس و يتعالج بشحم السقنقور للجماع و لا يكون بمكان إلّا فى النيل [من حدّ اسوان] أو بنهر مهران من أرض الهند و السند و كذلك التمساح، و كانت مدينة اسوان ثغرا على النوبة قديما إلّا أنّهم اليوم مهادنون، (۱۷) و بصعيد مصر من جنوب النيل معدن الزبرجد فى برّية منقطعة عن العمارة و يكون من حدّ جزائر بنى حدان الى نواحى عيذاب و هى ناحية للبجة و قوم من العرب من ربيعة و ليس بجميع الأرض معدن للزمرّد غيره و فى شمال النيل جبل يمتدّ عليه الى الفسطاط يعرف بالمقطّم فيه و فى نواحيه حجر الخماهن و شىء من البلّار و تحادّه ناحية الزمرّد و يمتدّ هذا الجبل الى أقاصى بلد السودان و فيه بنواحى مصر قبر محمّد بن إدريس الشافعىّ الفقيه رحمه الله فى جملة المقابر التى فى سفحه لأهل مصر و يقال أنّه دفن بها من الأنبياء يوسف و يعقوب و الأسباط و موسى و هرون و بها ولد عيسى عليه و عليهم السلم بكورة اهناس و لم تزل نخلة مريم [تعرف] باهناس الى آخر أيّام بنى أميّة، (۱۸) و من مشاهير مدنها و عجيب آثارها الإسكندريّة و هى مدينة على نحر بحر الروم رسومها بيّنة و آثار أهلها ظاهرة تنطق عن ملك و قدرة و تعرف عن تمكّن فى البلاد و سموّ و نصرة و تفصح عن عظة و عبرة كبيرة الحجارة جليلة العمارة و بها من العمد العظام و أنواع الأحجار الرخام الذى لا تقلّ القطعة منه إلّا بألوف ناس قد علقت بين السماء و الأرض على فوق المائة ذراع ممّا يكون الحجر منها فوق رؤوس أساطين دائر

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۵۱

الاسطوان منها ما بين الخمس عشرة ذراعا الى عشرين ذراعا و الحجر فوقه [عشر أذرع] فى عشر أذرع فى سمك عشر أذرع بغرائب الألوان و بدائع الأصباغ،

فلو سئلت عن أهلها لرأيتهامخبّرة من حالهم بالعظائم،

و لها طرقات مفروشة بأنواع الرخام و الحجر الملوّن و فى بيعها عمد لصفاء صقاله و حسن ألوانه يبين كالزمرّد الأخضر و كالجزع الأصفر منه و الأحمر و جلّ أبنيتها بالعمد المسمّر و منه شىء على قضبان نحاس قد دبّر بأنواع أخلاط لئلّا يغيّره الزمان و تحت الأسطوانة منه الثلاثة سرطانات نحاس و أربعة و الاسطوانة فى الهواء عليها ضروب الصور المعروفة و المجهولة، [و فيها المنارة المشهورة المبنيّة بالحجارة المركّبة المضبّبة بالرصاص] [۴۵ ظ] و ليس بجميع الأرض لمنارتها نظير يدانيها أو يقاربها فى أشكالها و مبانيها و عجائبها و معانيها تشتمل على آية بيّنة و يستدلّ بها على مملكة كانت قاهرة لملك عظيم ذى حال جسيم و سلطان عقيم، و هى المنارة المشهورة فى جمهور الأرض أخبارها التى جميع العامّة و الخاصّة من أهل الدراية مجمعون على أنّ مؤسّسها اخترعها لرصد الفلك و أدرك ما أدركه من علم الهيئة بها و فيها و جميع ما أخبر به من حال الفلك فإنّما حصل له و لمن خلفه بانكشاف فضائها وسعة سمائها و قلّة أبخرة صحرائها لأنّ لكلّ ارض سرابا على مقدارها و ليس لها سراب و سمكها كان يزيد على ثلثمائة ذراع فوقعت منه قبّة عظيمة كانت رأس المنارة لطول العهد لا كما يدّعى المحاليّون فى حماقات و رقاعات مصنّفة أنّها بنيت لمرآة كانت فيها يرى سائر ما يدخل الى بحر الروم من درمون حمّال الى شلندى مستعدّ للقتال و يزعم قوم أنّ بانيها و بانى الهرمين ملك واحد و يروى آخرون غير ذلك، (۱۹) و من حدّ الفسطاط فى غربىّ النيل أبنية عظام يكثر عددها مفترشة فى سائر الصعيد يدعى الأهرام، و ليست كالهرمين اللذين تجاه

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۵۲

الفسطاط و على فرسخين منها ارتفاع كلّ واحد منهما أربع مائة ذراع و عرضه كارتفاعه مبنىّ بحجارة الكذّان التى سمك الحجر و طوله و عرضه من العشر الأذرع الى الثمان حسب ما دعت الحاجة الى وضعه فى زيادته و نقصه و أوجبته الهندسة عندهم لأنّهما كلّما ارتفعا فى البناء ضاقا حتّى يصير أعلاهما من كلّ واحد مثل مبرك جمل و قد ملئت حيطانهما بالكتابة اليونانيّة ، و فى داخل كلّ واحد منهما طريق كان يسير فيه الناس رجّالة الى أعلاه و فى ذين الهرمين مخترق فى باطن الأرض واضح من أحدهما الى الآخر و قد ذكر

قوم أنّهما قبران و ليسا كـذلك و إنّما حـدا صاحبهما أن عملهما أنّه قضـى بالطوفان و هلاك جميع ما على وجه الأرض إلّا ما حصّـن فى مثلهمـا فخزن ذخائره و أمواله فيهما و أتى الطوفان ثمّ نضب فصار ما كان فيهما الى بيصـر بن نوح و قـد خزن فيهما بعض الملوك المتأخّرين أهراءه، (۲۰) و من جليل مدنها و فاخر خواصّـها ما خصّت به تنّيس و دمياط و هما جزيرتان بين الماء المالح و العذب أكثر السـنة فى وجه النيل لا زرع فيهما و لا ضـرع بهما و فيهما يتّخذ و يعمل رفيع الكتّان و ثياب الشـرب و الدبيقىّ و المصـبّغات من الحلل التنّيسـيّة التى ليس فى جميع الأرض ما يـدانيها فى القيمة و الحسن و النعمة و الترف و الرقّة و الدقّة و ربّما بلغت الحلّة من ثيابها مائين دنانير إذا كان فيها ذهب، و قـد يبلغ ما لا ذهب فيه منها مائة دينار و زائدا و ناقصا و جميع ما يعمل بها من الكتّان فربّما بلغ مثقال غزل من غزولهـا دنـانير، و إن كـانت شـطا و دبقوا و دميره و تونه و مـا قاربهم بتلك الجزائر يعمل بها الرفيع من هـذه الأجناس فليس ذلك بمقارب للتنّيسـىّ و الدمياطىّ و الشـطوىّ ممّا كان الحمل على عهدنا [۴۵ ب] يبلغ من عشـرين ألف دينـار الى ثلثين ألف دينار لجهاز العراق

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۵۳

فانقطع بالمغاربة و خصّ بقطعه اللعين أبو الفرج بن كلّس وزير العزيز فإنّه استأصل ذلك بالنوائب و الكلف و المغارم و السخر الدائمة للصـنّاع حتّى لجعـل جزيـة على جميع الـداخلين و الخـارجين الى تنيس، و بمصـر غير طراز رفيع و سآتى على ذكره، (۲۱) و أمّا النيل فأكثر جريه الى الشـمال و كـذلك جرى نهر الاردنّ و عرض العمارة عليه بجنبتيه من حـدّ اسوان ما بين نصف مرحلـة الى يوم الى أن ينتهى الى الفسـطاط فتعرض العمارة على وجه الأرض فيصـير عرضـها من حدّ الإسـكندريّة الى الحوف الذى يتّصل بعمارة القلزم نحو ثمنية أيّام و أكثر و لم يكن فى أرض مصـر سيّما ما جاور النيل قفار غير معمورة بل كانت آهلة قبل فتح الإسلام فلم يبق بها ديّار و لا مخبر، (۲۲) و أمّـا الواحـات فإنّهـا بلاد كانت معمورة بالمياه و الأشـجار و القرى و الروم قبل فتحها و كان يسـلك من ظهرها الى بلاد السودان بالمغرب على الطريق الـذى كان يؤخـذ و يسـلك قـديما من مصـر الى غانه فانقطع و لا يخلو هـذا الطريق من جزائر النخيل و آثار الناس و بها الى يومنا هذا ثمار كثيرة و غنم و جمال قد توحّشت فهى تتوارى و للواحات من صـعيد مصـر اليها فى حدّ النوبة نحو ثلثة أيّام فى مفازة حدّ و لم تزل سافرتهم و سافرة أهل مصـر على غير طريق تتصـرّف الى المغرب و بلد السودان فى برارىّ و لم ينقطع ذلـك الى حين أيّام دولـة أبى العبّاس أحمـد بن طولون و كان لهم طريق الى فزان و الى برقـة فانقطع بما دار على الرفاق فى غير سـنة بسافيـة الريـح للرمـل على الرفاق حتّى هلكت غير رفقـة فأمر أبو العبّاس بقطع الطريق و منع أن يخرج عليه أحـد، (۲۳) و بلد الواحات ناحيتان و يقال لهما الداخلـة و الخارجـة و بين الداخلـة و الخارجة ثلث مراحل و أجلّهما الناحية الداخلة و هى واسـطة البلد و قرار آل عبـدون ملوكها و أصـحابها و فيها مساكنهم و أموالهم و عـدّتهم و ذخائرهم و هما حارتان بينهما نصف بريد و بكلّ حارة منهما قصـر الى جانبه مساكن

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۵۴

لحاشـية من ينزله و خاصّـته و أصـحابه و أضـيافه و فيهمـا حرمهم، و تعرف إحـدى الحـارتين بـالقلمون و الأخرى بالقصـر، و النـاحية الخارجة تعرف ببيريس و بيخيط و هما خمسة أصقاع و يشتمل كلّ صقع منها على منابر تتقارب فى المنزلة و الحال، و لم تزل مذ أوّل ما فتحها المسـلمون فى أيـدى آل عبـدون و مرجعهم الى حىّ من لواتة قبيل من البربر ملوك هذه الناحية يرجعون الى مروءة فاشـية و مظاهرة بالحرّيّة و رغبة فى القاصدين و محبّة للمنتجعين على جميع ضـروب القصد مكرمين للتجّار نازلين على أحكامهم فى الأرباح و كان من أحرصـهم على هـذه الوتيرة يتقبّل المحاسن و يحبّ حسن الأحدوثـة و الشـكر و يرغب فى جميل الـذكر أبو الحسن مكبر بن عبد الصمد بن عبدون رحمه الله [۴۶ ظ] بكبر نفسه وسـعة قلبه و كثرة طوله و فاشـى مروءته يزيد على من سلف له من أهله فى جميع المقاصد الكريمة و يركب منها الطرقات الصـعبة الجسيمة و لمّا مضى قام مكانه و عمر موضعه عبدون ابن محمّد بن عبدون فى ضمن عبـد له يعرف بمصـبح بن ميمون مغربىّ الأصل مولّـد بالواحات و هو رجل ندب و شـيخ شـهم ، و نواحيهم كثيرة المياه و الأشـجار و

الغياض و العيون الجاريـة العذبة متصـرّفة فی نخيلهم و زروعهم و أجنّتهم و أكثر غلّاتهم بعد القمح و الشـعير الأرزّ ولديهم من العنّاب الكثير و الفوّة الواسعة الغزيرة ما يغدق به الی كثير من النواحی، و هی كالناحية المعتزلة فی مركز دائرة من النيل و من أیّ نحو قصدت الواحات من أنحائها كان الوصول اليها من ثلاث مراحل الی أربع مراحل، و الناحية الخارجة منها المعروفة ببيخيط و بيريس أقرب الی النيل و من قصدها من ناحية النوبة و يبرين و أعمالهم اجتاز بعين النخلة بماء عدّ لا ساكن عنده و لا يجد الماء الی بيريس، و من اجتاز بها من أرض مصـر و قصدها من اسـنی و ارمنت تزوّد ماء النيل الی بيريس، و من قصدها من البلينا و اخميم و اسـيوط و الاشـمون من أسافل الصعيد كان وصوله الی بيخيط و تزوّد ماء

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۵۵

النيل، و من قصـدها من اسوان و أعلی الصـعيد اجتاز بدنقل بماء عدّ فی أحساء تحفر باليد و عليه نخيل كثيرة بغير ساكن و تزوّد الماء الی بيريس و مسـيرة كلّ طريق ممّا ذكرته اليها ثلث مراحل، و أكثر هـذه الطرق فی عقاب و أوديـة و جميع من قصدها من هذه الأربع نواحی يقطع الوادی المعروف بـدوای و أحساء بنی فضالـة، و من قصد الواح الداخلة و هی داره مملكة آل عبدون من ناحية القيس و البهنسـة كان وصوله الی بهنسـة الواح إذ بها ناحيـة تعرف بالبهنسـة أيضا و بينها و بين الفرفرون مرحلـة و الفرفرون قرية ذات قصور، و بين بهنسـة مصـر و القيس و بهنسة الواح أربع مراحل و هی فی جملة الواح الداخلة و تصـيب الماء فی هذا الطريق بموضع يعرف بماء النخلـة و فيه نخلـة، و الغـالب علی أهـل الفرفرون القبـط النصاری و بالفرفرون و البهنسـة قصـران لآل عبـدون يليهما مساكن كمساكن القلمون و لا حرم فيهما و لا ذخيرة بل هی عـدّة لنزول أهلها بها عند نزههم و يليهما مساكن الأكرة و بالبهنسة و ببيخيط و بيريس قری ظاهرة و باطنـة و أمم عليهم لوازم للسـلطان و جزية و لا يمدّ آل عبدون و خدمهم أيديهم فی شـیء من الجباية سوی الخراج و الجزية من النصـاری و ليس بجميع الواحـات يهوديّ واحـد فما فوقه و بالواحات من بنی هلال عـدّة غزيرة و أمّـة كثيرة و هی مصـيفهم وقت الغلّـة و ميرتهم منهـا و ليس بجميع الواحات حمّام و لا فنـدق يسـكنه الطارئ و القادم اليها و إذا قـدم التجّار و الزوّار علی آل عبـدون أنزلوهم أين كانوا من قرارهم و لزمتهم الأنزال و درّت عليهم الضـيافات الی حين رحيلهم و عنـدهم بجميع نواحيهم المطاحن بالإبل و البقر و قّلما يمطرون و مياه عيونهم حارّة فهی تقوم لهم مقام الحمّامات و قـد يقصـد الواحات من ناحيـة المغرب و من جزيرة [۴۶ ب] فيها نخيل و سـكّان من البربر تعرف بسـنتريّة فيكون أوّل وصولهم منها الی ناحيـة بهنسـتها، و بجميع الواحات بيع قديمـة أزليّة معمورة لأنّ البلد كان نصرانیّ الأصل قديما و كان غزير الدخل كثير المال فشاب و شمط بجور السلطان

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۵۶

و قـد اسـتحدث المسـلمون بهـذه النواحی الخمس نحو خمسـة عشـر منبرا و لكلّ قريـة من قری هـذه الخمس نواحی مساجـد معمورة بالصـلوات الخمس، و جميع من بها من القبط فی ولاء آل عبـدون عتاقـة و غلّات البلـد فوق حاجتهم و به من القموح و التمور الجليلة الكبار الحبّ و العنّاب و القطانی الی جميع الفاكهـة و البقول ما يزيـد علی حاجتهم و ينيف علی فاقتهم و إرادتهم و بين آل عبـدون و النوبة هدنة بعد حروب جرت و غارات دامت و اتّصـلت و هذه جملة من خبرها و أوصافها، (۲۴) و أمّا البحيرة التی هی بأرض مصر و فی شـمال الفرما و تتّصل ببحر الروم [تعرف ببحيرة تنّيس] فهی بحيرة إذا امتدّ النيل فی الصـيف عذب ماؤها و إذا جزر فی الشـتاء الی أوان الحرّ غلب مـاء البحر عليهـا فملح ماؤها و غاص فيها ماء النيل و فيها مـدن كالجزائر فيها يطيف ماء البحيرة بها و لا طريق اليها إلّا فی السـفن من أجـلّ جزائرهـا تنّيس و دميـاط و دميره و دبقـوا و شـطا و تـونه، و هی قليلـة العمق يسـار فی أكثرهـا بـالمرادی و تلتقی السـفينتان تحكّ إحداهما الأخری هذه صاعدة و هذه نازلة بريح واحدة مملّأة شرعهما بالريح متساوية فی سرعة السير، و بهذه البحيرة سمكـة تعرف بالـدلفين فی خلقـة الزقّ الكـبير و تكـثر فی ميـاء بحر الروم فی منحـدر المـاء العـذب من البحر و ذكر قوم فی مؤلّفـات حماقـات رقاعـاتهم أنّ لهـا خاصّـية مشـهورة و ذلـك أنّها لا تزال تـدفع الغريق عنـد غرقه و هو يجود بنفسه و تغثّه بإرهاقه و دفعه مرّة وشيله و رفعه تارة الی أن تخرجه الی الساحل أو الماء الرقيق و الناس يكذبون لمّا كانت ذوات الأربع لا تنطق، و ذكر هذا المؤلّف فی

بعض كتبه و غيره أنّ بالإسكندريّة سمكة تعرف بالعروس حسنة المنظر نقشة لذيذة الطعم إذا أكله الإنسان رأى فى منامه كأنّه

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۵۷

يؤتى [إن لم يتناول عليها الشراب أو يكثر من أكل العسل] بل يرى أنّ كثيرا من السودان يفعلون به و رأيتها و أكلتها أنا و جماعة من ذوى التحصيل فشهدوا بكذب هذه الحكاية، (۲۵) و من حدّ هذه البحيرة الى حدّ فلسطين و الشأم أرض رمال كلّها متّصلة حسنة اللون تسمّى الجفار بها نخيل و منازل و مياه مفترشة الرمل غير منفصلة و يتّصل هذا الرمل برمل نفزاوه من أرض المغرب و رمل سجلماسه و يأخذ الى أرض اودغست و ذلك أنّه يأخذ من الجفار مغرّبا عنها مع جبل المقطّم و يمتدّ على ساحل النيل من شرقه و غربه و حيتانه و النيل يشقّه بنواح كثيرة فمنها باهريت و شرونه و بياض وصول و البرنيل و اتفيح و اسكر و الحى الى نواحى بوصير قوريدس واهناس و دلاص و سمسطا و القيس و طحا و الاشمونين فيأخذ على أرض الفيّوم و بحيرة اقنى [۴۷ ظ] و تنهمت و البحيرة فى وسطه و تحت جبال منه فيمضى على بلد الشنوف و يستبطن طريق الباطن و يأخذ على غربىّ عقبة برقة مارّا على الطريق الأعلى و خلف طريق الجادّة و يقع شىء منه الى ساحل بحر برقة [و ينقطع] و لا ينقطع ما على الطريق الأعلى منه حتّى يرد قبلة اجدابيه و سرت فيكون فى وسطه و يأخذ عن الطريق مغرّبا الى صحارى جبل نفوسه و نفزاوه و يرتفع الى لمطه و رمال سجلماسه و يتّصل برمل اودغست المتّصل بالبحر المحيط، و يتّصل رمل الجفار من ناحية القبلة فى نفس البرّ الى ايلة و رمال القلزم و يفترش بالساحل و طريق جادّة مصر و يمضى الى مدينة يثرب ممتدّا على ما جاور أرض لخم و جذام و جهينة و بلىّ و ما دنا من أرض

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۵۸

تبوك و يجتاز بوادى القرى مارّا بديار ثمود مشرّقا الى جبلى طيّء و يتّصل برمل الهبير و رمل الهبير متّصل برمل البحرين و رمال بادية البصرة و عمان الى أرض الشحر و مهرة و جميع أرض الشحر و مهرة رمل من البحر الى الجبل [و يعبر البحر فيكون تجاه الشحر و مهرة من بلاد الزبح رمل كهيئة رمل الشحر] و يحاذى رأس الجمجمة من نواحى حصن ابن عمارة و أرض هرموز، فيمرّ شمالا الى أقاصى خراسان على أعمال الطبسين و هراة و رمال مرو و سرخس و يشرّق بعضه الى أعمال السند و الديبل [و سوبارة] و سندان و صيمور مارّا فى برارىّ الهند الى التبّت و بلاد الصين فيشرع فى البحر المحيط، و جميع الرمل الذى على وجه الأرض متّصل متناسب لا أعرف فيه بلدا رمله ذو فصل إلّا القليل، و كذلك جبال الأرض كلّها متناسبة متّصلة إلّا القليل اليسير منها، و يتّصل حدّ الجفار ببحر الروم و حدّ بالتيه و حدّ بأرض فلسطين من الشأم و حدّ ببحيرة تنّيس و ما اتّصل به من حوف مصر الى حدود القلزم، و بالجفار حيات شبريّة تثب من الرمل الى المحامل و الركّاب على الدوابّ فربّما لسبتهم و آذتهم، (۲۶) و أمّا تيه بنى إسرائيل فيقال إنّ طوله نحو أربعين فرسخا و عرضه قريبا منه و هو أرض فيها رمال و بعضه جلد و به عيون و نخيل مفترشة قليلة و يتّصل حدّ له بالجفار و حدّ له بجبل طور سيناء و ما اتّصل به و حدّ له بأراضى بيت المقدس و ما اتّصل بها من فلسطين و حدّ له ينتهى الى ظهر حوف مصر الى حدّ القلزم، (۲۷) و مدينة الاشمونين و إن كانت صغيرة فهى عامرة ذات نخيل و زروع و يرتفع منها من الكتّان و ثياب منه يجهّز كثير الى مصر و غيرها، و تجاهها من شمال النيل مدينة بوصير و بها قتل مروان بن محمّد الجعدىّ و يقال أنّ سحرة فرعون الذين حشرهم يوم موسى من بوصير،

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۵۹

(۲۸) و مدينة اسوان كثيرة النخيل غزيرة الغلّات من التمور قليلة الزروع و هى أكبر مدن الصعيد، و البلينا و اخميم مدينتان متقاربتان فى العمارة صغيرتان عامرتان بالنخل و الزرع و ذو النون المصرىّ من أهل اخميم و كان بغاية النسك و الورع، و لها جهاز من الكتّان المعمول شقّة و مناديل الى الحجاز و مصر، و بها بربا من أعظم البرابى و أطرفها و هو مخزن لذخائر القوم الذين قضوا من أهل مصر [۴۷ ب] بالطوفان قبل وقته بقرانين و اختلفوا فى مائيّته فقال بعضهم يكون نارا فتحرق جميع ما على وجه الأرض و قال آخرون بل يكون ماء و عملوا هذه البرابى قبل الطوفان و منها بمصر و فى أرضها و صعيدها خاصّة ما لم أر على وجه الأرض لشىء من أبنيتها

شبه رصانـة فی الأحجار و إحكام فی التركيب و هندسة فی الأركان و علوّا فی السـمك الی تصاوير تزيد علی العجب من أنواع لم ير قطّ لها شـبه فی نفس أحجارها قد بتّت فی صخرها و عمدها، (۲۹) و بالفيّوم مدن كبار جليلة و طرز مشـهورة و كور عظام للسلطان و العامّة و فيها من الأمتعة للجلب ما يسـتغنی بشـهرته عن إعادته كاليهنسة المعمول بها السـتور و الاستبرقات و الشرع و الخيام و الأحلّة و الستائر و البسط و المضارب و الفساطيط العظام بالصوف و الكتّان بأصباغ لا تستحيل و ألوان تثبت فيها من صورة البقّة الی الفيل، و لم يزل لأصـحاب الطرز من خـدم السـلطان بها الخلفاء و الأمناء و للتجّار من أقطار الأرض فی اسـتعمال أغراضـهم بها من السـتور الطوال الثمينة التی طول الستر من ثلثين ذراعا الی ما زاد و نقص ممّا قيمة الزوج منها ثلثمائة دينار و ناقص و زائد، و طحا مدينة أيضا فيها غير طراز و منهـا أبو جعفر الطحـاوىّ الفقيه العراقىّ صـاحب كتـاب اختلاف فقهاء الأمصار، و الفيّوم نفسـها مدينـة ذات جانبين علی وادی اللاهون طيّبة فی نفسها كثيرة الفواكه و الخيرات

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۶۰

غير صـحيحة الهواء و لا موافقة للطارئ عليها و لا للغريب النازل بها، و أكثر غلّاتها الأرزّ و إن كانت لا تعدم من أصناف الغلّات شيئا و بظاهرها آثار حسنة و الناحية مسمّاة باسمها، و الفيّوم ناحية كانت فی قديم الأيّام و سالف الزمان عليها سور يشتمل علی جميع أعمالها و يحيط بسائر مدنها و بقاعها و رأيت أكثره من جانب البرّيّة بيّنة أبراجه و قد غلب علی أكثرها الرمل فطمّ منها و منه و سقطت الحاجة اليه بالإسـلام و دخول دولته علی أهله و هـذا السور يعرف بحائـط العجوز و ليس هو مختصّـا بعمـل الفيّوم دون أعمـال النيل الی آخر عمل النوبة بل يحيط بالنيل من نواحی مصر علی جنبتی النيل جميعا الی أعمال النوبة، (۳۰) و الفرما مدينة علی شطّ بحيرة تنّيس و هی مدينـة خصـبة و قـد مرّ شـیء من ذكرها و بها قبر جالينوس اليونانىّ، و من الفرما الی تنّيس فی البحيرة دون الثلاثة فراسخ و هی مدينة كثيرة الرطب جيّدته صالحة الفاكهة كثيرتها ، و بتنّيس تلّان عظيمان مبنيّان بالأموات منضدين بعضـهم علی بعض و يسمّی هذان التلّان بوتوم و يشـبه أن يكون ذلك من قبل أيّام موسـی عليه السلام و بعثه لأنّ أهل مصر فی أيّام موسی كان فی شريعتهم الدفن ثمّ صارت للنصاری و دينهم أيضا الـدفن ثمّ صارت للإسـلام، و عليهم أكفان [۴۸ ظ] من خشن الخيش و عظـامهم و جماجمهم فيها صـلابة الی يومنا هذا، (۳۱) و بالفسطاط قرية تعرف بعين شمس عن شمال الفسطاط و منف فی جنوبیّ الفسطاط واحدة تجاه الأخری و يقال كانا مسـكنين لفرعون و بها آثار عجيبة يتنزّه فيهما و علی رأس جبل المقطّم فی قلّته مكان يعرف بتنّور فرعون يسع خمس مائة كرّ حنطة و هذا من نوع الخرافة و يقال أنّ فرعون كان إذا خرج من أحد المتنزّهين أصـعد فی المكان الآخر من يعادله ليعاين شـخصه بالوهم و لا تفقد هيئته، و فی نيل مصر مواضع لا

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۶۱

يضـرّ فيها التمساح كعدوة بوصـير و الفسـطاط، و لعين شـمس الی ناحية الفسـطاط نبت يزرع كالقضـبان يسـمّی البلسم يتّخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان من الأرض إلّا هناك و يؤكل لحاء هـذه القضـبان فيكون له طعم صالـح و فيه حرارة و حروفة لذيذة، و شبروا ضيعـة فی وقتنـا هـذا جليلـة فی محـلّ مدينـة يعمل فيها شـراب العسل عنـد زيادة النيل فلا يخالط العسل و الماء ثالث من خلط و هـذا الشـراب مشـهور فی جميع الأـرض لـذّته و محـلّ نشوته و خمر رائحته، و الی جانبهـا قريـة تعرف بـدمنهور و يعمل بها بعض ما يعمل بشبروا و جميع مالها للسـلطان، و فاقوس و جرجير مدينتان من أرض الحوف و الحوف ما كان من النيل أسـفل الفسطاط و ما كان من النيـل جنوبيّه يعرف بالريف، و معظم رساتيق مصـر و قراها فی الحوف و الريف، (۳۲) و أهلهـا نصاری قبط و لهم البيع الكثيرة الغزيرة الواسعة و قد خرب منها الكثير العظيم و فيهم قلّة شرّ إلّا مع عمّالهم و المتقبّلين لنواحيهم و كان فيهم أهل يسار و ذخائر و أموال واسعة و صدقات و معروف و أدركت من اليسار فيهم و المعروف منهم علی المسـلمين ما يطول شـرحه و لم يكـ بشیء من البلدان ما يقاربه أو يـدانيه، و من أولاـد القبـط غيلاـن أبو مروان رئيس الغيلانيّـة فرقـة من الشـيعة و آسـية بنت مزاحم و ماريـة أمّ إبراهيم ابن نبيّنا عليه السـلام و هاجر أمّ إسـماعيل بن إبراهيم عليهما السـلم، و ربّما ولـدت المرأة [القبطيّـة الولـدين و الثلاثة و الأربعة فی بطن واحد بحمل

واحد و ليس ذلك] بمكان و لا فى شىء من البلدان و لا ذلك بالخصوص بل ربّما جرى فى السنة دفعات و ذلك أنّ ماءهم على قولهم أنيث يريدون ماء النيل و فيه خاصّيّة لذلك على قولهم، و ممّا يقارب ذلك و ليس بالمنتشر العلم و لا فى جميع الأقطار أنّ غنم تركستان تلد الشاة فى

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۶۲

السنة ستّة و سبعة رؤوس من الحملان و المعز كما تلد الكلبة و أكثر أهل تركستان و بلاد خوارزم يذبحون ما زاد على الاثنين من أولاد الغنم و ينتفعون بجلودها و ذلك أنّ جلودها حمر قانئة الصبغ يباع الجلد منها من ربع دينار الى دينارين و أكثر و أقلّ حسب صبغته و يكون فيها أيضا جلود سود فيبلغ الجلد لنقائه و حلوكته و حسنه الدنانير الكثيرة و ربّما كان فيما ابيضّ من جلودها ما يعمل منه أغشية للسروج فى غاية البياض و له أيضا [۴۸ ب] ثمن صالح و منها مقاربة يباع عشرة جلود بدرهم، و سألت عن علّة ذلك أبا إسحاق إبراهيم بن البتكين الحاجب فقال إنّ أغنامهم ترعى نهارا و تنفش ليلا فقواها زيادة و ما ترعاه صحيح ملائم لها و هذا كما يذكره الخراسانيّون أنّ هواءهم يغذو حيوانهم و يزيد فى صحّتهم و ينقى أبشارهم و يدفع عنهم الأمراض و الأعلال صحّة مياههم و هذا ما لا يحتاجون معه الى دليل غير المشاهدة فإنّها تعرب عن صدقهم و يشهد لهم العيان بذلك، (۳۳) و معادن الذهب فى حدود البجة و مستحقّ المكان من الإقليم الثانى من قسمة الفلك و كذلك التبر فى جميع الأرض فهو بالإقليم الأوّل و الثانى إلّا ما بالجوزجان منه فإنّه شىء تافه يسير و لا أعرف العلّة فيه و يقال أنّ أرض عيذاب من البجة و هى من مدن الحبشة و أرض المعدن مبسوطة لا جبل فيها و هى رمال و رضراض و مجمع تجارات أهل المعدن بالعلاقىّ و ليس للبجة قرى و لا خصب و هم بادية يقتنون النجب و ليس فى النجب أسير من نجبهم و رقيقهم و نجبهم و سائر ما بأرضهم يقع الى مصر فى جملة التجّار المصريّين أو ما قدم به بعضهم، (۳۴) و بمصر بغال و حمير لا يعرف فى شىء من بلدان الإسلام و الكفر

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۶۳

أسير منها و لا أحسن و لا أثمن غير أنّها مخطفة الخلق غير عبلة الأبدان و لا رطبة الجسوم و قد تجلب الى بعض الأماكن فتتغيّر و تمتلئ أبدانها و هى الغاية فى سرعة السير و حسن المشى و الوطأة، و لهم من وراء اسوان حمير صغار فى مقدار الكباش الكبار ملمّعة الجلود يشبه تلميعها جلود البقر و قد يكون منها الأصفر المدنّر و الأشهب المدنّر فتكون فى غاية الحسن و إذا أخرجت من مواضعها و بلادها لم تعش و لهم حمير تعرف بالسفلاقيّة و كانت فرش الصعيد و أرض مصر و البجة فقلّت زعموا أنّ أحد أبويها وحشىّ و الآخر أهلىّ فهى أسير حميرهم، (۳۵) فأمّا ارتفاع مصر وقتنا هذا و ما صارت اليه جباياتها و دخلها فسآتى به و قد ذكرت ذلك فيما سلف [و وقتنا هذا كأرزح الأوقات جباية فإنّه على غاية الصون من دخول المطامع عليه و حذف ما كان يرتفق به الجباة و المقاطعون] و قد جبيت سنة تسع و خمسين و ثلثمائة على يد أبى الحسن جوهر صاحب أهل المغرب و هى السنة الثانية من دخوله اليها ثلثة آلف ألف دينار و فوق أربع مائة ألف دينار، [و ذلك أنّهم كانوا فيما سلف من الزمان يؤدّون عن الفدّان ثلاثة دنانير و نصفا و زائدا عن ذلك القليل الى نقص يسير فقبض منهم فى هذه السنة المذكورة عن الفدّان سبعة دنانير و لذلك ما انعقد هذا المال بهذا الوفور،] و أمّا أخرجة مصر فقبالة تقع على كلّ فدّان مقاطعة و يعطى الأكرة على ذلك مناشير و وثائق لكلّ ناحية على المساحة و الفدّان بشىء معلوم و يؤدّون ذلك نحو ما على ما قدّمت ذكره من الثمن أوّلا ثمّ إتمام الربع ثانيا ثمّ

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۶۴

مطالبة بالثمن الثالث و استيفاء من بعد تمام النصف من مال الخراج فى شهر برموده، و مطالباتهم بالنجوم [۴۹ ظ] ليرتفقوا فى المعاملة بجميل السيرة و لا يلحقهم عنف و لا ينالهم مضايقة و لا رهق من الأذيّة عن سائر ما يزرعونه و ليس هذه سنن إسلاميّة بل هى أوضاع توخّتها الفراعنة ليؤدّى الأكرة من الأرزّ فى الحنطة و الشعير و من الحنطة و الشعير فى القصب و الكتّان،

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۶۵

[الشأم]

(۱) و أمّا الشأم فإنّ غربيّها بحر الروم و شرقيّها البادية من ايلة الى الفرات ثمّ من الفرات الى حدّ الروم و شماليّها بلاد الروم و جنوبيّها مصر و تيه بنى إسرائيل و آخر حدودها ممّا يلى مصر رفح و ممّا يلى الروم الثغور المعروفة كانت قديما بثغور الجزيرة و هى ملطيه و الحدث و مرعش و الهارونيّة و الكنيسة و عين زربة و المصّيصة و اذنه و طرسوس [هذا فى زمانه و أمّا فى زماننا هذا فإنّ شماليّها الى طرف بحر طرابزون و الخزر بيد المسلمين قد افتتح الكثير منها فى تأريخ ثمانين و خمس مائة و الحمد لله ربّ العالمين،] و الذى يلى المشرقىّ و المغربىّ فالنواحى التى قدّمت ذكرها فى تصوير الشأم و فى إعادتها تطويل، (۲) و هذه الصورة التى فى باطن هذه الصفحة صورة الشأم، [۴۹ ب] إيضاح ما يوجد فى صورة الشأم من الأسماء و النصوص، قد كتب فى النصف الأيمن من الصورة موازيا لساحل بحر الروم الساحل و عليه من المدن ابتداء من الأعلى الفرما ، ميماس، تبدا، عسقلان، الماحوز ، يافا، قيساريه، عكا، اسكندريه، صور، عذنون، صرفنده، صيدا، الجيه، الناعمه، بيروت، جونيه، الماحوز ، جبيل، بثرون، انفه، القلمون، اطرابلس، انطرطوس، مراقيه، بلنياس، جبله، اللاذقيه ، فاسره، السويديه، الصخره، الاسكندرونه ، بياس، و فى أسفل الصورة ينصبّ

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۶۶

فى البحر ثلثة أنهار عليها من المدن كفربيا، المصيصه، عين زربه، اذنه، طرسوس، و رسمت فى البحر ثلث مدن و هى الكنيسه، ارسوف، نسدين ، و كتب فى البرّ عن يسار فيساريه و عكا و بينهما حيفه و القصور المضافة الى حيفه، و توازى الساحل سلسلة جبليّة و كتب فى أعلى الساحة التى بينها و البحر نواحى مصر و مغرب الشام و بلد فلسطين و فى هذا القسم مدينتا الرمله و كفر سابا ، ثمّ يليهما الى الأسفل اتّصالا للجبل بانياس، اقذار، عرقه، حصن برزويه، بغراس، الهارونيه، الكنيسه، و بين حصن برزويه و الصخرة نهر و كتب فى أسفل هذا القسم شمال الشام، و كتب فى الجانب الأيسر من الجبل عند أعلاه جبل طور سينا و عن يسار ذلك تيه بنى اسرائيل، و عن يسار ذلك مدينة القلزم و بحر القلزم و من أسفل ذلك جنوب الشام، و كتب من طرفى هذا القسم الأعلى من الجبل آخر مخطوط فلسطين و فيه مدينتا بيت ابراهيم و بيت المقدس و من أسفلهما نابلس، ثمّ بحيرة طبريه و نهر الاردن الذى يفضى الى بحيرة زغر و عليها مدينة زغر، و كتب عند الجبل فيما يسامت بانياس جبل لبنان و تقابله فى البرّ مدينة دمشق و بين دمشق و زغر من المدن البلقا، رقم، رواث، و كتب عند القسم الأوسط من الجبل جبل بهرا و هنا مدينة حمص و بين حمص و دمشق طريق عليه من المدن جوسيه، اللبوه، بعلبك، الزبدانى، و من أسفل حمص مدينة فاميه، ثمّ كتب عند القسم التالى من الجبل جبل السماق و قرب ذلك مدينة انطاكيه و يأخذ منها طريق الى حلب ثمّ الى بالس على نهر الفرات، و على الطريق من حلب الى حمص من المدن قنسرين، كفرطاب، شيزر، حماه، و بين شيزر و انطاكيه مدينتا معره النعمن و معره مصرين، و كتب على خطّ مستطيل من بالس الى القلزم حدّ الشام و عليه من المدن الرصافه، الخناصره، تدمر، سلميه، معان، و تحت الخطّ هذه صورة الشام و ذلك عنوان الصورة و عن يسار ذلك نواحى ديار العرب و البادية، و على نهر الفرات من جانبه الأيسر الرافقه، الرقه، الجسر، جربلص و كتب وراء ذلك مشرق الشام، و بين حلب و جربلص مدينه منبج ثمّ على ضفّة الفرات من هذا الجانب سميساط، ملطيه و عن يمينهما شمشاط، و يأخذ من شمشاط طريق الى الجبل و عليه

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۶۸

دلوك ، رعبان ، مرعش، بوقا و أسفل بوقا مدينة الحدث، و اسم الجبل فى هذا القسم جبل اللكام ثمّ كتب فى أسفل الصورة نواحى بلد الروم، (۳) [۵۰ ظ] قد جمعت الثغور الى الشأم و بعض الثغور كانت تعرف بثغور الشأم و بعضها تعرف بثغور الجزيرة و كلّها من الشأم و ذلك أنّ كلّما كان وراء الفرات فمن الشأم و إنّما سمّى من ملطيه الى مرعش ثغور الجزيرة لأنّ أهل الجزيرة بها كانوا يرابطون و يغزون لا أنّها من الجزيرة و أعمالها، و كور الشأم فهى جند فلسطين و جند الأردنّ و جند دمشق و جند حمص و جند قنّسرين و

العواصم و الثغور، و بين ثغور الشأم و ثغور الجزيرة جبل اللكام و هو الفاصل بينهما و جبل اللكام جبل داخل فى بلد الروم و متّصل بجميع جبال بلاد الروم [و يقال أنّه ينتهى الى حدّ مائتى فرسخ] و يظهر فى الإسلام ما ظهر منه بين مرعش و الهارونيّة و عين زربة فيسمّى اللكام الى أن يجاوز اللاذقيّة ثمّ يسمّى جبل بهراء و تنوخ الى حمص ثمّ يسمّى جبل لبنان ثمّ يمتدّ على الشأم حتّى ينتهى الى بحر القلزم من جهة و يتّصل بالمقطّم من أخرى، (۴) و هو جبل على وجه الأرض أوّله بالمشرق من بلد الصين خارجا من البحر المحيط على و خان من نواحى خمدان فيقطع بلاد التبّت [لا- فى وسطها بل] على مغاربها و مشارق بلاد الخرلخيّة الى أن يأتى من حدود الإسلام فرغانه فتمرّ منه قطعة الى الجنوب من فرغانه و قطعة الى الشمال و يمرّ صدر هذا الجبل على فرغانه الى جبال البتم و على جنوب اشروسنه فتكون جبال البتم منه و شرب سمرقند و مياهها منه ثمّ يأخذ الى سمرقند من جنوبها أيضا فيمرّ الى نسف على شمال السغد الى كش و نسف و نواحى صورة الأرض ؛ ج۱ ؛ ص۱۶۸

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۶۹

زم فيقطعه نهر جيحون و يمضى فى وسطه بين شعبتين منه و كأنّه قطع ليستمرّ الماء فى وسطه و يجتاز على البلاد التى هندس مضيّه اليها و يستمر الجبل الى الجوزجان و يأخذ على الطالقان الى أعمال مرو الروذ الى طوس فيكون جميع مدن طوس فيه و منه الى نيسابور و يكون نيسابور فى سفحه على غربه و هو شرقها و يتّصل به جبال جرجان و طبرستان الى الرىّ من شماله و هو آخذ من نيسابور الى الرىّ عن يمين القاصد من خراسان الرىّ فيكون الرىّ فى سفحه و من غربيّه و يتّصل من هناك بجبال الجيل و الديلم و بجبال اذربيجان و القبق و اللّان و بلد الروم و يتّصل من جنوبه بجبال اصبهان و شيراز الى أن يصل الى بحر فارس و لا يزال يساير الطالب من الرىّ العراق عن يمينه الى حلوان على همذان و قرميسين و حلوان أوّل حدود العراق و ينعطف هذا الجبل عن فرسخ من حلوان عن طريق العراق عادلا عن سمت المغرب الى الشمال فيمضى على سهرورد و شهرزور الى أن يأتى الى دجلة بنواحى تكريت فيكون منه جبل بارمّا الذى عن شرقىّ دجلة و جبل الشقوق الذى عن غربيّها و يصعد من ناحية بارمّا فيكون منه جبلا زينا و زامر اللذان [۵۰ ب] فى شرقىّ حديثة الموصل و يمرّ على حياله يساير دجلة فمرّة يقرب و تارة يبعد الى الجبل المعروف من فيشابور بجبل ثمنين الى جبل الجودىّ مارّا الى آمد و ينشعب منه جبال الداسن و جبال ارمينيه الخارجة [المتّصلة] بجبال ارمينيه الداخلة التى اتّصلت بجبال اذربيجان و طبرستان و هى جبال تتّصل بجبل القبق من باب الأبواب فى شمال بحيرة الخزر الى بلاد ياجوج و ماجوج، و لا يزال هذا الجبل يستمرّ من أعمال آمد [و ميّافارقين] و نواحى دجلة الى الفرات فيكون سميساط فيه و يتّصل بحدود مرعش التى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۷۰

ما ابتدأت ذكره منها الى أن وصّلته الى بيت المقدس من جبل لبنان، ثمّ يمرّ على يسار الذاهب من الرملة الى الفسطاط الى المقطّم و لا- يزال الى آخر الصعيد الأعلى و يتّصل بجبال النوبة من جنبتى النيل الى قلعيب من جانب النيل الشرقىّ و الى جبل القمر من جانب النيل الغربىّ و يقطع النيل شعبتين منه بنواحى الفيّوم و ليست بمضيق كالمضيقين اللذين ذكرتهما للنيل بأعلى الصعيد تجاه بحيرة اقنى و تنهمت فيمضى الشعبة الغربيّة بين الباطن و ظاهر الشنوف الى جبل برقة و تكون عقبة برقة التى فى مغرب رمادة منه و لا يزال ماضيا فى وسط البرّ يراه من أخذ الطريق العالية الى قبلة برقة و يمتدّ على حاجز أعمال أجدابيه و سرت على صدر جبل نفوسه فيصير عند بلوغه الى نفزاوه جبال رمال سامقة شاهقة لا تتوقّل و لا تصعد إلّا بشدّة و يضرب عرق منه من جبل برقة فى باطن البرّ الى فزان و على زويله راجعا الى القبلة، ثمّ لا يزال هذا الجبل يظهر فى مواضع مستحجرا و فى مواضع جبال رمل و دهس الى سجلماسه و يغوص فى تلك البرارىّ على ما ذكر سالكوها الى اودغست و البحر المحيط و أظنّه كقولهم و لم أشاهده بكلّيته و شاهدت البعض منه كما يوجبه ما تواطأت عليه الأخبار من ثقات أهل الناحية و رؤساء الأدلّاء بها و فيها و سائر ما وصلته من أخباره و قصصته من أنبائه و آثاره فبالمشاهدة منّى لذلك و المعاينة لأشكالها، (۵) و أمّا جند فلسطين و هو أوّل أجناد الشأم ممّا يلى المغرب فإنّه تكون مسافته للراكب طول يومين من رفح الى حدّ اللجون و عرضه من يافا الى ريحا مسيرة يومين، و نواحى زغر و ديار قوم لوط و الشراة و الجبال

فمضمومة الى هذا الجند و هى منها فى العمل الى ايلة، و ديار قوم لوط و البحيرة الميّتة و زغر الى بيسان و طبريّة يسمّى الغور لأنّها بين جبلين و سائر مياه بلاد الشأم يقع اليها و بعضها من الاردنّ و بعضها من فلسطين،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۷۱

و نفس فلسطين هو ما ذكرته و مياه فلسطين من الأمطار و الطلّ و أشجارها و زرعها أعذاء بخوس لا سقى فيها إلّا نابلس [۵۱ ظ] فيها مياه جارية، و فلسطين أزكى بلدان الشأم ريوعا و مدينتها العظمى الرملة و بيت المقدس تليها فى الكبر و هى مدينة مرتفعة على جبال يصعد اليها من كلّ مكان يقصدها القاصد من فلسطين و ببيت المقدس مسجد ليس فى الإسلام مسجد أكبر منه و له بناء فى قبلته مسقّف فى زاوية من غربىّ المسجد و يمتدّ هذا التسقيف على نصف عرض المسجد و الباقى من المسجد خال لا بناء فيه إلّا موضع الصخرة فإنّ هناك حجرا مرتفعا كالدكّة عظيم كبير غير مستو و على الصخرة قبّة عالية مستديرة الرأس قد غشّيت بالرصاص الغليظ السمك و ارتفاع هذه الصخرة من الأرض التى تعرف بصخرة موسى تحت هذه القبّة الى صدر القائم و طولها و عرضها متقارب و عليها حصار حائط ملوّح و يكون نصف قامة و مساحة الحجر بضع عشرة ذراعا فى مثلها و ينزل الى باطن هذه الصخرة بمراق من باب يشبه السرداب الى بيت يكون طوله نحو خمس أذرع فى عشر لا بالمرتفع و لا بالمستدير و لا بالمربّع و سمكه فوق القامة، و ليس ببيت المقدس ماء جار سوى عيون لا ينتفع الرزوع بها و عليها شجيرات و هى من أخصب بلاد فلسطين على مرّ الأوقات، و فى سورها موضع يعرف بمحراب داؤود النّبىّ عليه السلم و هو بنية مرتفعة ارتفاعها نحو خمسين ذراعا من حجارة و عرضها نحو ثلثين ذراعا بالحزر و بأعلاه بناء كالحجرة و هو المحراب الذى ذكره الله تعالى بقوله و هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب، و إذا وصلت الى بيت المقدس من الرملة فهو أوّل ما يلقاك و تراه من بيت المقدس و بمسجدها لعامّة الأنبياء آثار و محاريب معروفة، و لبيت المقدس بناحيه الجنوب منه على ستّة أميال قرية تعرف ببيت لحم و بها مولد عيسى عليه السلم و يقال أنّ

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۷۲

فى بيعة منها بعض النخلة التى أكلت منها مريم و هى مرفوعة عندهم يصونونها، و من بيت لحم على سمته أيضا فى الجنوب مدينة صغيرة كالقرية تعرف بمسجد إبراهيم عليه السلم و بمسجدها المجتمع فيه للجمعة قبر إبراهيم و إسحاق و يعقوب عليهم السلم صفّا و كلّ قبر من قبورهم تجاهه قبر امرأة صاحبه و هذه المدينة و الناحية فى وهدة بين جبال كثيفة الأشجار، و أشجار هذه الجبال و أكثر جبال فلسطين زيتون و تين و جمّيز الى سائر الفواكه و الفواكه أقلّها و يرى أهل مصر أنّها مضافة اليهم ، و نابلس مدينة السامريّة و يزعم أهل بيت المقدس أن ليس بمكان من الأرض سامرىّ إلّا منها أصله و بالرملة منهم نحو خمس مائة مجزىّ ، و آخر مدن فلسطين ممّا يلى جفار مصر مدينة يقال لها غزّة و بها قبر أبى نضلة هاشم بن عبد مناف سيّد قريش أجمع و بها مولد محمّد بن إدريس الشافعىّ أبى عبد الله الفقيه النبيل رحمه الله [و قبره بالفسطاط] و منها أيسر عمر بن الخطّاب فى الجاهليّة لأنّها كانت مستطرقا لأهل الحجاز و كان عمر بها مبرطسا، [۵۱ ب] و بفلسطين نحو عشرين منبرا على صغر موقعها و لا أحيط بأجمعها و هى من أخصب البلاد و اليها أشار الله تعالى اسمه بقوله فى البركة سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، (۶) و الذى أدركت عليه عقود فلسطين و الأردنّ أيّام أبى المسك كافور رحمه الله و المتّلى لها من قبله فى سنى سبع و ثمان و تسع و ثلثين الى سنى ثمان و تسع و أربعين حينا محلولة و حينا معقودة أبو منصور أحمد بن

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۷۳

العبّاس بن أحمد و أبو عبد الله بن مقاتل و أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق و قد عقدت على خزرون حينا بخمس مائة ألف دينار، و كذلك جند دمشق فعقدت على خزرون و على أبى الحسن علىّ بن محمّد بن جانى و على ابن مالك فكانت تكون فى يد كلّ واحد منهم سنين بخمس مائة ألف دينار، و كان كافور له فى تغطرسه منزلة لا يزيد عليها و هو أن إذا عقد على بعض عمّاله أو ألجأ عليه شيئا من أعماله طالبه قبل وجوب المال عليه بشىء منه على طريق القرض منه و كانوا بحسن نظره لهم أغنياء أملياء و يحتسب بذلك

لهم ممّا تحت أيـديهم و يجب عليهم، و لم يعقـد بمصـر فى وقته على أحـد من أوليائه عقد تدبير إلّا و ربح فيه مثله من حيث يعلمه و يتقرّره و يقول إذا لم يختصّ الأولياء بـالنعم صـارت الى الأعـداء عنـد الأخـذ بالكظم فهم صـنائعى و أولادى، (۷) و الجبال و الشـراة فناحيتان متميّزتان أمّا الشـراة فمـدينتها اذرح و الجبال مـدينتها رواث و هما بلـدان فى غايـة الخصب و السـعة و عامّـة سـكّانهما العرب متغلّبون عليها، (۸) و أمّا الأردنّ فمدينتها الكبرى طبريّة و هى على بحيرة غذبة الماء طولها اثنا عشـر فرسـخا فى عرض فرسخين أو ثلثة و بها عيون جارية حارّة و مستنبطها على نحو فرسـخين من المدينة فإذا انتهى الماء الى المدينة على ما دخله من الفتور بطول السير إذا طرحت فيه الجلود تمعّطت لشـدّة حرّه و لا يمكن استعماله إلّا بمزاج و يعمّ هـذا المـاء حمّامـاتهم و حياضـهم، و الغور مع أوّل هـذه البحيرة ثمّ يمتـدّ على بيسـان حتّى ينتهى الى زغر و يرد البحيرة الميّتـة و الغور مـا بين جبلين غائر فى الأرض جـدّا و به فاكهـة و أب و نخيل و عيون و أنهار و لا يسـقط به الثلوج و بعض الغور من حـدّ الأردنّ الى أن يجاوز بيسان فإذا جاوزه كان من حـدّ فلسـطين و هذا البطن إذا امتدّ فيه السائر أدّاه الى ايلة، و كأنّ الغور من بين البلاد لحسنه و تبدّد

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۷۴

نخيله و طيبه ناحيـة من نواحى العراق الحسـنة الجليلة، و مدينة صور من أحصن الحصون التى على شطّ البحر عامرة خصـبة و يقال إنّه أقدم بلد بالساحل و إنّ عامّة حكماء اليونانيّة منها، و بالأردنّ كان مسـكن يعقوب النّبىّ عليه السـلم و جبّ يوسف على اثنى عشـر ميلا من طبريّة ممّا يلى [۵۲ ظ] دمشق و جميع مياه طبريّة فمن بحيرتها، (۹) و أمّا جند دمشق فقصبتها دمشق و هى أجلّ مدينة بالشأم فى أرض مستوية قـد دحيت بين جبـال تحتفّ بهـا الى ميـاه كثيرة و أشـجا و زروع قـد أحاطت بها متّصـلة و تعرف تلك البقعـة بالغوطة عرضـها مرحلـة فى مرحلتين و ليس بالشأم مكان أنزه منها و مخرج مائها من تحت بيعـة تعرف بالفيجـة [مع ما يأتى اليه من عين بردى من جبل سـنير] و هو أوّل ما يخرج مقـدار ارتفاع ذراع فى عرض باع ثمّ يجرى فى شـعب تتفجّر فيه العيون فيأخـذ منه نهر عظيم أجراه يزيـد بن معويـة يغوص الرجل فيه عمقا ثمّ ينبسط منه نهر المزة و نهر القناة و يظهر عنـد الخروج من الشـعب بموضع يقال له النيرب و يقـال أنّه المكان الـذى عناه الله تعالى [بقوله] و آويناهما الى ربوة ذات قرار و معين ثمّ ينقل من هـذا الماء عمود النهر المسـمّى بردا و عليه قنطرة فى وسط مدينة دمشق لا يعبره الراكب غزر ماء و كثرة فيفضى الى قرى الغوطة و يجرى الماء فى عامّة دورهم و سككهم و حمّاماتهم، و بها مسـجد ليس فى الإسـلام أحسن منه و لا أتقن بقعـة فأمّا الجـدار و القبّـة التى فوق المحراب عنـد المقصورة فمن أبنية الصابئين و كان مصـلّاهم ثمّ صار فى أيدى اليونانيّين و كانوا يعظّمون فيه دينهم ثمّ صار لليهود و ملوك من عبدة الأصنام و الأوثان و قتل فى ذلك

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۷۵

الزمان يحيى بن زكريّاء عليهما السـلم فنصب رأسه على باب هـذا المسـجد المسـمّى باب جيرون ثمّ تغلّبت عليه النصارى فصارت فى أيـديهم بيعـة لهم يعظّمون فيهـا دينهم حتّى جـاء الإسـلام فصار المكان للمسـلمين و اتّخـذوه مسـجدا و على باب جيرون نصب رأس الحسـين بن علىّ بالموضع الذى نصب فيه رأس يحيى بن زكريّاء عليهم أجمعين السـلم، فلمّا كان فى أيّام الوليد بن عبد الملك عمره فجعل أرضه رخاما مفروشا و جعل وجه جـدرانه رخاما مجزّعا و أساطينه رخاما موشّـى و معاقـد رؤوس أساطينه ذهبا و محرابه مذهّب الجملة مرصّعا بالجواهر، و دور السقف كلّه ذهب مكتّب كما يطوّق ترابيع جدار المسجد و يقال إنّه أنفق فيه وحده خراج الشأم سنين، و سـطحه رصاص فإذا أرادوا غسـله بثقوا الماء اليه فـدار على رقعـة المسـجد بأجمعه حتّى إذا فجر منه انبسط عنه و عن جميع الأركان بالسويّـة و كان خراج الشأم على عهـد بنى مروان ألف ألف دينار و فوق ثمان مائـة ألف دينار، و من حـدّ دمشق بعلبك و هى مـدينة على جبل و عامّـة أبنيتها من حجارة و بها قصور من حجارة قـد بنيت على أساطين شاهقة و ليس بأرض الشأم أبنية حجارة أعجب و لا أكبر منها، و هى مدينـة كثيرة الخير و الغلّات و الفواكه الجيّـدة بيّنـة الخصب و الرخص و هى قريبـة من مدينة بيروت التى على ساحل بحر الروم و هى فرضـتها و ساحلها و بها يرابط أهل دمشق و سائر جنـدها و ينفرون اليهم عند [۵۲ ب] استنفارهم و ليسوا كأهل دمشق

فی جساء الأخلاق و غلظ الطباع و فیهم من إذا دعی الی الخیر أجاب و أصغی و إذا أیقظه الداعی أناب، و لنفس دمشق خاصّیّة بطالعها المحیل بطاعتها الی الخلاف و سمعت عبد الله بن محمّد القلم یقول فی برج الأسد

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۷۶

فساد باعوجاج فی درج منه مع شرفه و محلّه و قلّما کان به من بلد أو أوجب له من تربیع و مقابلة لتلک الدرج سبب بنحس و حکم فصفت طاعته و استقامت و ذکر أشیاء فی حکم سمرقند و اردبیل و مکّة و دمشق و صقلّیه و قال لا تصلح لسلاطینها و لا تستقیم لملوکها إلّا بالسیف و أکثر أهل هذه المدن فالغدر أثبت فی نفوسهم و الشرّ أشمل الأحوال علیهم، و ببیروت هذه کان مقام الأوزاعیّ و بها من النخیل و قصب السکّر و الغلّات المتوافرة و تجارات البحر علیها دارّة واردة و صادرة و هی مع حصنها حصینة منیعة السور جیّدة الأهل مع منعة فیهم من عدوّهم و صلاح فی عامّة أمورهم، (۱۰) و أمّا جند حمص فإنّ مدینتها حمص و هی فی مستواة خصبة أیضا و کانت أیّام عمارتها صحیحة الهواء [من أصحّ بلدان الإسلام تربة] و کان فی أهلها خبال و یسار فدخلها الروم غیر دفعة فأحالوها و لیس بها عقارب و لا حیّات و إذا أدخلت الحیّة و العقرب الیها ماتت و لها میاه و أشجار و کانت کثیرة الزرع و الضرع و کانت أکثر زروع رساتیقها بخوسا أعذاء، و بها بیعة بعضها مسجد الجامع و شطرها للنصاری فیه هیکلهم و مذبحهم و بیعتهم من أعظم بیع الشأم، و دخلها الروم وقتنا هذا فأتوا علی سوادها و أخربوها، و جمیع طرق حمص من أسواقها و سککها مفروشة بالحجارة مبلّطة و قد زاد اختلالها بعد دخول الروم الیها و انصراف سلطانها عنها [ثمّ إنّ قوما استوطنوا ممّن سلم من الروم] و قد أتت البادیة علی ظاهرها و رساتیقها و ما أظنّ الروم ترکت بها رمقا لما بعد، و انطرطوس حصن

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۷۷

علی البحر ثغر لأهل حمص فیه مصحف عثمن بن عفّان و علیه سور من حجارة یمنع أهلها من بادیة و قصدها من الروم استباحة و قد نجوا غیر مرّة من الروم لقلّة اکتراثهم بما فی البلد و رزوح حال أهله و لم یقف نقفور علیه لهذا من سبب، و شیزر و حماة مدینتان صغیرتان نزهتان کثیرتا المیاه و الشجر و الزرع و الفواکه و الخضر حصینتان فی ذاتهما لذاتهما، (۱۱) و جند قنّسرین فمدینتها حلب و کانت عامرة غاصّة بأهلها کثیرة الخیرات علی مدرج طریق العراق الی الثغور و سائر الشأمات و افتتحها الروم [و کان الروم قد افتتحها فی تأریخ ثلثمائة و نیّف و سبعین] مع سور علیها حصین من حجارة لم یغن عنهم من العدوّ شیئا بسوء تدبیر سیف الدولة و ما کان به من العلّة فأخرب جامعها و سبی ذراریّ أهلها و أحرقها، و لها قلعة غیر طائلة و قد عمرت وقتنا هذا و لجأ الیها فی وقت فتح حلب قوم فنجوا ، و هلک بحلب [۵۳ ظ] وقت فتحها من المتاع و الجهاز للغرباء و أهل البلد و سبی منها و قتل من أهل سوادها ما فی إعادته علی وجهه إرماض لمن سمعه و وهن علی الإسلام و أهله، و کان لها أسواق حسنة و حمّامات و فنادق کثیرة و محالّ و عراص فسیحة و مشایخ و أهل جلّة، [و هی الآن فی زماننا و هو تأریخ نیّف و سبعین و خمس مائة للهجرة أحسن ممّا کانت قدیما و أکثر عمارة مأهولة بالمشائخ و الرؤساء و أمّا قلعتها فهی حصینة منیعة فی غایة الإحکام لا یقدر علیها،] و هی الآن بخسّة أمیرها و دناءة نفسه مملوکة من جهتین إحداهنّ أنّها فی قبضة الروم مجزیّة یؤدّی کلّ إنسان عن داره و دکّانه جزیة و الثانیة أنّ أمیرها إذا وردها متاع من خسیس و نفیس اشتراه من جالبها و باعه هو لأهلها علی أقبح صورة و أخسّ جهة و ما یستثار بها من خلّ و صابون فهو یعمله و یبیعه و لیس بها مبیع و لا مشتری

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۷۸

إلّا و له فیه مدخل قبیح، و شرب أهلها من نهر بها یعرف بأبی الحسن فویق و فیه قلیل طفس و لم تزل أسعارها فی الأغذیة قدیما و جمیع المآکل و المشارب واسعة رخیصة [و علیهم الآن للروم فی کلّ سنة قانون یؤدّونه و ضریبة تستخرج من کلّ دار و ضیعة معلومة] و کأنّ الهدنة التی هم فیها مع الروم محلولة معقودة لأنّ الأمر فی حلّها و عقدها الی الروم و إن کانت أحوالها کالمتماسکة و الأمور التی تجری معهم کالراخیة فلیست فی جزء من عشرین جزء ممّا کانت علیه و فیه فی قدیم أوقاتها و سالف أیّامها، و قنّسرین مدینة

تنسب الكورة اليها و هى من أضيق تلك النواحى بناء و إن كانت نزهة الظاهر مغوثة فى موضعها بما بها من الرخص و السعة فى الخيرات و المياه [فاكتسحتها الروم فكأنّها لم تكن إلّا بقايا دمن فديتها من دمن] ، و معرّة النعمن مدينة هى و ما حولها من القرى أعذاء ليس بجميع نواحيها ماء جار و لا عين و كذلك جميع جند قنّسرين أعذاء و شربهم من ماء السماء و هى مدينة كثيرة الخير و السعة فى التين و الفستق و ما شاكل ذلك من الكروم و الأزبّة، و بينها و بين جبلة المدينة التى كانت على ساحل بحر الروم [....] و كان رؤساؤها بنى وزير فافتتحها نقفور و سبى منها خمسة و ثلثين ألف مرأة و صبىّ و رجل بالغ بلقاء العدوّ و يمانع عن نفسه، و حصن برزويه و هو حصن حصين و حجر منيع وقف عليه الروم غير وقت فاستحسنوه و لم يتعرّضوه ثمّ هادنوا أهله خوفا ممّا علق ببلاد

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۷۹

المسلمين من الخذلان و هلاك السلطان و قلّة الإيمان و إن بقيت الحالة على ما نحن به فالأمر سهل و المخوف المتوقّع أعظم و أجلّ و كأنّ الناس وقتنا هذا فى شغل بأحزانهم عن ذكر سلطانهم و هلاك أديانهم و خراب أوطانهم و فساد شأنهم عن برزويه و حصنه و قد ملكه الروم وقتنا هذا و كأنّنا بآمد و قد [قيل أسلمه أهله] ، و كانت جزيرة قبرس تحاذى جبلة فى وسط البحر الرومىّ و بينهما مجرى يوم و ليلة و كانت للروم و المسلمين فاستخلصها الروم و استصفوها بأمور أكثر ضررها من المسلمين جرى و عن تفريطهم حدث، و الخناصرة و هى حصن يحاذى قنّسرين الى ناحية البادية و على شفيرها و سيفها كان يسكنه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه و كانت صالحة فى قدرها مغوثة للمجتازين عليها فى وقتنا لأنّ الطريق انقطع فى غير وقت من بطن الشأم على التجّار باعتراض السلطان عليهم و بما سرح الروم بالشأم فى غير وقت فلجؤا الى طريق البادية لبوار السلطان و استيلاء الأعراب على الولاة و خفروا و ساروا بالأدلّاء و عن قريب [۵۳ ب] يكفّ التجّار فقرهم و تنقطع سابلتهم و طرقهم، (۱۲) و العواصم اسم الناحية و ليس بمدينة تسمّى بذلك و قصبتها انطاكية و كانت بعد دمشق أنزه بلاد الشأم و عليها الى هذه الغاية سور من صخر يحيط بها و بجبل مشرف عليها فيه لهم مزارع و مراع و أشجار و أرحية و ما يستقلّ به أهلها من مرافقها و يقال أنّ دور السور للراكب يوم و لهم مياه تجرى فى أسواقهم و دورهم و سككهم و مسجد جامعهم و كان لها ضياع و قرى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۸۰

و نواح خصبة حسنة فاستولى عليها العدوّ و ملكها و قد كانت اختلّت قبيل افتتاحها فى أيدى المسلمين و هى الآن أشدّ اختلالا و رزوحا و فتحها الروم فى أوّل سنة تسع و خمسين فما اضطرب فيها من قطع شعرة للروم و لا توصّل فى نصرتها برأى صحيح و لا مشلوم و بجوارها من السلاطين و البوادى و القروم و الملوك من قد أشغله يومه عن غده و حرامه و حطامه عمّا أوجب الله تعالى و السياسة و الرياسة عليه فهو يلاحظ ما فى أيدى تجّار بلده و يشتمل عليه ملك رعيّته ليوقع الحيلة على أخذه و الشبكة على صيده و الفخّ على ما نصب له ثمّ لا يمتّع به فيسلب عمّا قريب ما احتقب من الحطام و جمع من الآثام ، [فاستولى على أكثر نواحيها المسلمون منذ ملكها و ذلك فى السنة الثامنة و التسعين و أربعمائة للهجرة،] (۱۳) و مدينة بالس مدينة على شطّ الفرات من غربيّه صغيرة و هى أوّل مدن الشأم من العراق و كان الطريق اليها عامرا و منها الى مصر و غيرها سابل و كانت فرضة لأهل الشأم على الفرات فعفت آثارها و درست قوافلها و تجّارها [بعد سيف الدولة] و هى مدينة عليها سور أزلىّ و لها بساتين فيما بينها و بين الفرات و أكثر غلّاتها القمح و الشعير و يعمل بها من الصابون الكثير الغزير، [و من مشهور أخبارها أنّ المعروف بسيف الدولة علىّ بن حمدان عند انصرافه عن لقائه صاحب مصر و قد هلك جميع جنده أنفذ اليها المعروف بأبى حصين القاضى فقبض من تجّار كانوا بها معتقلين عن السفر و لم يطلق لهم النفوذ مع خوف نالهم فأخرجهم عن أحمال بزّ و أطواف زيت الى ما عدا ذلك من متاجر الشأم فى دفعتين بينهما شهور قلائل و أيّام يسيرة ألف ألف دينار،] و بالقرب من بالس مدينة منبج و هى مدينة خصبة حصينة و كثيرة الأسواق الأزليّة عظيمة الآثار الروميّة و لها من ناطف الزبيب المعمول بالجوز و الفستق و السمسم ما لم أر له شبها

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۸۱

إلّا ما ببخارا منه فإنّه يزيد عليه فى الحلاوة و يجعل البخاريّون فيه الطيب على العموم فهو لذيذ و بمنبج من الكروم الأعذاء على وجه الأرض فى سائر ضياعها ما يزيد على الكثرة و يحمل أزبّتهم الى حلب و غيرها و هى مدينة برّيّة و أرض ثريّة حمراء خلوقيّة الغالب على مزارعها البخوس و عليها سور أزليّ، و بقربها مدينة سنجة و هى مدينة صغيرة بقربها قنطرة حجارة تعرف بقنطرة سنجة ليس فى الإسلام قنطرة أعجب و لا أعظم منها و يضرب بها المثل فيقال من عجائب الدنيا كنيسة الرها و قنطرة سنجة ، و مدينة سميساط على نفس الفرات و تقارب المدينة المسمّاة جسر منبج و هما مدينتان صغيرتان حصينتان لهما سقى كبير من مياه بهما و زروعهم بخوس و ماؤهما من الفرات، (۱۴) و كانت مدينة ملطيه مدينة كبيرة من أجلّ الثغور و أشهرها و أكثرها سلاحا و أجلدها رجالا دون جبل اللكام الى ما يلى الجزيرة و تحتفّ بها أيضا جبال كثيرة بها مباح الجوز و اللوز و الكروم و الرمّان و سائر الثمار الشتويّة و الصيفيّة و هى مباحة لا مالك لها و هى من أقوى بلد للروم فى هذا الوقت [۵۴ ظ] يسكنها الأرمن و فتحت فى سنة تسع عشرة و ثلثمائة فكانت أوّل مصيبة دخلت على الإسلام من جهة الثغور ثمّ انثالت المصائب على الناس فى ثغورهم و أنفسهم و أموالهم و أسعارهم و أبشارهم و سلاطينهم فنسيت ، و كانت المدينة المعروفة بحصن منصور صغيرة حصينة فيها منبر و لها رستاق و قرى برسمها أعذاء فاستأثر القضاء بهلاكها على أيدى بنى حمدان و الروم، و كانت الحدث و مرعش مدينتين صغيرتين افتتحهما الروم قبل هذا الحين و أعادهما سيف الدولة علىّ بن عبد الله

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۸۲

و عاد الروم فانتزعوهما ثانيا من المسلمين [و عاد المسلمون فتحوها و كان فتحها مسعود بن قلج ارسلان السلجوقىّ صاحب بلاد الروم سنة خمس و أربعين و خمسمائة و هى بيد المسلمين الآن] و كان لهما زروع و أشجار و فواكه و كانتا ثغرين يرابط فيهما المسلمون و يجاهدون فيغنمون فساءت النيّات و فتحت الأعمال و ارتفعت البركات و لجّ الملوك فى الاستئثار بالأموال و العامّة فى المعاصى على الإضرار فهلك العباد و تلاشت البلاد و انقطع الجهاد و بذلك نطق وحيه تعالى إذ يقول و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها الآية ، و كانت الهارونيّة من غربىّ جبل اللكام و فى بعض شعابه حصنا صغيرا بناه هرون الرشيد و أدركته فى غاية العمارة و أهله فى جهادهم فى نهاية الجلد و الشطارة يغزون فيغنمون و يتلصّصون على بلد الروم فيسلمون و قد ملكه الروم، و كانت الإسكندرونة أيضا حصنا على ساحل بحر الروم ذا نخيل و زروع كثيرة و غلّة و خصب فدخله العدوّ و ملكه فهوّله، و كذلك التينات حصن كان على شطّ البحر فيه مقطع لخشب الصنوبر الذى كان ينقل الى الشأم و مصر و الثغور منه ما لا يحصى و كان فيه رجال قتّال أجلاد لهم علم بمضارّ بلد الروم و معرفة بمخائضهم و مهالكهم، و كانت الكنيسة أيضا حصنا فيه منبر ثغر فى معزل من ساحل البحر يقارب حصن المثقّب الذى كان استحدثه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه و عمره و كان فيه منبره و مصحفه بخطّه و سكّانه قوم سراة من ولد عبد شمس اعتزلوا الدنيا و رفضوا المكاسب و كان لهم ما يقوتهم من المباح فهلكا جميعا، و كانت عين زربة بلدا يشبه مدن الغور به النخيل و الخصب و السعة فى الثمار و الزرع و هى المدينة التى كان وصيف الخادم همّ بالدخول منها الى بلد الروم فأدركه المعتضد بها و كانت حسنة الداخل و الخارج نزهة من داخل سورها جليلة فى جميع أمورها،

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۸۳

(۱۵) و كانت المصيّصة مدينتين إحداهما تسمّى المصّيصة و الأخرى كفربيا على جانبى جيحان و بينهما قنطرة حجارة و كانتا حصينتين على نشز من الأرض و شرف ينظر منها الجالس فى مسجد جامعها الى نحو البحر أربعة فراسخ كالبقعة كانت بين يديه خضرة نضرة جليلة الأهل نفيسة القدر كثيرة الأسواق حسنة الأحوال، و جيحان نهر يخرج من بلد الروم حتّى ينتهى الى المصّيصة ثمّ الى رستاق يعرف بالملوان فيقع فى بحر الروم و كانت عليه من القرى و الضياع الكثيرة الماشية و الكراع ما لم يبق منهم نافخ نار، و كانت اذنه أيضا مدينة كأحد جانبى المصّيصة على نهر سيحان فى غربىّ النهر و سيحان دون جيهان فى الكبر عليه قنطرة [۵۴ ب] عجيبة البناء طويلة جدّا و يخرج هذا النهر من بلد الروم أيضا و كانت جليلة الأهل حسنة المحلّ فى كلّ أصل و فصل و على سمت

طريق طرسوس، فأمّا مدينة طرسوس فكانت المدينة المشهورة المستغنى بشهرتها عن تحديدها كبيرة استحدثها المأمون بن الرشيد و مدّنها و جعل عليها سورين من حجارة و كانت تشتمل من الخيل و الرجال و العدّة و العتاد و الكراع و السلاح و العمارة و الخصب و الغلّات و الأموال و السعة فى جميع الأحوال على حال لم يتّصل بمثله ثغر من ثغور المسلمين لكافر و لا مسلم الى عزّ تامّ و نصر عامّ على جميع من وليها من رجال الإسلام فما غزا فى برّ أو بحر إلّا و صحبه من الظفر و النصر و الغنائم بالقسر و القهر ما ينطق الأخبار بتصديقه و الآثار بتحقيقه و كان بينها و بين حدّ الروم [جبال] منيعة متشعّبة من اللكام كالحاجز بين العملين، و رأيت غير عاقل مميّز و سيّد حصيف مبرّز يشار اليه بالدراية و الفهم و اليقظة و العلم و الفطنة و السياسة و الرياسة يذكر أنّه كان بها مائة ألف فارس و بعملها و ذلك عن قريب عهد من الأيّام [التى]

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۸۴

أدركتها و شاهدتها و كان السبب فى ذلك أن ليس مدينة عظيمة من حدّ سجستان و كرمان و فارس و خوزستان و الرىّ و اصبهان و جميع الجبال و طبرستان و الجزيرة و اذربيجان و العراق و الحجاز و اليمن و الشأمات و مصر و المغرب إلّا و بها لأهلها دار و رباط ينزله غزاة تلك البلدة و يرابطون بها إذا وردوها و ترد عليها الجرايات و الصلات و تدرّ عليهم الأنزال و الحملان العظيمة الجسيمة الى ما كان السلاطين يتكلّفونه و أرباب النعم يعانونه و ينفذونه متطوّعين و يتحاضّون عليه متبرّعين و لم يكن فى ناحية ذكرتها رئيس و لا نفيس إلّا و له عليها أوقاف من ضياع ذوات أكرة و زرّاع و غلّات أو مسقّف من فنادق و دور و حمّامات و خانات هذا الى مشاطرة من الوصايا بالعين الكثير و الورق و الكراع الغزير فهلكت و هلكوا و ذهبت و ذهبوا و كأنّهم لم يقطنوها و عفوا و كأنّهم لم يسكنوها حتّى لصاروا كما قال جلّ ذكره هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ، و كانت اولاس حصنا على ساحل البحر فيه قوم متعبّدون حصينا و كانت فيهم خشونة فى ذات الله و كان فى آخر ما على بحر الروم من العمارة فكانت ممّا بدأ به العدوّ، و بغراس حصن كان فيه منبر على طريق الثغور و كانت فيه دار ضيافة لزبيدة و لم يكن للمسلمين بالشأم دار ضيافة غيرها، (۱۶) و أمّا البحيرة الميّتة فهى من الغور فى صدر الشأم بقرب زغر و إنّما تسمّى الميّتة لأنّه لا شىء فيها من الحيوان إلّا شىء تقذف به يعرف بالحمريّة و أهل زغر بناحية يلقحون كرومهم و كروم فلسطين كما تلقح النخل بالطلع الذكر و كما يلقح أهل المغرب تينهم بذكارهم، و زغر مدينة حارّة جروميّة متّصلة بالبادية صالحة الخيرات و بها من عمل النيل و التجارة به و فيه ما لا يقصر عمّا بكابل من صنّاعه و عمّاله غير أنّه يقصر عن

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۸۵

صباغ نيل كابل، و بزغر بسر يقال له الانقلاء و ليس بالعراق [۵۵ ظ] و لا بمكان من الأرض أعذب منه و لا أحسن من منظره لونه كالزعفران فلم يغادر منه شيئا و يكون فى أربعة منه رطل، و ديار قوم لوط و هى الأرض المعروفة بالملعونة و ليس بها زرع و لا ضرع و لا حشيش [و لا نبات] و هى بقعة سوداء قد افترشتها حجارة متقاربة فى الكبر و يروى أنّها الحجارة المسوّمة التى رمى به قوم لوط و على جميع تلك الحجارة كالطابع من وجهيها و هى شىء كقواليب الجبن المستديرة هيآتها و خلقها فلا يرى فيها ما يخالف شيئا من أشكالها، و معان مدينة صغيرة على شفير البادية أيضا سكّانها بنو أميّة و فيهم لبنى السبيل مرفق و مغوثة، و حوران و البثنية رستاقان عظيمان من جند دمشق مزارعها مباخس و يتّصل أعمالهما بحدود نهر بين الذى عند البلقاء و عمان الذى جاء فى الخبر أنّه نهر من ركىّ الحوض و أنّه ما بين بصرى و عمان، (۱۷) فأمّا المسافات بالشأم فإنّ طولها من حدّ ملطيه الى رفح و الطريق من ملطيه على منبج و بينهما أربعة أيّام و من منبج الى حلب يومان و من حلب الى حمص خمسة أيّام و من حمص الى دمشق خمسة أيّام و من دمشق الى طبريّة أربعة أيّام و من طبريّة الى الرملة ثلثة أيّام و من الرملة الى رفح يومان فالجميع خمسة و عشرون يوما، و عرضها فى بعض المواضع أكثر من بعض و ذلك أنّ أعرضها طرفاها و أحد طرفيها من الفرات من جسر منبج على منبج ثمّ على قورس فى حدّ قنّسرين ثمّ على العواصم فى حدّ انطاكيه ثمّ يقطع جبل اللكام الى بياس ثمّ الى التينات

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۸۶

ثمّ على المثقب ثمّ على المصّيصة و على اذنه ثمّ على طرسوس و ذلك نحو عشر مراحل، و إن سلكت من بالس الى حلب ثمّ الى انطاكيه ثمّ الى الاسكندرونة ثمّ الى بياس حتّى تنتهى الى طرسوس فالمسافة أيضا نحو عشر مراحل غير أنّ السمت المستقيم هو الطريق الأوّل، و أمّا الطرف الآخر فهو من حدّ فلسطين فيأخذ من البحر من حدّ يافا حتّى ينتهى الى الرملة ثمّ الى بيت المقدس ثمّ الى ريحا ثمّ الى زغر ثمّ الى جبال الشراة الى أن ينتهى الى معان و مقداره المذكور ستّ مراحل، فأمّا ما بين هذين الطريقين من الشأم فمختصر و لا يكاد يزيد عرض موضع الاردنّ و دمشق و حمص على أكثر من ثلاث مراحل لأنّ من دمشق الى بيروت على بحر الروم مسيرة يومين غربا و الى أقصى الغوطة من دمشق حتّى يتّصل بالبادية مشرقا يوم و من حمص الى انطرطوس التى على بحر الروم مسيرة يومين غربا و من حمص الى سلميّة على البادية مشرقا يوم، و من طبريّة الى صور التى على البحر غربا مرحلة و منها الى أن يجاوز فيق على ديار بنى فزارة مشرقا دون المرحلة ، و هذه مسافات طول الشأم و عرضه، (۱۸) و المسافة فى أضعافه فالمبتدأ بفلسطين إذ هى أول أجناد الشأم ممّا يلى المغرب و قصبتها الرملة و منها الى يافا نصف مرحلة و من الرملة الى عسقلان مرحلة و منها الى غزّة [دون] مرحلة، و من الرملة الى بيت المقدس يوم و من بيت المقدس الى مسجد إبراهيم عليه السلم يوم و من بيت المقدس الى ريحا مرحلة و من بيت المقدس الى البلقاء مرحلتان، و من الرملة الى قيساريّة [۵۵ ب] مرحلة و من الرملة الى نابلس مرحلة و من ريحا الى زغر مرحلتان و من زغر الى جبال الشراة مرحلة و من جبال الشراة الى آخر الشراة مرحلة، و قصبة الأردنّ طبريّة و منها الى صور يوم

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۸۷

و منها الى عقبة فيق مرحلة و منها الى بيسان مرحلتان خفيفتان و منها الى عكّا يوم، و الاردنّ أصغر أجناد الشأم و أقصرها مسافة و لم تزل فى يد أبى منصور أحمد بن العبّاس محلولة و معقودة سنين كثيرة بمائتى ألف دينار ، و أمّا جند دمشق فدمشق قصبتها و منها الى بعلبك يومان و منها الى بيروت [يومان و من بيروت] الى اطرابلس يومان و من بيروت الى صيداء يومان و من دمشق الى اذرعات أربعة أيّام و الى أقصى الغوطة يوم و الى حوران و البثنية يومان، و جند قنّسرين فقنّسرين مدينتها غير أنّ الإمارة و الأسواق و مجمع ناسها و العمارات انتقلت الى حلب و من حلب الى [بالس يومان و من حلب الى قنّسرين يوم و من حلب الى الاثارب يوم و من حلب الى] قورس يوم و من حلب الى منبج يومان و من حلب الى الخناصرة يومان، (۱۹) و قد مرّ فى ذكر العواصم ما صارت اليه من ملك الروم لها ما يغنى عن إعادة فيها ، [و العواصم قصبتها انطاكية و كان منها الى اذنة ثلاث مراحل و منها الى بغراس يوم و الى الاثارب يومان و الى حمص أربع مراحل و منها الى مرعش يومان و الى الحدث ثلاث مراحل،] و الثغور فلا قصبة لها و كلّ مدينة قائمة بنفسها و منبج مدينة قريبة من الثغور و منها الى الفرات مرحلة خفيفة، و من منبج الى قورس مرحلتان و منها الى ملطيه أربعة أيّام، [و من منبج الى سميساط يومان و من منبج الى الحدث يومان، و من سميساط الى شمشاط مرحلتان و من شمشاط الى حصن منصور يوم و من حصن منصور الى ملطية يومان، و من حصن منصور الى زبطرة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۸۸

يوم و من حصن منصور الى الحدث يوم، و من ملطية الى مرعش ثلاث مراحل كبار و من مرعش الى الحدث يوم، فهذه مسافات الثغور الجزريّة،] و كذا الثغور الشأميّة ، [و أمّا الثغور الشأميّة فمن الاسكندرونة الى بياس مرحلة خفيفة و من بياس الى المصّيصة مرحلتان و من المصّيصة الى عين زربة مرحلة و من المصّيصة الى اذنة مرحلة و من اذنة الى طرسوس مرحلة و من طرسوس الى اولاس على بحر الروم يومان و من طرسوس الى الحوزات مرحلتان و من طرسوس الى بياس على بحر الروم فرسخان و من بياس الى الكنيسة و الهارونيّة أقلّ من يوم و من الهارونيّة الى مرعش من ثغور الجزيرة مرحلة فهذه جملة مسافات الثغور،] (۲۰) و قد انتهى القول فيما قصدت ذكره من الشأم بعد ذكر المغرب و مصر و الشأم فى أقاليم ممتدّة على بحر الروم، و قد استوفيت أيضا ذكره و لا وجه لذكر ارتفاع ما خرج عن أيدى أهل الشأم و الباقى من الشأم فى أيدى المسلمين و حكمهم فيه نافذ و أمرهم فيه ماض فهو ما كان على ساحل بحر الروم [من] حدّ اطرابلس و انفه الى نواحى يافا و عسقلان [لأنّ اللاذقيّة و ما نزل عنها و حاذاها تحت جزيتهم و مقاطعتهم]

، و ما عدا ذلک فللروم و قبضتهم و حوزتهم قد استولت علیهم أسیافهم و الحکم فیه الیهم، و قد أقام کثیر من أهلها فیما رضوا منهم فیه بالجزیة و أظنّهم بآخرة صائرین الی النصرانیّة أنفة من ذلّة الجزیة و رغبة مع حذق المؤونة فی العزّ و الراحة، فأمّا تقدیر ما بقی منها لم أذکره فمذ سنون کثیرة لم یقع لها قانون صحیح و لا استخراج علی طریقته و صحّته و ذلک أنّها مذ سنة أربعین بین قوم

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۸۹

یتطاول أحدهم علی الآخر و أکثرهم غرضه ما احتلبه فی یومه و حصّله لوقته لا یرغب فی عمارة و لا یلتفت الیها برؤیة و لا إشارة، و کان ارتفاعه قدیما بعد ما یخرج منه فی لوازم السلطان و أرزاق الجند و المتصرّفین من الکتّاب و العمّال [۵۶ ظ] تسعة و ثلثین ألف ألف درهم و خمس مائة ألف درهم ، [و رأیت ارتفاع الشأم و ما فی ضمنها من الأعمال و الأجناد و التی أقف علیه من جماعة علیّ بن عیسی و محمّد بن سلیمان لسنة ستّ و تسعین و مائتین و سنة ستّ و ثلثمائة من جمیع وجوهها الی حقوق بیت المال و ما یلزم له من التوابع دون أرزاق العمّال تسعة و ثلاثون ألف ألف درهم]،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۹۰

[بحر الروم]

(۱) و سأصل ذلک بذکر بحر الروم و تصویره إذ هو خلیج من البحر المحیط علیه أکثر هذه الدیار و قد أتیت به علی التقریب لا علی الحقیقة إذ بعضه أشبه شیء بالدائرة المحدّدة، و مخرجه بین أرض الاندلس و أرض طنجة و سبتة و هذه الناحیة محاذیة من الاندلس لجزیرة جبل طارق و اشبیلیه و عرض هذا المخرج بهذا المکان المعروف باشبرتال و هو جبل عال و یمتدّ جنوبیّا الی سله و یحاذیه من العدوة الاندلسیّة جبل الأغر و یمتدّ الی لبله بناحیة الشمال من الاندلس فیکون نحو اثنی عشر میلا ثمّ لا یزال یتّسع و یعرض و یمتدّ علی سواحل المغرب و ممّا یلی شرقیّ هذا البحر حتّی ینتهی [الی] أقاصی أرض مصر ممتدّا علی أرضها الی الشأم متّصلا علیها الی الثغر الذی کان یعرف بطرسوس و یعطف الی بلدان الروم من جبال اقلیمیه الی انطالیه ثمّ یصیر الی خلیج القسطنطینیّة و یمضی علی سواحل اثیناس و سواحل قلوریه و الانکبرذة الی افرنجه و رومیه و یصیر البحر حینئذ جنوبیّا لأرض جلیقیه و یکون علی ساحله الافرنجة الی أن یتّصل بطرطوشه من بلاد الاندلس و یمتدّ علی النواحی [۵۶ ب] التی تقدّم ذکرها فی صفة الاندلس و یجاوز المریة و أعمال الجزیرة و اشبیلیه و یمضی علی البحر المحیط الی شنترین و هی آخر بلاد الإسلام من ناحیة الاندلس و جانب بلد الروم، (۲) و لو أنّ امرءا سار من سبتة و طنجة علی ساحل هذا البحر المغربیّ

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۹۱

مؤمّلا- أن یعود الی ما یحاذیه من أرض الاندلس لدار علی جمیع بحر الروم من حیث لا- یمنعه مانع إلّا نهر یلقی الیه أو یفرع فیه أو خلیج القسطنطینیّة فإنّه یفضی الیه من البحر المحیط أیضا و ذلک أنّه انفصل به من الأرض فاصلة حازت شطر بلد الصقالبة و بعض بلد الروم فسمّیت الأرض الصغیرة و الذی تحوز من البلاد معما ذکرته أرض قلوریه و جلیقیه و افرنجه و الاندلس فجعل ذلک جزیرة لیست مع الأرض الکبیرة و لا متّصلة بشیء منها لأنّها قائمة بنفسها و لم یحتج الی أن یدلّه دلیل إن أمکنه ذلک، (۳) [۵۷ ظ] و ما فی بطن هذه الصفحة صورة بحر الروم و ما علیه من نواحیهم و شکله فی نفسه و إن کنت سقته علی ما أتیت به من الاستطالة فی صورة المغرب فهو من الاستدارة علی هذا الشکل، [۵۷ ب] إیضاح ما یوجد فی صورة بحر الروم من الأسماء و النصوص، قد صوّر البحر فی وسط الصورة و یکون علی ساحله الأیسر من المدن طنجه، تنس، برشک، اشرشال ، تامدفوس ، دمیاط، ثمّ فی البحر تنیس، ثمّ علی الساحل الفرما، عسقلان، یافا، بیروت، اطرابلس، اللاذقیه ، ثمّ نهر ثمّ بیاس ثمّ نهر ثان علیه من المدن کفربیا و المصیصه، ثمّ نهر ثالث علیه عین زربه و اذنه ، ثمّ نهر رابع علیه طرسوس و عن یمین طرسوس الرمانه و عند طرف الصورة الأسفل ... اربه ، و عن یمین ذلک یأخذ من طرف الصورة الأسفل نهر کتب عند منتهاه نهر الزیت ثمّ عمود الفرات، و علی ضفّة هذا النهر فی الجانب الأسفل ملطیه، تل

موزن ، هباب، و ينصبّ فيه عند تل موزن نهر ارسناس و عليه مدينة ارسناس، و عن يمين ملطيه يبتدئ نهر آخر و هو دجلة و عليها من المدن آمد، كافا ، التل، و فى الجانب الآخر من نهر

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۹۲

ارسناس بينه و بين عمود الفرات من المدن الاردیس، قاليقلا، بدليس، منازجرد، خلاط، و ينصبّ فى الفرات من الجانب الأعلى نهران أحدهما نهر قباقب و عند فوهته قباقب، و كتب فى الساحة بين نهر قباقب و الفرات و البحر بلد ولد الأصفر و فيه من المدن ذو الكلاع، كونيه، سمندوا، زبطره، و النهر الثانى المنصبّ فى الفرات نهر غيلقط و بينه و نهر قباقب من المدن كمخ، صارخه، الرنلين ، خرشنه ، و عند مبتدأ نهر قباقب تنس ، ثمّ عند مبتدأ نهر غيلقط أرض الصرهوه و بين نهر غيلقط و الفرات التى ، و رسم من أعلى ذلك نهر السّ الذى ينصبّ فى البحر و عند مبتدئه مدينة السّ، و يأخذ من هذا النهر نهر آخر الى الأعلى كتب عنده وادى اللقان و عن يمين هذا النهر مدينة صاغره و عند فوهته البلقلار ثمّ عن يمينها على الساحل .. ا. سور ، و فى هذا القسم الأيمن من الصورة من البلاد رستاق خونص و بلد الطرقسيس و بلد الناطليق و بلد هرقله، و يكون فى الجانب الأعلى من نهر السّ ابتداء عن اليسار سطرابلين و سوسطه و من أعلى سطرابلين على البحر افسوس و كتب عندها بلد أهل الكهف، ثمّ على وادى اللقان قومنه و كتب عن يسارها بلد بن الشمشكى، و عند مصبّ وادى اللقان فى الخليج بحيرة نقموذيه و من أسفل البحيرة نقموذيه و ماسيه ، و من أعلى سوسطه الى جهة خليج القسطنطينيّة من المدن افخايطه، الابسيق، طموذيه ، خلقذونيه ، و عن يسار ذلك البلقلار، و نيقيه و فى قطعة من البرّ تدخل فى البحر انطاليه ، و على وسط الخليج من الجانب الأعلى القسطنطينيه و كتب عن يسارها مجذونيه، و فوق ذلك صورة بحر الروم و هو عنوان الصورة، و كتب فوق ذلك فى البرّ بهذه النواحى غير أمّة بلغة و لسان غير لسان من جاورها متصاقبين متجاورين على اختلافهم و تضادّهم و بعضهم فى طاعة عظيم الروم و بعضهم بل جلّهم و أكثرهم فى غير

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۹۴

طاعته و إنّ جميعهم يختلفونه و الديانة بالنصرانيّة، و عن يسار ذلك يقرأ موازيا لخطّ الجبل هذا الجبل عظيم مديد يزعم حسداى بن اسحاق أنّه متّصل بجبال ارمينيه و يقطع بلد الروم فيصل فيه الى خزران و جبال ارمينيه و كان بهذه النواحى خبيرا لأنّه دخلها و لقى أكابر ملوكها و رجالها، و كتب فى الجانب الآخر من الجبل الانكبرذه، و عن يسار ذلك صوّر الاندلس و فيه من المدن قرطبه و اشبيليه و المريه ثمّ المريه مرّة ثانية فى البرّ و من أسفل ذلك بلاد غلجشكش ، بشكونس ، روميه ، افرنجه، ثمّ من أسفل ذلك قسم من الأرض داخل فى البحر يقرأ فيه أرض قلوريه و على ساحلها من المدن مسنيان ، كسشه ، منتيه ، ريو، ابن ذقتل ، بوه، قسطرقوقه ، جراجيه ، استلو ، سبرينه ، قطرونيه ، رسيانه ، قسانه ، ثمّ يلى ذلك الى الأسفل جون كتب عنده فى البرّ هذا جون البنادقين و فيه جزائر كثيرة مسكونة و أمم كالشاغرة و ألسنة مختلفة من افرنجيين و نمتين و صقالبه و برجان و غير ذلك، و على طرفى الجون مدينتا بذرنت و اذرنت، ثمّ من أسفل ذلك ناحية أخرى داخلة فى البحر يقرأ فيها هذه أرض بلبونس دورها ألف ميل و فيها أمم من الروم و بها نيّف و سبعون حصنا عامرا و يضيق طرفاها حتّى يصير ستّة أميال و تدعا كسميلى، [۵۸ ظ] هذه صورة بحر الروم و ما اتّجه من رسم مشاهير مدنه من مشرقه التى هى مختصّة ببنى الأصفر و كيفيّة الخليج القاطع لبلد الروم على نواحى اطرابزنده الى نفس القسطنطينيّة و اجتيازه بأرض مجذونيه الى أن يفرع فى بحر الروم مع إعادة ما اتّصل به من النواحى الى بلد الاندلس،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۹۵

(۴) و سمعت أبا الحسين محمّد بن عبد الوهّاب التلّ موزنىّ و كان رجلا قد أناف على مائة سنة ثابت العقل صالح الأدب يقول سيّرت من كمخ و هى مدينة للروم صالحة القدر عامرة على بريد الملك الى القسطنطينيّة مائة و ستّة و ثمنين بريدا فلمّا عدتّ من القسطنطينيّة حين خروجى عنها عدتّ على انقره و هى مدينة كبيرة خراب الى ملطيه مائة و ثمنية و عشرين بريدا، فكان من كمخ الى صارخه يومان و الى مدينة خرشنه يومان، و سيّرت على مدن لا أعرف أسماءها عامرة الى صاغره و هى على نهر آلس فعبرناه بمركب و سرنا

فى المركب بالبحيرة ستّة فراسخ و سرنا يوما آخر على الظهر الى مدينة تعرف بنقموذيه و ركبنا منها فى البحر يومين و صرنا الى مدينة تعرف بخلقذونيه فبتنا بها و سيّرنا فى السحر فركبنا فى الخليج و صبّحنا القسطنطينيّة و البريد عندهم فرسخ، قال و كنت أسمع أنّ للملك أربعة حبوس دون دار البلاط التى يحبس بها أسراء الملك فى رساتيق لهم، فأحدها يعرف بالطرقسيس و الآخر بالابسيق و الآخر بالبلقلار و الآخر بالنومره، قال و الطرقسيس و الابسيق أرفههما لأنّهما لا قيود فيهما و البلقلار و النومره ضيّقان و من حبس فى دار البلاط فبالنومره ابتداء حبسه ثمّ ينقل و هو حبس ضيّق مؤلم مظلم، قال و كانوا يسيرون بنا فى كلّ يوم من عشرين بريدا الى خمسة عشر بريدا فصرنا الى القسطنطينيّة فى نحو عشرة أيّام من كمخ، و الذى أعرفه أنا أنّ بين كمخ و ملطيه عشر مراحل و بين ملطيه و انقره عشرون مرحلة و منها الى القسطنطينيّة عشر مراحل فيصير جميع الطريق أربعين مرحلة، قال و ألفيتهم و إنّ الملك يتبعه فى المنزلة اللغثيط و هو الوزير و الفرخ من بعده و للفرخ من المنزلة أنّه يلبس

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۹۶

خفّين أحدهما أحمر و الآخر أسود و لا يتزيّى غيره بهذا الزىّ بوجه و ذلك أنّ الحكم و القطع و الضرب و القود و الأدب من غير مؤامرة للملك اليه ثمّ الدمستق من بعده ثمّ البطارقة و هم اثنا عشر رجلا [لا] ينقصون و لا يزيدون بوجه و إذا هلك أحدهم قام مقامه من يصلح له ثمّ الزراورة و هم كثرة لا يحصون كالقوّاد اللاحقين بالأمراء ثمّ الطرامخة و هم التّناء و أرباب النعم من أهل القسطنطينيّة و منهم يكون الارتفاع الى الزرورة و البطرقة، و كلّ مولود يولد بالقسطنطينيّة للطرامخة فللملك عليه جراية من وقت يولد الى آخر عمره يدرّج فى أسباب الزيادة و النقصان فى أعطيته [۵۸ ب] و أرزاقه عند درج بلوغه و تكهّله و بقدر استحقاقه للزيادة عند تعلّقه بأسباب الرياسة من علم سياسة أو صعلكة و تقدّم فى أسباب شجاعة أو ترسّم بالرأى و الفهم إلّا أن يترهّب فيستعفى من العطاء فيعفيه الملك منه، (۵) و ممّا أعلمه أنا فى حين غزونا من ميافارقين أنّا نزلنا على حصن الهتاخ فكانت اليه مرحلة ستّة فراسخ و منه الى حصن ذى القرنين و هو حصن منيع مرحلة خفيفة و منه الى مدينة الأرديس و كانت إذ ذاك للمسلمين سبعة فراسخ و منها الى ضيعة القسّ ثلثة فراسخ و منها الى هباب مدينة خمسة فراسخ و من هباب الى قرية انكليس ستّة فراسخ و من انكليس الى الكلكس قرية ثلثة فراسخ و منها الى حصن زياد أربعة فراسخ [و من حصن زياد الى تلّ ارسناس ثلثة فراسخ] و عبرنا الفرات الى قرية تعرف بالحمّام أربعة فراسخ و منها الى ملطيه أربعة فراسخ و عبر القوم قباقب الى

صورة الأرض، ج۱، ص: ۱۹۷

عرقا مدينة كانت عامرة أربعة فراسخ و منها الى ضيعة فى وادى الحجارة و وادى البقر و كان آخر عمل الإسلام ستّة فراسخ، و منها الى الرمّانة قرية و حصن ستّة فراسخ و من الرمّانة الى سمندوا عشرة فراسخ، و لم أترك الاستخبار فى خلال ذلك و قبله و بعده من صعاليك ديار ربيعة و من أسر ببلد الروم و خرج سارقا لجماعة من المسلمين و الروم لعلمه بالبلد و معرفته بمخائضه و ممّن فودى به عن ارتفاع بلد الروم و ما فيه من المرافق لملوكهم و اللوازم بقوانينهم الموضوعة قديما لهم فى كلّ سنة فألفيت ذلك أقلّ من نصف جبايات المغرب بكثير و ألفيت الهدايا و الضرائب على النواحى تزيد و تنقص على قلّة محلّ المتّلين لها، و من أعظم جباياتهم و أكثر وجوه أموالهم ضريبة بلد اطرابزنده و انطاليه المرسومة من أخذ ما يرد من بلد الإسلام لما يؤخذ من سواحل الشأم و مراكبهم و يغنم بالشلنديّات و المراكب الحربيّات و الشيتيّات و ما يحصل من أثمان المسلمين و يقام من أثمان مراكبهم و الأمتعة التى فيها ضريبة الملك و يستأثر القيّم على ذلك بما يزيد على مال الملك من أثمان الأمتعة و المراكب و المسلمين، (۶) و أخبرنى غير ثقة من العارفين العالمين حال بلد الروم ممّن أقام به مواطئ لحديث عيسى بن حبيب النجّار أنّ ضريبة انطاليه على صاحب المراكب بها المجعول اليه قصد بلد الإسلام سقطت و كانت قبل ذلك بسنين عند ما دار لهم الظفر بهم من بعد سنة عشرين و ثلثمائة ثلثة قناطير ذهبا و تكون مع اللوازم التى تلحقها و الهدايا ثلثين ألف دينار و مائة أسير فى كلّ سنة، ثمّ تأكّد خذلان الثغور و فشا نحسها و انهتك بالمعاصى و جور

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۹۸

السلطان أستار أربابها فصارت بالأمانة و تحرّی فیها متّلوها إقامة الناموس و الدیانة و الحرص علی الجهاد و النفاذ فی مقاومة المسلمین بالعناد و أنفذوا مراکبهم بالتجارة الی بلد الإسلام و رجالها یجوسونه [۵۹ ظ] و یتفقّدونه و یستبطنون أخباره ثمّ یرجعون و قد علموا حاله الیهم بالخبرة فیتحکّمون فی مضارّه و یصلون بذلک الی دواخله و سهله و أوعاره بمرأی من سلاطین الإسلام و منظر و مساعدة من أکثرهم علی ما یحبّونه و تقویة للعدوّ بفاخر السلاح و نفیس المتاع و رغبة فی یسیر من الحطام یعود علیهم من تجارة یعملونها الی بلد الروم فتعود بخسیس من الأرباح و النار تحت ذلک تضرّم علیهم و البلاء یفتل فیما یأخذونه و الشؤم یبرم علیهم فیما یأتونه و متمثّلهم یجهر بقوله و یضحک من غفلتهم عن فعله حتّی لسمع من فصحائهم دائما متمثّلون

أری تحت الرماد و میض جمرو یوشک أن یکون له ضرام،

و کان ما یصل الیهم من العشور علی المتاع الواصل الی اطرابزنده الداخل الیها و الخارج عنها و یصل الی متّلی ذلک لقیامه بها من الهدایا المرسومة علی تجّارها ما سمعت الأکثر یقول أنّها مذ عرفت هذه الضرائب لم یبلغ من حین أخذ ملطیه و شمشاط و حصن زیاد عشرة قناطیر ذهبا ، و سبیلهم فیما یقیمونه من غزو المسلمین فی البحر بالمراکب الحربیّة و الشلندیّة و الشینیّة أن یأتوا الی کلّ ضیعة تقارب البحر فیأخذوا من کلّ دخان أی من کلّ بیت دینارین و یجمع ذلک و یدفع الی النافذین [فی البحر] اثنا عشر

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۱۹۹

دینارا لکلّ إنسان و یأکل ممّا یلقاه فیما یغنمه و لا شیء له فی الغنیمة من ثمن مسلم أو متاع یغنم و کلّ ذلک متوفّر علی الملک، قال فإذا قبض رجال البحر أرزاقهم أصلحوا ما أحبّوا استحداثه من مرکب و آلة له أو مرمّة لمرکب قدیم فی صناعتهم و ما یبقی من المال المجموع من تلک الجهة صرفه المتّلی للبحر حیث یراه بعد حمله معه الی بلد الإسلام و فراغه ممّا قصد له، و أمّا غزوهم فی البرّ فإنّ ملکهم نقفور أخذ من کلّ دخان یسکنه رئیس منهم یملک خدما و بقرا و غنما و أرضا و مزدرعا فی حال متوسّطة عشرة دنانیر عینا ذهبا و من فوق هذه الطبقة فی القوّة جعل علیه رجلا بسلاحه و دوابّه و قوّامه و مؤنه و نفقة له ثلثین دینارا و بهذا اتّجه لنقفور ما اتّجه فی المسلمین لا- أنّه فرّق مالا من خزائنه أو تصرّف فی ملک نفسه أو لزمه درهم فما فوقه من حاصله بل ربح فی خلال جمعه هذه الأموال و عند صرفها فی النفقات أمرا ذکروه خرج به الی بلد الإسلام و عاد معه فاحتجنه و کانت جبایته لهذه الأموال علی هذه الجهة السبب فی مقت النصرانیّة له و بغضها لأیّامه و تسخّطها لبقائه و خوفهم من وقوع معاودة لما ضری علیه الی بلد الإسلام فجعلوا ذلک سببا لقتله و طریقا للحجّة علیه، (۷) و أمّا حدّ بلد الروم فإنّ مشارق بلدانهم المضمومة الیهم و المضافة علی مرّ الأوقات الی متملّکیهم ما واجه من ناحیة الثغور الشأمیّة و الجزریّة الی آخر حدود ارمینیه و شمالها من نواحی البجناکیّة و بشجرت و بعض بلاد الصقالبة و مغربها بعض البحر المحیط و ما [۵۹ ب] حادّ جلیقیه و افرنجه

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۰۰

من جزیرة الاندلس و بعض بحر المغرب و جنوبیّهم بقیّة بحر المغرب و بعض ساحل الشأم و مصر، (۸) و المدن النفیسة قلیلة فی مملکتهم و بلادهم مع سعة رقعتها و اتّصال أیّامها و حالها و ذلک أنّ جلّها جبال و قلاع و حصون و مطامیر و قری فی الجبال منحوتة و تحت الأرض منقوبة، و قد استولی الخلیج الآخذ من القسطنطینیّة الی اطرابزنده علی أکثرها و لیس هناک مدینة مشهورة إلّا ما و صفته و حددته، و میاههم کثیرة غزیرة و لیس تمرّ علی وجه الأرض مرّا مستقیما و إنّما تتغلغل بین الجبال علی غیر قصد و لا استقامة سیر و قد صوّرت غیر نهر من أنهارهم فیما دون الخلیج الی نواحی الثغور و لیس جریها علی ما وصفته فی الصورة و شکّلته لکنّی تحرّیت أصل مخرجه الی حیث مصبّه فشکلته علی ذلک، و بلد الروم عند کثیر من خاصّة أهل الإسلام و مؤلّفی الکتب بخلاف ما هو علیه بالحقیقة من صغر المحلّ و تفه الخطر و نزور الدخل و ضعة الرجال و عزّة الأموال و خسیس الأعمال و الأحوال و هو عند من عنده و قبله أدنی میزة و معرفة و بحث عن حقائق الأمور و اهتمّ بمعارف أقطار الأرض و الممالک و سکّانها و الجبایات فیها لا یقارب

أسباب المغرب و حدّه و لا يدانيه و لا يشاكله فى وجه من الوجوه لأنّى قد ذكرت من قبائل البربر المتبدّدين فى صحارى المغرب ما يستولى على ضعف عدد من تحوزه نواحى الروم و ما عندهم من القوّة و الجلد و محلّهم فى البأس و الشدّة فإنّهم بحيث إذا دخل لهم جيش من المغرب الى بلد الروم أباده و أباره و أهلكه و أتى عليه و تتسرّب العدّة اليسيرة فى أقطاره فتنشفها حتّى أنّ لأهل المغرب على أهل قلوريه فى كلّ سنة جزية آلاف دنانير كثيرة تقبض منهم، و كانت ضعفها فأسقط النصف عنهم عبيد الله صاحب المغرب

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۰۱

لحرم اجتازت ببلد الروم على القسطنطينيّة الى ناحيته و وصلوا الملك الذى كان فى أيّامهم شاكرين و كان خائفا عليهم من صاحب مصر غير أنّ للإسلام فيما عليه نفوس أهله و قلوبهم شأنا فى انتشار الكلمة و فساد الحال و كثرة العناد و الخلاف و الاشتغال بطلبه بعضهم لبعض ما خلا به للروم سربهم فطالت أيديهم الى ما كانت مغلولة عنه و أطماعهم محسومة منه، (۹) و قد ذكرت هذا البحر و ما عليه من المدن و البقاع من حدّ طنجة و نواحيها الى أرض مصر و الى آخر الشأم من الثغور الى اولاس ممّا كان فى أيدى المسلمين و لهم و شكّلت ذلك الى أطراف بلد الروم و ما دون الخليج و بعده من الأرض الصغيرة و أثبتّ فيه أكثر ما بعد الخليج من أرض القسطنطينيّة و نواحى بلبونس و جون البنادقين و أرض قلوريه و الانكبرذه و افرنجه و روميه و جليقيه و ما يحادّ من نواحى الاندلس، (۱۰) [۶۰ ظ] و على هذا البحر و فى بلد الروم جبال لا تحدّ لكثرتها و منها جبال اقليميه و اقليميه مدينة كانت للروم قديما أتى عليها المسلمون و كان بعض أبواب طرسوس يدعى بباب اقليميه و ينسب اليها و هذه الجبال آخذة ببلد الروم يمينا و شمالا، و إذا جزت اقليميه و كانت بعيدة من شطّ البحر بنحو مرحلة نزلت المكان المعروف باللامس قرية على شطّ البحر كان الفداء يقع فيها بين المسلمين و الروم فيكون الروم فى مراكبهم و المسلمون فى البرّ يفادون، و تتّصل هذه الناحية بإقليم اجيا معدن الميعة التى تجلب الى جميع الأرض فى البرّ و البحر من هذا الرستاق و الناحية و يمتدّ البحر الى انطاليه و بينهما أربعة أيّام فى البحر بطاروس جيّد و مثلها فى البرّ و انطاليه حصن منيع و رستاق عظيم مضاف الى حصن انطاليه و ليس للملك عليه دخان و لا كلفة من صغير و لا كبير و به مرتّبون للخرائط و البريد بالبغال و البراذين فى البرّ و مرتّبون فى البحر لنقل الحوائج و المتاع

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۰۲

المختصّ بالملك، و من اجيا المذكورة إذا أقلع فى البحر ملجّج الى مصر أربعة أيّام، و بين انطاليه و القسطنطينيّة ثمنية أيّام فى البرّ على البريد و فى البحر على الطاروس خمسة عشر يوما و الأرض التى بينهما عامرة مأهولة مسكونة لا تنقطع سابلتها من نواحى انطاليه و رستاقها و هو رستاق كثير الخير و المير الى خليج القسطنطينيّة و على الخليج سلسلة ممتدّة لا تعبر عنها سفن البحر إلّا بإذن و علامة و عليها مرصد، و يقع هذا الخليج فى بحر الروم من البحر المحيط على ما قدّمت ذكره من نفس الشمال على طرف البرّيّة التى لا تسلك بردا فيمضى بقتر من أقتار ياجوج و ماجوج ثمّ يخترق بلاد الصقالبة و يقطعها قطعتين و يتوسّط بلد الروم، (۱۱) و من ورائه الى المغرب بلاد اثيناس و روميه و كلاهما ذوات أعمال و رساتيق و بلدان و مدن مضافة اليها و برسمها و قرى و مزارع و قصور و حصون و ملوك على قدر صالح و روميه و اثيناس مدينتان بهما مجمع النصارى و تقربان من البحر، فأمّا اثيناس فهى دار حكمة اليونانيّين و بها تحفظ علومهم و حكمهم، و روميه ركن من أركان ملك النصارى و بها كرسىّ النصارى ككرسىّ انطاكيه و كرسىّ الإسكندريّة و الكرسىّ الذى ببيت المقدس محدث لم يكن فى أيّام الحواريّين و اتّخذوه بعدهم لتعظيم بيت المقدس، ثمّ تتّصل أرض قلوريه بأرض الانكبرذه و أوّل ذلك أرض شلورى ثمّ نواحى ملف و مدينة ملف أخصب بلدان الانكبرذه و أنظفها و أجلّها أحوالا و أكثرها يسارا و أموالا و تتّصل أرض ملف بأرض نابل و هى مدينة صالحة الحال دون ملف فى أكثر أحوالها و أكثر أموال أهل نابل من الكتّان و ثياب الكتّان و بها منه ثياب ليس بسائر الارض مثلها

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۰۳

و لا ما يشاكلها و لا يستطاع و لهم ثوب يعمل طوله مائة ذراع فى عشر أذرع و يباع الثوب منها بالدون فمن مائة و خمسين رباعىّ

الثوب الى ما فوق ذلك بقليل و أنقص بكثير، و تتّصل أرض نابل بأرض غيطه ثمّ تتّصل ديارهم بالافرنجة على ساحل البحر الى أن [تحاذى صقلّيّة و تجاوزها الى أن] تتّصل بطرطوشه من أرض الاندلس، (۱۲) و فى هذا البحر جزائر صغار و كبار و جبال غامرة و عامرة للروم و المسلمين فأمّا المعمور بالإسلام و الناس فصقلّيه و هى أكبرها و أكثرها [۶۰ ب] عدّة و أشدّها بأسا بمن حوته من ناقلة المغرب و هى ناحية قريبة من الافرنجة و قد قدمّت كثيرا من ذكرها ، و كان للمسلمين فى هذا البحر غير جزيرة جليلة و ناحية مشهورة نبيلة فاستولى العدوّ عليها كقبرس و اقريطش و كانتا جزيرتين كثيرتى الخير و المير و التجارة و الوارد منها و الصادر اليها رائج و كان أخذهما أحد الأسباب الزائدة فى أطماع الروم لأنّهما بما كان فيهما من الرجال و العدّة و العتاد كالنار لهيبها لا يفتر و أوارها لا يقصر ينكون فى بلد النصرانيّة صباح مساء نكاية بيّنة ظاهرة يوجبها لهم قربهم من مطالبهم و مجاورتهم للروم فى مساكنهم فصمدت النصرانيّة صمدهما و وكدت و كدهما الى أن فتحتا جميعا و ملكتا، و كانت قبرس على غير ما كانت اقريطش عليه من مواقفة كانت بين أهلها فيها و ذلك أنّها لم تزل قسمين نصف للروم و نصف للمسلمين بها لهم أمير و حاكم و أيدى المسلمين مبسوطة على من جاورهم من النصارى و النصارى بهم شقّين، و جزيرة اقريطش حرّة مذ كانت و فتحت فى أيدى المسلمين و لم يكن

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۰۴

للنصرانيّة فيها مدخل و لا مخرج و أهلها فى غاية الجهاد و فى حين الهدنة و المسالمة مصونة فى شرائط بينهم غزيرة مقرونة بالقهر و الاستظهار ، و ميرقه جزيرة خطيرة لصاحب الاندلس و كذلك جبل الفلال مضاف الى ذلك العمل و ليس ميرقه بالمدانية لصقلّيه فى حال من الأحوال و إن كانت ذات خصب و رخص و سائمة و نتاج و خير [فإنّها تقصر عن صقلّية فى العدّة و العتاد و القوّة على الجهاد و كثرة التجارة و وفور العمارة] ، و من الجزائر المشهورة غير العامرة جزيرة مالطه و هى بين صقلّيه و اقريطش و بها الى هذه الغاية من الحمير التى قد توحّشت و الغنم الكثير الغزير و بها من العسل أيضا ما يقصدها قوم بالزاد لاشتياره و لصيد الغنم و الحمير فأمّا الغنم فتكسّد و الحمير فيمكن الورود بها الى النواحى فتباع و تعتمل، و الذى سبّب هلاك الجزيرتين بعد قصد العدوّ لهما ما صار اليه أهلها من البغى و الحسد و النكد حسب ما خامر أهل الثغور من ذلك الى استباحة الفساد و الفسوق و الغدر و الغيلة و التضادّ و العناد فجعلوا عبرة للمعتبرين و موعظة للسامعين الناظرين و لن يصلح اللّه عمل المفسدين و لا يضيع أجر المحسنين ، و قد ذكرت أنّ من جبلة الى قبرس يومين و منها الى جانب بلد الروم مثله و بقبرس المصطكى الجيّد و الميعة الكثيرة و الحرير و الكتّان و بها من القمح و الشعير و الحبوب و الخصب ما لا يوصف كثرة، و لجبل الفلال الذى بنواحى افرنجه بأيدى المجاهدين عمارة و حرث و مياه و أراض تقوت من لجأ اليهم فلمّا وقع اليه المسلمون عمّروه و صاروا فى وجوه الافرنجة و الوصول اليهم ممتنع لأنّهم يسكنون فى وجه الجبل فلا طريق اليهم و لا متسلّق عليهم إلّا من جهة هم منها آمنون و مقداره فى الطول نحو يومين،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۰۵

(۱۳) و ليس فى البحار أعمر حاشية من هذا البحر لأنّ العمارات من جنبتيه ممتدّة غير منقطعة و لا ممتنعة و سائر البحار تعترض فى شطوطها المفاوز و المقاطع و قد ألحّ الروم فى هذا الوقت على سواحل الشأم بالغارة و نواحى مصر فهم يختطفون مراكبهم من كلّ أوب و يأخذونها من كلّ جهة و لا غياث و لا ناصر و من للمسلمين بناظر و الملك فيهم هامل شاغر و الملك جمّاع منّاع [و العالم يسرق و لا يشبع و] يفتى بالباطل على ما يبلع و لا يخاف معادا و لا مرجعا و الفقيه ذئب أدرع فى كلّ بليّة يشرع و بكلّ ريح يسرى و يقلع و التاجر فاجر مسقع لا يعاف حراما و لا مطمعا و الديار و الأعشار بيد الأعداء متسلّمة و الأملاك مغتصّة مصطلمة و الأرض من أربابها الى اللّه تعالى متظلّمة، و هذه جمل صفة بحر الروم و جزائره و ما عليه ممّا يحتاج الى علمه،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۰۷

[الجزيرة]

اشارة

(۱)

و هذه الصورة شكل الجزيرة، [۶۱ ظ]

إيضاح ما يوجد فى صورة الجزيرة من الأسماء و النصوص، قد رسم فى نصف الصورة الأيمن من أعلاها الى أسفلها نهر الفرات و يوازيه عن اليسار نهر دجلة، و كتب عن يمين نهر الفرات فى الزاوية العليا صورة الجزيرة و تحت ذلك الجنوب و فى الزاوية السفلى المغرب، و على ضفّة الفرات من هذا الجانب من المدن الكوفه، بالس، سميساط ، و من أسفل بالس فى البرّ منبج و حلب، و فى أعلى الصورة تخرج بعض الأنهار من الفرات الى اليسار و على النهر الأوّل من أعلاه سورا ثمّ يليه نهر الملك و عليه القصر ثمّ نهر صرصر و عليه صرصر ثمّ نهر عيسى و يخرج منه نهر الصراه، ثمّ رسمت فى الجانب الأيسر من الفرات من المدن الانبار، هيت، الداليه، الرحيه، قرقيسيا، الخانوقه، الرافقه، الرقه، الجسر، جربلص ، و بين هيت و الدالية فى النهر عانه ، و بين الخانوقة و الرافقه يصبّ نهر الخابور فى الفرات و عليه من المدن العبيديه، تنينير، الجحشيه، طلبان، سكير العباس، عرابان، و من أعلى هذه المدن بحيرة كتب عندها المنخرق و عن يسارها ماكسين، و ينتهى عند عريان وادى الحيال و هو آت من جبل سنجار، و كتب من أعلى ذلك هذه ديار لقبائل من ربيعه و هى براريّ ينتجع مراعيها و تسلك على السمت بالنجوم على غير طريق، و فوق ذلك حدّ العراق،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۰۸

و على الجانب الأيمن من دجلة من المدن بغداذ و تكريت و بينهما نهر الاسحاقى، ثمّ الموصل، بلد، طنزى ، آمد، و على الطريق من بلد الى الجسر من المدن برقعيد، اذرمه، نصيبين، دارا، كفرتوثا، رأس عين، تل بنى سيار، حران، و من حران يأخذ طريق الى الأسفل الى سروج، و بين هذا الطريق و نهر دجلة رسم جبل تتّصل به مدينتا ماردين و الرها، و كتب فى هذا القسم من الصورة على خطّ منعطف ديار مضر ثمّ قاطعا لدجلة ديار بكر، و عن يمين آمد مدينة حينى، و على دجلة فى الجانب الأيسر من المدن بغداذ مرّة ثانية ثمّ البردان، عكبرا، الجويث، العلث، الكرخ، سرّ من رأى، الدور، السن، الحديثه، فيشابور، ثمنين، التل، و بحذاء آمد ارزن، و عن يسار ذلك ميافارقين، و يقرأ عن يمين القسم الأعلى من الجبل الموازى لدجلة جبل بارما و فى طرفه الآخر فى الزاوية المشرق، و يصبّ فى دجلة عند السن الزاب الصغير و من أسفله الزاب الكبير و بينهما من المدن الراجه، جنبون، كفرعزى، و قد تطلّس أسماء مدينتين يجوز أن تكون إحداهما اربل، و من أسفل الزاب الكبير بين دجلة و الجبل سوق الاحد و معلثايا و كتب هنا عند الطرف الآخر من الجبل هذا الجبل متّصل بجبال ارمينيه و جبل الثمنين و يتّصل بجبل اللكام و جميع جبال بلد الروم، ثمّ يلى تحت ذلك نهر الزرم ثمّ نهر سربط ثمّ نهر ساتيدما و بين هذين النهرين نواحى ارمينيه و فى زاوية الصورة الشمال، (۲) [۶۱ ب] فأمّا الجزيرة التى بين دجلة و الفرات فتشتمل على ديار ربيعة و مضر و مخرج الفرات من داخل بلد الروم على ما شكّلته مجتازا من ملطيه على يومين و يجرى بينها و بين المدينة المعروفة كانت بشمشاط للمسلمين و يمرّ على سميساط و نواحى جسر منبج و على بالس الى الرقّة و قرقيسيا و الرحبة و هيت و الانبار و ينقطع الحدّ عن الفرات ممّا يلى الجزيرة بالانبار

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۰۹

[ثمّ يعود حدّ الجزيرة] فى سمت الشمال فيكون الى تكريت الحدّ العراق و تكريت على دجلة و ينتهى الحدّ منها مصاعدا على دجلة الى السنّ ممّا يلى الجزيرة و الى الحديثة و الموصل و يصعد بصعود دجلة الى الجزيرة المعروفة بابن عمر ثمّ يتجاوزها الى آمد فيكون ما فى غربها من حدّ ارمينيه ثمّ يعود الحدّ مغرّبا على البرّ الى سميساط ثمّ ينثنى الى مخرج ماء الفرات فى حدّ الإسلام من حيث ابتدائه، و مخرج دجلة و إن كان من حدود بلد الروم فطويلا ما كان فى يد المسلمين و حيّز الإسلام من بعده بمراحل، و على شرقىّ دجلة و غربىّ الفرات مدن و قرى تنسب الى الجزيرة و هى خارجة عنها و نائية منها و سأذكرها بما يدلّ على حالها، (۳) قد اتّفق

العلماء بمسالك الأرض و بعض الحسّاب المشار اليهم بعلم الهيئة فيما تواضعوه من صفات الأرض أنّها مصوّرة بصورة طائر فالبصرة و مصر الجناحان و الشأم الرأس و الجزيرة الجؤجؤ و اليمن الذنب و هذه حكاية ما رأيتها قطّ مقرّرة و إذا كان الأمر كذلك ففارس و سجستان و كرمان و طبرستان و اذربيجان و خراسان ليست من الأرض و لا معدودة فى حسابها أم الأرض هو ما ذكروه دون غيرها و هذا قول يحتاج الى تقرير بفهم جامع و فكر صحيح ليقف على حق ذلك من باطله و موقع الجزيرة قريب ممّا قالوه إن وجب أن يكون الشأم رأسا لهذا الطائر و أظنّ قائل ذلك عنى غير ما أرادوه و قصد سوى ما نقلوه و متى أراد بذلك ديار العرب خاصّة فهذه صفتها، (۴) و الجزيرة إقليم جليل بنفسه شريف كان بسكّانه و أهله رفه بخصبه كثير الجبايات لسلطانه إذ كانت الأحوال و الأموال و الدخل على سلطانه

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۱۰

داخل من وجوهه و خارج من مظانّه و قد اختلّت و تغيّرت و انتقلت أملاكها و باد رجالها و أربابها و تنصّر أبطالها، و سمعت رئيسا من علماء البغداذيّين يذكرها فقال كانت معدن الأبطال و عنصر الرجال و ينبوع الخيل و العدّة و ينبوت الحيل و الشدّة، (۵) فأمّا حدودها و مسافاتها فمن مخرج ماء الفرات فى حدّ ملطيه الى سميساط يومان و من سميساط الى جسر منبج أربعة أيّام و من الجسر الى بالس أربعة أيّام و [من بالس] الى الرقّة يومان و من الرقّة الى الانبار عشرون يوما و من الانبار الى تكريت يومان فى نفس البرّيّة و من تكريت الى الموصل خمسة أيّام و من الموصل الى آمد أربعة عشر يوما و من آمد الى سميساط ثلثة أيّام و من سميساط الى ملطيه ثلثة أيّام، و من الموصل الى بلد مرحلة و من بلد الى نصيبين خمس مراحل، و من الموصل الى سنجار ثلثة أيّام و من سنجار الى نصيبين خمسة أيّام و من نصيبين الى رأس العين ثلاث مراحل و من رأس العين الى الرقّة أربعة أيّام، و من رأس العين الى حرّان ثلثة أيّام [و من حرّان الى جسر منبج يومان، و من حرّان الى الرها يوم و من الرها الى سميساط يوم، و من حرّان الى الرقّة ثلاثة أيّام]، و من الرقّة الى قرقيسيا أربعة أيّام و مدينة الخانوقة فى وسط الطريق و من الخانوقة الى عرابان أربع مراحل و من عرابان الى الحيال مرحلتان و منها الى سنجار نصف مرحلة و من سنجار الى ماكسين مرحلتان و من ماكسين الى المنخرق يوم و من المنخرق الى الفرات يوم، و المنخرق بحيرة [بين ماكسين و الفرات] استدارتها مساحة جريب أو أزيد بقليل [۶۲ ظ] و فيها ماء أزرق عذب كالزجاج الملوّح لا يعرف قعرها و لا يعلم كميّة مائها و ذلك أنّها اعتبرت ليعرف قرارها و مقدار مائها بمائين أذرع

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۱۱

حبال بمثقّلات فلم يوجد لها قرار و لا فى يد الخلف عن السلف منها أثر و لا خبر، و على ظهر الخابور و بنواحى عرابان و بالبعد من الخابور عن مرحلة مدن كثيرة قد غلبت عليها البادية فحكمهم دون أهلها فيها أمضى و أمرهم فى غلّاتهم و أموالهم أنفذ و أعلى كالعبيديّة و تنينير و الجحشيّة و طلبان و هذه مدن عليها أسوار لا تحصنها و قد لجأ الى الخفائر و الأذمّة أهلها فكلّمن ساقهم تبعوه و كلّمن خافوه أطاعوه فإذا ملك الفرات سلطان قادر أمنوا و إذا ضعف السلطان بنواحيهم هلكوا و غنموا، (۶) و كان من أجلّ بقاع الجزيرة و أحسن مدنها و أكثرها فواكه و مياها و متنزّهات و خضرة و نضرة الى سعة غلّات من الحبوب و القمح و الشعير و الكروم الرائعة الزائدة على حدّ الرخص نصيبين و هى مدينة كبيرة فى مستواة من الأرض و مخرج مائها عن شعب جبل يعرف ببالوسا و هو أنزه مكان بها حتّى ينبسط فى بساتينها و مزارعها و يدخل الى كثير من دورها و يغدق البرك التى فى قصورها، و كان لهم مع ذلك فيما بعد من المدينة ضياع مباخس كبار جليلة عظيمة غزيرة السائمة و الكراع دارّة الغلّات و النتاج معروفة الفرسان مشهورة الشجعان الى ديارات للنصارى و بيع و قلّايات تقصد للنزهة و تنتجع للفرحة و الفرج، (۷) و لم تزل على ما ذكرته مذ أوّل الإسلام معروفة بكثرة الثمار و رخص الأسعار تتضمّن بمائة ألف دينار الى سنة ثلثين و ثلثمائة فأكبّ عليها بنو حمدان بضروب الظلم و العدوان و دقائق الجور و الغشم و تجديد كلف لم يعرفوها و رسم نوائب ما عهدوها الى المطالبة ببيع الضياع و المسقّف من العقار حتّى حمل ذلك بنى حبيب الى أن خرجوا بذراريّهم و عبيدهم و مواشيهم و خفّهم الذى يمكن بمثله النقلة و من ساعدهم من جيرانهم و شاركهم فيما

قصدوا به من الغصب لعقارهم فی نحو عشرة آلف فارس علی فرس عتیق و سلاح شاکّ من درع و جوشن مذهّب و مغفر مدبّج و سیف یقلّ

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۱۲

شبهه و رمح خطیّ و آلة و عدّة لم تزل علی بلد الروم مطلّة یقمع بها شوکتهم و یسبی بها ذراریّهم و یخربون بالاستطالة حصونهم و یجوسون دیارهم یقدمهم نحو هذه العدّة من الجنائب العتاق و البغال الفره علیها الخدم و الخول و الموالی، فتنصّروا بأجمعهم و أوثقوا ملک الروم من أنفسهم بعد أن أحسن لهم النظر فی إنزالهم علی کرائم الضیاع و نفائس الحبی و المتاع و خیّرهم القری و المنازل و رفدهم بالنواحی الحسنة و المواشی العوامل فعادوا الی بلد الإسلام علی بصیرة بمضارّه و علم بأسباب فساده و خبرة بطرقه و معرفة بجلّه و دقّه و قلوبهم تضطرم حقدا و تفور کیدا و تلتهب ضبّا ، و قد کاتبوا من خلّفوه و راسلوا من عرفوه و لا طفوه بذکر ما بلغوه و نالوه و کان الأکثر قد قصد فی ضیاعه و حیل بینه و بین أملاکه و وظّف علیه ما لا یعرفه و ألزم من الکلف ما لم یجر بمثله علیه رسم فأطمعوهم فیما نالوه و عرّفوهم ما وصلوا الیه و ما جاؤوا فیه و له من قصد بلد الإسلام و اجتیاحه و اصطلام نواحیه و بقاعه و أنّ ملکهم أیّدهم و قوّاهم و أنعم علیهم و آواهم فلحق بهم کثیر من المتخلّفین عنهم و انتمی الیهم [۶۲ ب] من لم یک منهم فشنّوا الغارات علی بلد الإسلام و افتتحوا حصن منصور و حصن زیاد و ساروا الی کفرتوثا و دارا فأتوا علیهما بالسبی و القتل و ألحقوا أسوارهما بالأرض و ضروا بذلک فصار لهم عادة و دیدنا یخرجون فی کلّ سنة عند أوان الغلّات الی أن أتوا علی ربض نصیبین نفسها و الغربیّ من ضیاعها و تعدّوا ذلک الی أن وصلوا الی جزیرة ابن عمر فأهلکوا نواحیها و سحقوا رأس العین و عملها و ساروا الی نواحی الرقّة و بالس و عادوا الی میافارقین و ارزن فأخووا قراها و ضیاعها و عضدوا أشجارها و زروعها الی أن جعلت کالخاویة علی عروشها، و تزایدت ثقة الملک بهم و الروم فی السکون الیهم الی أن جعلت لهم الأرزاق و رسمت لهم الأعطیة و صاروا خاصّة الملک و آراء العرب أثقف

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۱۳

من آراء الروم لما یقترن بهم من الجسارة و البسالة ففتحوا له المضائق و تقدّموه فی المسالک و أطمعوه علی مرّ الأیّام و تعاقب الأعوام [.....] و هلاک السلطان و فقر الخواصّ و العوامّ فی انطاکیه و المصّیصة و حلب و طرسوس فدار لهم علیها ما کان القضاء قد سبق به و المقدار قد نفذ فیه، و عمد الحسن بن عبد الله بن حمدان الی نصیبین و اکتسح أشجارها و بذل ثمارها و عوّر أنهارها و استصفاها عمّن کان دخل الی بلد الروم و اشتری من [بعض قوم و اغتصب] آخرین فملکها إلّا القلیل و جعل مکان الفواکه الغلّات بالحبوب و السمسم و القطن و الأرزّ فصار ارتفاعها أضعاف ما کانت علیه و زادت ریوعها و سلّمها الی من بقی من أهلها و لم یمکنهم النهوض عنها و آثروا فطرة الإسلام و محبّة المنشأ و حیث قضوا لیانات الأیّام و الشباب علی مقاسمة النصف من غلّاتها الی [أیّ] نوع کانت علی أن یقدّر الدخل و یقوّمه عینا إن شاء أو ورقا و یعطی الحرّاث ثمن ما وجب له بحقّ المقاسمة فیکون دون الخمسین و لم یزالوا علی ذلک معه و مع ولده الغضنفر الی أن لحقا بأسلافهما الدجّالین فما بکت علیهم السماء و الأرض و ما کانوا إذا منظرین ، و أهلها وقتنا هذا علی أقبح ما کانوا علیه و فیه من تقدیر من ولیهم علیهم کابن الراعی لا رحمه الله و من یشبهه یستغرق أکثر الغلّة و تقویم ما یبقی من سهم المزارع بثمن یراه المقدّر و حمل ما وقع بسهمه الی مخازنهم و أهرائهم و یرضح له منه بما یسمح به لبذره و یقدّر أنّه ممسک لرمقه و عیشه فی قوته،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۱۴

(۸) و أعمال نصیبین أربعة أرباع و لکلّ ربع منها عامل و حضرت فی سنة ثمان و خمسین و قد رفع تقدیرها علی توسّط الی أبی تغلب الغضنفر بالموصل فکان حاصل دخلها من حنطة و أرزّ و شعیر و حبوب عشرة آلف کرّ و أخرج تقویم أسعارها علی خمس مائة درهم الکرّ فکان المال عند التقدیر المذکور خمسة آلف ألف درهم، و رفع لها من الجماجم عن جوالیها و لوازمها مع الزیادات فیها

فكانت خمسة آلف دينار، و رفع لها عن عشور أموال اللطف و هى ضرائب الشراب خمسة آلف دينار، و رفع القوانين المأخوذة من عراصها عن الغنم و البقر و البقول و الفواكه خمسة آلف دينار، و ما يقبض من الطواحين فى القصبة و الضياع المقبوضة و المشتراة و غلّات العقار المسقّف من الخانات و الحمّامات و الحوانيت و الدور ستّه عشر ألف دينار، [۶۳ ظ] و كانت أعمال دارا فى الربع الشمالىّ و طور عبدين أيضا و هو من أعظم رساتيقها، و رفع تقدير رستاق ابنين و هو مجاور لطور عبدين و كان لسيف الدولة بألفى كرّ حبوبا فقوّمت بألف ألف درهم، و رفع عصيرها و أسقاؤها و جماجمها و عراصها و طواحينها بثلثين ألف دينار، و هذا على أنّ البلد قد خرب و ناسه قد هلكوا ليوبق الله متّلى ذلك بما أملى له و أسّ‍ه من ظلمه و جوره، (۹) و بنصيبين عقارب قاتلة موصوفة مشهورة، و بالقرب منها جبل ماردين و من قرار الأرض الى ذروته نحو فرسخين و عليه قلعة [لحمدان ابن الحسن بن عبد الله بن حمدان] تعرف بالباز الأشهب لا يستطاع فتحها عنوة و بنواحيها حيّات موصوفة تفوق الحيّات فى سرعة القتل و مضاء المتيّ‍ة و بجبل ماردين جوهر للزجاج الجيّ‍د و يحمل منه الى سائر بلدان الجزيرة و العراق و بلد الروم فيفضل على ما سواه بجوهريّة فيه، (۱۰) و أمّا الموصل فمدينة على غربىّ دجلة صحيحة التربة و الهواء و شرب أهلها من مائها و فيها نهر يقطعها اتّخذه بنو أميّة فى وسطها و بين

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۱۵

مائها و وجه الأرض نحو ستّين ذراعا و زائد و ناقص و لم يك بها كثير شجر و لا بساتين إلّا التافه القليل اليسير فلمّا تملّك بنو حمدان و رجالهم غرسوا فيها الأشجار و كثرت الكروم و غزرت الفواكه و غرست النخيل و الخضر، و بها مسكن سلطان الجزيرة و دواوينها و مجتبى أموالها و ارتفاعها و لها أقاليم و رساتيق و مدن كثيرة مضافة اليها و ارتفاع و جبايات زادت على ما كانت عليه فى سالف الزمان لأنّ اللعين لا- رحمه اللّه أخذ ممّن كان فى جملته و خدمه أملا-كهم و اشترى الكثير منها بالقليل التافه من أعشار أثمانها و استملك رباعها و احتوى على خارجها و داخلها و استعمل فيهم من الحال ما أثره من سيرته فى بلد نصيبين فزاد قائمة و تناهى كثرة و إسرافا و ذلك أنّ للموصل أضعاف أعمال نصيبين فى فسحة الأعمال و كثرة الضياع و عظم المحلّ و غزر السكّان و أهل الأسواق إذ كانت أسواقها واسعة و أحوالها فى الشرف و الفخم ظاهرة، و هى مدينة أبنيتها بالجصّ و الحجارة كبيرة غنّاء و أهلها عرب و لهم بها خطط و أكثرهم ناقلة الكوفة و البصرة و كانت من عظم الشأن بصورة أكابر البلدان و كان بها لكلّ جنس من الأسواق الاثنان و الأربعة و الثلاثة ممّا يكون فى السوق المائة حانوت و زائد و بها من الفنادق و المحالّ و الحمّامات و الرحاب و الساحات و العمارات ما دعت اليها سكّان البلاد النائية فقطنوها و جذبتهم اليها برخصها و ميرها و صلاح أسعارها فسكنوها، و هى فرضة لاذربيجان و ارمينيه و العراق و الشأم و لها بواد و أحياء كثيرة تصيّف فى مصائفها و تشتو فى مشاتيها من أحياء العرب و قبائل ربيعة و مضر و اليمن و أحياء الأكراد كالهذبانيّة و الحميديّة و اللاريّة و كانت بها بيوت فاخرة و قوم أهل مروءة ظاهرة لهم من التناية

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۱۶

يسار و بأملاكهم و يسارهم على الأيّام استطالة و اقتدار كبنى فهد و بنى عمران من وجوه الأزد و أشراف اليمن و بنى شخاج و بنى اود و بنى زبيد و بنى الجارود و بنى أبى خداش [۶۳ ب] و الصدامّيين و العمريّين و بنى هاشم و غير ذلك فمزّقهم جور بنى حمدان و بدّدهم فى كلّ صقع و مكان بعد انتزاع أملاكهم و قبض ضياعهم و إحواج أكثرهم الى قصد الأطراف و الشتات فى أعماق الأكناف بعد أن كانوا مقصودين و الى السؤال بعد أن لم يزالوا مسئولين فمن هالك فى نجف و مضطهد فى طرف و معرّض نفسه للحين و التلف، [أمّا فى زماننا هذا و هو سنة ستّين و خمس مائة فقد عمّرت عمارة لم تكن قطّ منذ أسّست حتّى أنّ العمارة قد استولت عليها و لم يبق بها موضع فامتدّت العمارة الى خارج السور و صار فى خارجها أسواق و حمّامات و فنادق و غير ذلك من المرافق،] و فى ذكر تقدير البلد ما يدلّ على ما كان عليه من العتاد و العدد و وصف ارتفاعه ما يعرب عن حاله و أصقاعه و مكانه و أوضاعه و يغنى عن الإطالة فى وصف شرفه و شأنه و قوانينه الواصلة الى سلطانه و هى الدليل على أوصاف أهله و شأنهم فى ذات أنفسهم، و قد تقدّم القول بذلك و أنّ قوام الدنيا و أهلها بالأموال إذ محلّهم فى أنفسهم و كيفيّتهم فى عيشهم و سياستهم فى مروءاتهم بمقدار ما يملكونه

و به يمكنهم المروءة و الأفضال و التصرّف فى كلّ جهة و حال و هذه عبرة لجميع العقلاء و مرآة لسائر الفهماء و إن خرج بالخصوص عن حدّ العموم فى هذه القضيّة قوم لم يحكم بهم و لا يلتفت الى سيرتهم و سياستهم، (۱۱) و للموصل نواح عريضة و رساتيق عظيمة و كور كثيرة غزيرة الأهل و القرى و القصور و المواشى الى غير ذلك من أسباب النتاج و السائمة من الأغنام و الكراع فمن ذلك رستاق نينوى و كانت به مدينة فى سالف الزمان تجاه الموصل من الجانب الشرقىّ من دجلة آثارها بيّنة و أحوالها

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۱۷

ظاهرة و سورها مشاهد و كانت البلدة التى بعث الله تعالى الى أهلها يونس ابن متّى عليه السلم، و يحادّ هذا الرستاق على جلالته و عظمه و قربه الى حوزته رستاق المرج و هو أيضا فسيح واسع كثير الضياع و الماشية و الكراع و فيه مدينة تعرف بسوق الأحد و فيها أسواق و لها موعد لأوقات يحضر فيها السوق يجتمع فيه المتاع و سائر التجارة و الاكرة و الأكراد و كانت مدينة كثيرة الخير خصبة تحادّ الجبل على نهر يقرب منها يطرح ماؤها الى الزابى الكبير، و يجاور هذا الرستاق أرض حزة و رساتيقها و هو إقليم بينه و بين أعمال المرج الزابى الكبير و فيه مدينة تعرف بكفر عزى يسكنها قوم من الشهارجة نصارى ذو يسار و هى مدينة قصدة فيها أسواق و ضياع و بها خير و رخص و منها يمتار الأعراب و ينزل فى نواحيها الأكراد، و قردى و بازبدى رستاقان عظيمان متجاوران فيهما الضياع الجليلة الخطيرة التى تكيل الضيعة دخلا فى كلّ سنة ألف كرّ حنطة و شعير أو حبوب قطان و لها من مرافق الجوالى بالجماجم و أموال اللطف ما يقارب دخل غيرها من الضياع، و رستاق باهدرا و هو أيضا عظيم جليل الضياع و الدخل و المرافق و العائدة، و رستاق الخابور و فيه مدن كثيرة و أعمال واسعة تجاور رستاق سنجار و نواحى الحيال و للجميع من الدخل الكثير عن سائر وجوه الغلّات و الفواكه اليابسة و الرطبة، و رستاق معلثايا و فيشابور و هما رستاقان خطيران معدودان فى نفائس الأعمال و محاسن الكور بكثرة الغلّات و الخيرات و التجارات، (۱۲) و حضرت مدينة الموصل آخر دخلة دخلتها سنة ثمان و خمسين [۶۴ ظ] فألفيت ارتفاعها من الحاصل دون قسمة المزارعين بنينوى و المرج و كورة حزة ستّة آلف كرّ حنطة و شعيرا قيمتها من الورق ثلثة آلف ألف درهم و من الحبوب و القطانى ثلثمائة كرّ قيمتها من العين عشرة آلف دينار

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۱۸

و من الورق [.....] عن وجوه أوجب اجتباؤها من جوال و ضمانات [و مرافق بيت المال] ردّت علينا عشرة آلف دينار دون ضياع و سمت بضياع الإخوة فى هذه النواحى [الثلاث] المتقدّم ذكرها و هى أملاك بأيديهم و دخلها حاصل لهم استوفاه كتّابهم أربعة آلف كرّ حنطة و شعيرا قيمتها من الورق ألفا ألف درهم، قال الرافع و توابعها من مواجب بيت مال السلطان ألفا دينار قيمتها من الورق ثلثون ألف درهم، و ذكر أموال الناحية المتقبّل عراصها و جزائرها و بساتينها و المستغلّات المختزلة من أصحابها و المشتراة و مال اللطف و الجوالى بألفى ألف درهم، و ذكر باعربايا و هى من نواحيها و رساتيقها و حدّها فقال من باعيناثا الى نهر سريا من دون اذرمه بفرسخ طولا و عرضها من نواحى سنجار الى أن تصاقب بازبدى و الحاصل دون الواصل بحقّ المقاسمة الى الأكرة و المزارعين ثمنية آلف كرّ حنطة و شعيرا قيمتها من الورق دون زيادة الصنجة و حقّ الخزن أربعة آلف ألف درهم و فيها من الأحلاب و الجوالى، و عرصة برقعيد ألفا دينار قيمتها من الورق ثلثون ألف درهم، و ذكر بازبدى فقال حدّها من الضيعة المعروفة بالمقبلة و الأحمدىّ و باعوسا و البيضاء الى حدود الجزيرة و دخلها من الحنطة و الشعير الحاصل ألفا كرّ قيمتها من الورق [ألف ألف درهم و لها من وجوه الأموال المذكورة المشهورة ألفا دينار و قيمتها] ثلثون ألف درهم ، و باهدرا و هى من حدّ المغيثة الى الخابور و من معلثايا الى فيشابور و الحاصل دون الواصل الى المزارعين بحقّ المقاسمة من الحنطة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۱۹

و الشعير ثلثة آلف كرّ قيمتها مائة ألف دينار، قال و بها من المال عن وجوه أسقائها و مياهها ثلثون ألف دينار، قال و قردى و هى الجزيرة المعروفة بابن عمر و جبل باسورين و نواحيه الى حدود باعيناثا الى طنزى و شاتان و الحاصل دون الواصل الى المزارعين من

الحنطة و الشعير ثلثة آلف كرّ قيمتها مائة ألف دينار و بها من المال من وجوه الطواحين و الجوالى و ما أشبه ذلك ثلثون ألف دينار، فالحاصل على التقريب من جميع أعمالها و جباياتها عن قيمة عين جبى من الورق [ستّة عشر ألف ألف درهم و مائتا ألف و تسعون ألف درهم]، (۱۳) و من أسافل الموصل مدينة تعرف بالحديثة و بينهما تسع فراسخ كثيرة الصيود واسعة الخير فى ضمن الموصل عملها و بالموصل تجتبى أموالها و لها عامل بذاته على استيفاء أموالها فربّما عملت بالأمانة و ربّما كانت بضمان و قلّما ضمنت لأنّ أحوالها تزيد و تنقص، (۱۴) و كان بالموصل فى وسط دجلة مطاحن تعرف بالعروب يقلّ نظيرها فى كثير من لأرض لأنّها قائمة فى وسط ماء شديد الجرية موثّقة بالسلاسل الحديد فى كلّ عربة منها أربعة أحجار و يطحن كلّ حجرين فى اليوم و الليلة خمسين و قرا و هذه العروب من الخشب و الحديد و ربّما دخل فيها شىء من الساج، و كانت ببلد المدينة التى عن سبعة فراسخ منها عروب كثيرة دارت إعمالا [۶۴ ب] و جهازا الى العراق فلم يبق منها شؤم ابن حمدان و لا من أهلها باقية، [و بمدينة الحديثة منها عداد تعمل فى وسط دجلة و قد ملك بنو حمدان متاعها حسب ما ذكرته من حال الموصل و سائر ديار ربيعة و ارتفاعها نحو خمسين ألف دينار،] و كان بالفرات للرقّة [و قلعة جعبر] ما لا يدانى هذه العروب و لا ككثرتها، و بمدينة

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۲۰

تفليس فى نفس الكرّ منها شىء به تقوم أقوات أهل تفليس و هى دونها فى الفخم و العظم، و بتكريت و عكبرا و البردان منها شىء باق، و لم تبق بركة بنى حمدان بالموصل إلّا ستّة أو سبعة منها و ليس ببغداذ شىء منها، (۱۵) و بلد المذكورة فكانت مدينة كثيرة الغلّات و الأموال و الجهاز و المشايخ المذكورين بالعراق فى حسن اليسار و سعة الأحوال الى أن وضع الملقّب بناصر الدولة عليهم يده و استفرغ فيهم جهده فلم يبق لهم باقية و بدّدهم فى كلّ قتر و زاوية و لم يبق لهم ثاغية و لا راغية حتّى أكلتهم الشدائد و صبّت عليهم بشؤمه المصائب فهم كما قال بعض سكّان مكّة من خزاعة عند خروجهم منها

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفاأنيس و لم يسمر بمكّة سامر

و كان لبلد فى ظاهرها بين غربها و شمالها مكان يعرف بالاوسل نزه كثير الشجر و الثمر و الخضر و الفواكه و الكروم فقصدها اللعين المشؤوم بما قصد به الموصل فهو كالبور مع شرف حال هذا الاوسل و مكانه من الريع إذا زرع و فى أعاليه ساقية تسقى شيئا من الأرض إذا زرعت بماء تافه ترب، (۱۶) و مدينة سنجار على تسعة فراسخ من بلد و هى فى وسط البرّيّة و فى سفح جبل خصب و لها أنهار جارية و عيون مطّردة و أسقاء و مباخس و ضياعها قريبة الحال و عليها سور من حجر يمنع عن أهلها عند تظافرهم و قد شابها من نسيم الزنيم و نالها من البلاء ما يشبه الزمان، و بها مع رخص أسعارها و كثرة خيرها و فواكهها الصيفيّة فواكه شتويّة ممّا يكون اختصاصه فى بلاد الصرود كالسماق و الجوز و اللوز و الزيتون و الأترجّ و السمسم و الرمّان الكبير المحفّف حبّه الدائم الى العراق و النواحى جهازه و حمله، و بقرب سنجار بين شمالها و غربها الحيال و هو واد من أودية ديار ربيعة فيه مشاجر و ضياع و كروم و خصب و أبّ يسكنه قوم من العرب قاطنين فيه

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۲۱

مخفرين من بنى قشير و نمير و عقيل و كلاب و ليس بالجزيرة مدينة ذات نخيل فى وقتنا هذا أكثر من سنجار إلّا أن يكون على الفرات و نواحى هيت و الانبار، (۱۷) و بين بلد و نصيبين برقعيد و أذرمة فأمّا برقعيد فمدينة كثيرة الزرع من الحنطة و الشعير و يسكنها بنو حبيب قوم من تغلب و فيها مغوثة لبنى السبيل و فى أهلها بعض شرّ لأنّهم من سنخ بنى حمدان و شرب أهلها من الأبآر و ليس بها بستان و لا كرم، و منها الى مدينة اذرمة ستّة فراسخ و كانت مدينة صالحة كثيرة الغلّات و قد فتحها الروم لمّا خرجوا الى نصيبين و أتى المتنصّرة عليها و لم يبق بها إلّا نفر و صبابة لا تجد الى النقلة عنها وجها و لا تعرف سبيلا، و منها الى نصيبين تسعة فراسخ، و من نصيبين الى دارا مدينة أزليّة كانت للروم طيّبة فى نفسها كثيرة الغلّات و الخيرات و الخصب فى جميع وجوه الخصب من المآكل و المشارب و ما تحويه فكالمجان، و إن كانت هذه الحال [۶۵ ظ] فى جميع هذه الديار عامّة و بها مشهورة فإنّ الذى أخرجها عمّا

كانت عليه و نقلها من أحوالها الى ما هى به و مضافة اليه ما قدّمت ذكره، و كفرتوثا بين دارا و رأس العين مدينة سهليّة و كان حظّها من كلّ خير جزيلا و وصفها مذ كانت فحسن جميل الى أن افتتحها الروم و كانت فى مستواة من الأرض و لها شجر و ثمر و مزدرع و ضياع فى سنة افتتاحهم رأس العين ، [و فى زمان المؤلّف افتتحها الروم و الآن فهى للمسلمين و العاقبة للمتّقين]، (۱۸) و كانت رأس العين مدينة ذات سور من حجارة نبيل و كان داخل السور لهم من المزارع و الطواحين و البساتين ما كان يقوتهم لولا ما منوا به من الجور الغالب و البلاء الفادح ممّن لا رحم الله منهم شعرة و لا ترك من نسلهم أحدا ليجعلهم آية و عبرة، و كان يسكنها العرب و بها لهم خطط و فيهم ناقلة من الموصل أصلهم و فيها من العيون ما ليس ببلد من

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۲۲

بلدان الإسلام و هى أكثر من ثلثمائة عين ماء جارية كلّها صافية يبين ما تحت مياهها فى قعورها على أراضيها و فيها غير عين لا يعرف لها قرار و غير بئر عليها شبابيك الحديد و الخشب و يقال أنّها خسيف و قد جعل الشبّاك دون وجه الماء بذراع و نحوه ليحفظ ما يسقط فيها و يقال أنّهم اعتبروا غير بئر بمائين أذرع حبال فلم يبلغوا قعرها و تجتمع هذه المياه حتّى تصير نهرا واحدا و يجرى على وجه الأرض فيعرف بالخابور و يقع الى نواحى قرقيسيا و كان عليه لأهل رأس العين نحو عشرين فرسخا قرى و مزارع و كان لهم غير رستاق و ناحية كبيرة كثيرة الضياع و الأشجار و الكروم على هذه المياه الجارية المذكورة و كان لهم أيضا ضياع مباخس و أعذاء فى ضياعها و مزارعها فلم يبق بالقصبة لهم إلّا نويس فى نفسها على ترقّب من الروم و العرب قد لجؤوا الى بعض قصورها و جعلوه حصنا يأوون اليه عند خوفهم، و نهر الخابور المذكور عليه مدائن كثيرة قد شكّلتها و وصفتها كمدينة عرابان و هى مدينة لطيفة كثيرة الأقطان و ثياب القطن تحمل منها و تجهّز الى الشأم و غيرها و عليها سور صالح منيع و من ورائه منعة بمن فيه من الرجال و اليها سكير العبّاس و هى أيضا مدينة لطيفة فيها غلّات و بها رجال و كذلك طلبان و الجحشيّة و تنينير و العبيديّة مدن تتقارب أوصافها و فيها ما له إقليم كبير و رستاق واسع و عمل صالح و دخل و أشجار و كروم و سفر جل موصوف، (۱۹) و مدينة آمد على جبل من غربىّ دجلة مطلّ عليها من نحو خمسين قامة و عليها سور أسود من حجارة الأرحية و يسمّى ذلك السور ميمونا لشدّة سواده [و ذلك أنّه من حجارة أرحية الجزيرة] و ليس لحجارته فى جميع الأرض نظير و منها ما يساوى الحجر للطحن به بالعراق من خمسين دينارا الى أكثر و أقلّ و سور خلاط و جامعها و أكثر أبنيتها من

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۲۳

هذه الحجارة و كذلك جامعها غير أنّها أصغر منها و أقلّ سمكا فى عرض و طول، و بآمد مزدرع داخل سورها و مياه و طواحن على عيون تنبع منها و كان لها ضياع و رساتيق و قصور و مزارع برسمها هلكت [۶۵ ب] بضعفهم و اقتدار العدوّ عليهم و قلّة المغيث و الناصر و لم يبق للمسلمين ثغر أجلّ و لا أمنع جانبا سوره منه و قلّما ينفع السور بغير رجال و السلاح بغير مقاتل و إن دام عليهم ما هم به خيف عليهم لأنّ سلاطينهم أكثر ما يظهر منهم الرغبة فيها إرادة التسمية على منابرها و الدعاء لهم بها دون ما يجب لأهل الثغور على الملوك من تقوية بالمال و الكراع و الرجال و العدّة و العتاد و قلّما بقى ثغر بالمنى أو ينفعه التسمّى على منابره بالألقاب و الكنى أو نكى فى عدوّه شيء ممّا يظاهر به أهل زماننا و ملوكنا من ذلك لأنّهم بالجمع و المنع فى شغل عن صلاح الرعايا و تأمّل الرزايا و كأنّى به و قد قيل اسلمه أهله أو دخل تحت الجزية من فيه، و الله من ورائه دافعا و مانعا ، [قال كاتب هذه الأحرف دخلتها سنة أربع و ثلثين و خمس مائة و لم يكن بها إلّا بقايا رمق و فيها من الصدور و الأجلّاء و الرؤساء و المشايخ و الفضلاء و أرباب العلم و الحكم و أصحاب الفقه و الأدب و ذوى اليسار و المروءة و الإفضال و الكرم و النوال و مؤاساة الغريب و القريب جماعة فلم يزل بها جور بنى نيسان و ظلمهم و كثرة الاضطهاد و الإجحاف و المصادرات و التضييق عليهم و مطالبتهم برسوم و مؤن وضعوها لم تك فيها قبل و تكلفهم ما لا يطاق فألجأهم ذلك الى التشتّت عن الأوطان و البعد عن الأهل و الإخوان فخربت بيوتهم و انمحت آثارهم فلم يبق بأسواقها حانوت معمور فضلا أن يقال مسكون و مع ذلك وسمهم بسمة رديّة بحيث كان أحدهم إذا دخل بلدة و قصد ناحية غيّر

اسمه و أنكر بلده خوفا على نفسه و صيانة لعرضه و دمه الى أن فرّج الله عمّن بقى بها و افتتحها الملك العالم العادل المؤيّد المظفّر المنصور نور الدين فخر الإسلام أبو عبد الله محمّد بن قرا ارسلان بن داود بن سكمان الارتقيّ خلّد الله دولته و ثبّت و طأته و ذلك

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۲۴

فى أوّل سنة تسع و سبعين و خمس مائة فأطلق لهم الأبواب و رفع المكوس و محى تلك الرسوم المذمومة و فعل فعل الأكارم الأجواد الطلّاعين فى الفضل ذروة الأنجاد مغتنما للذكر الجميل و الأجر الجزيل و الآن قد دبّت الحيوة فى عروق أهلها اليها و إفاضة العدل من مالكها عليها إن شاء الله تعالى و هو الموفّق و المعين]، (۲۰) [و ميّافا قين مدينة جليلة عظيمة الخطر عليها سور من حجارة و فصيل و خندق عميق مصطكّة العمارة ضيّقة الأسواق و بها مسجد جامع لا بأس به و الفواكه و الأشجار و الأنهار محتفّة بها و فى هوائها و خامة ما، و ماردين حصن حصين منيع لا يرام و لا يقدر عليه مبنيّ على قلّة جبل شاهق فى الهواء و هو مشرف على تلك الجبال شرقا و غربا شمالا و جنوبا لا يدانيه قلّة جبل البتّة و فيه من الذخائر و العدّة و الأسلحة ما لا يمكن حصره و من تحته فى ناحية الجنوب ربض عامر منغصّ بالسكّان ضيّق الأسواق و ليس بين أيديهم حائل يمنعهم من النظر الى برّيّة رأس العين و الخابور و سنجار و مياههم من عيون مجرورة فى قنوات و قد استحدثوا الآن الصهاريج و البرك ليجمعوا ماء المطر حيث كثر الخلق و ازدادت العمارة و لهم الفواكه الكثيرة اللذيذة و الكروم الواسعة و الهواء الصحيح و الرخص، و تحتها فى الصحراء من جانب القبلة على أربع فراسخ منها أو أقلّ موضع يعرف بسوق دنيسر كان قبل هذا قرية يجتمع الناس فى صحرائها كلّ يوم أحد للبيع و الشرى فانعمرت الآن عمارة كثيرة و اتّخذ بها الخانات و الفنادق و الحمّامات و الأسواق و البيع و الشرى يجلب اليها الجهاز من سائر البلدان قد استوطنها الناس من كلّ فجّ عميق و كثر بها الارتفاع و الضمانات، و أمّا حصن كيفا فهى قلعة حصينة منيعة ذات شعب مدفونة بين الجبال سوى جانبها المشرف على الدجلة من الجانب الغربيّ عن الدجلة و فيها شعاب و أودية لا يقدر عليها و بين يديها على الدجلة قنطرة عالية حسنة البناء استحدثها الأمير فخر الدين قرا ارسلان بن داود فى عشر خمس مائة و تحتها ربض عامر فيه الأسواق و الحمّامات و الفنادق و المساكن الحسنة و بناؤهم بالحجر و الجصّ و لها رساتيق كثيرة و ضياع عامرة و هى و خمة الهواء و بيّة لا سيّما فى الصيف]، (۲۱) و جزيرة ابن عمر مدينة صغيرة لها أشجار و ثمار و مياه و مرافق و خصب و عليها سور و لمّا بلغها الروم لم يقفوا عليها و بينها و بين الموصل

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۲۵

ثلثون فرسخا و هى أيضا على شفا جرف بين الخوف و الرجاء و بها تجارة دائمة لو تركتها السلاطين و ربح و مضطرب لو لم يجر فيها حكم الشياطين و الخوارج و هى فرضة لارمينيه و بلاد الروم و نواحى ميافارقين و ارزن و تصل منها الى الموصل المراكب مشحونة بالتجارة كالعسل و السمن و المنّ و الجبن و الجوز و اللوز و البندق و الزبيب و التين الى غير ذلك من الأنواع و هى أحسن تلك الناحية عمارة و أرجاها سلامة لوفور أهلها و كثرة خصبها و ليست كارزن و ميافارقين من خلوّ المنازل و عدم الأكرة و أهل الضياع و قلّة الماشية و الكراع، و الجزيرة متّصلة بجبل ثمنين و باسورين و فيشابور و جميعها فى الجبل الذى منه جبل الجوديّ متّصل بآمد من جهة الثغور و أعالى البلد بأعمال مرعش و اللكام و بأسافلها، فلا يبعد من دجلة الى مدينة السنّ التى على شرقيّ دجلة فى حدود جبل بارمّا و يتّصل بجبال شهرزور، و السنّ مدينة لطيفة بينها و بين تكريت بضعة عشر فرسخا عليها سور قد خرب أكثره و فى أهلها جور و شرّ و بينهم حنات و ضغائن و ليست ببعيدة الخراب، و بينها و بين مدينة البوازيج أربعة فراسخ و هى مدينة على الزاب الصغير من غربيّه يسكنها قوم خوارج الغالب عليهم إيواء اللصوص و فعل القبائح و شرى السرقات و ما يأخذه بنو شيبان من قطع الطريق، والى مدينة السنّ مصبّ الزاب الأصغر فى دجلة عن غلوة منها و السنّ مضمومة الى عمل الجزيرة و ليس البوازيج منها و لا فى ضمنها لأنّها مذ كانت لمن غلب، (۲۲) و ديار مضر فهى من هذه الجزيرة قائمة حدودها و كذلك ديار بكر و ديار ربيعة تعرف كلّ ناحية من المجاورة لها بأوصافها و أقطارها و حدودها و مدنها، و أجلّ مدينة لديار مضر الرقّة و هى و الرافقة مدينتان كالمتلاصقتين و كلّ واحدة بائنة من الأخرى بأذرع كثيرة و فى كلّ واحدة منهما مسجد جامع [۶۶ ظ] و هما على شرقيّ الفرات و كان لهما عمارة و

أعمال و رساتيق و كور فقلّ حظّهما من كلّ حال و ضعفت بما حمّلها سيف الدولة

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۲۶

تجاوز الله عنه من الكلف و النوائب و المغارم و مصادرة أهلها مرّة بعد أخرى و كانت خصبة رخصة الأسعار حسنة الأسواق و فى أهلها و لاء لبنى أميّة شديد، و فى غربىّ الفرات بين الرقّة و بالس أرض صفّين و بها قبر عمّار بن ياسر و أكثر أصحاب علىّ عليه السلم و صفّين أرض على الفرات مطلّة من شرف عالى السمك [و يرى من كان بالفرات منه عجبا و ذلك أنّه يرى قبورا فى موضعين أحدهما أعلى من الآخر و يعدّ فى أحد الموضعين دون العشرة قبور و فى الآخر نحو عشرين قبرا و يصعد الى المكان فلا يرى لذلك أثرا و لا يحسّ منه خبرا و إنّى لأستقبح أن أحكى هذه الحكاية و لكنّى بلغتنى فكذّبتها ثمّ رأيتها فلزمنى حكايتها تصديقا لمن تقدّم بالحكاية اليّ و إن عرّضت نفسى للتهم] على أنّ أكثر من قتل من أصحاب علىّ هناك معروفة قبورهم، [و خبّرنى من رأى هنالك بيتا ينسب أنّه كان بيت مال علىّ بن أبى طالب عليه السلام]، و حرّان مدينة تلى الرقّة فى الكبر و هى مدينة الصابئين و بها سدنتهم و لهم بها طربال كالطربال الذى بمدينة بلخ عليه مصلّى الصابئين يعظّمونه و ينسبونه الى إبراهيم و هى بين تلك المدن قليلة الماء و الشجر و زروعها مباخس و كان لها غير رستاق عظيم و كورة جليلة فافتتح الروم أكثرها و أناخت بنو عقيل و بنو نمير بعقوتها و ببقعتها فلم يبق بها باقية و لا فى رساتيقها ثاغية و لا راغية و هى مدينة فى بقعة يحتفّ بها جبل مسيرة يومين فى مثلها و جميعها مستواة، و مدينة الرها فى شمال هذه البقعة و كانت وسطة من المدن و الغالب على أهلها النصارى و بها زيادة على ثلثمائة بيعة و دير ذى صوامع فيه رهبانهم و بها البيعة التى ليس للنصرانيّة أعظم و لا أبدع صنعة منها و لها مياه

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۲۷

و بساتين و زروع كثيرة نزهة و هى أصغر من كفرتوثا و كان بها منديل لعيسى بن مريم فخرج نقفور فى بعض خرجاته و نزل بهم و حاصرهم و طالبهم به فسلّموه اليه على هدنة واقفوه على مدّتها، [و هذه البيعة قد خرب أكثرها و لم يبق منها إلّا الطاق الأعظم فى تأريخ ثمانين و خمس مائة] ، و جسر منبج و سميساط مدينتان نزهتان ذواتا مياه و بساتين و مباخس و أشجار و هما عن غرب الفرات فى حال اختلال و رزوح حال، (۲۳) و أمّا قرقيسيا فمدينة على الخابور و لها بساتين و أشجار كثيرة و فواكه و هى فى نفسها نزهة و يجلب من فواكهها و فواكه الخابور الى العراق فى الشتاء و إن كان الاختلال قد شابها و بينها و بين مدينة الخانوقة يومان و هى مدينة لطيفة رزحة الحال وقتنا هذا [ابتناها ملك بن طوق صاحب الرحبة] ، و رحبة ملك بن طوق أكبر منها و هى كثيرة الشجر و المياه فى شرقىّ الفرات و قد عراها الاختلال و هى ذات سور صالح و لها نخيل و ثمر و سقى كثير من جميع الغلّات، و هيت مدينة وسطة عن غربىّ الفرات و عليها حصن و هى أعمر المدن المتقدّم ذكرها و تحاذى تكريت فى الحدّ الغربىّ من العراق و تكريت فى شمال العراق و بهيت قبر عبد الله بن المبارك الزاهد العابد الأديب، و الانبار بلد السفّاح و كانت داره التى يسكنها عامرة آهلة كثيرة النخل و الزروع الجيّدة و الثمار و الأسواق الحسنة على شرقىّ الفرات فتغيّرت و خربت و منها أبو بكر بن مجاهد صاحب القراآت و من لم يساوه فى القراآت أحد و نجم منها غير رئيس فى صناعة الكتابة و الفقه و العلم، (۲۴) [۶۶ ب] و بالجزيرة براريّ و مفاوز و سباخ بعيدة الأقطار تنتجع

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۲۸

لامتيار الملح و الأشنان و القلى و كان يسكنها قبائل من ربيعة و مضر أهل خيل و غنم و إبل قليلة و أكثرهم متّصلون بالقرى و بأهلها فهم باديه حاضرة فدخل عليهم فى هذا الوقت من بطون قيس عيلان الكثير من بنى قشير و عقيل و بنى نمير و بنى كلاب فأزاحوهم عن بعض ديارهم بل جلّها و ملكوا غير بلد و إقليم منها كحرّان و جسر منبج و الخابور و الخانوقة و عرابان و قرقيسيا و الرحبة فى أيديهم يتحكّمون فى خفائرها و مرافقها، (۲۵) و الزابيان نهران عظيمان كبيران إذا جمعا كانا كنصف دجلة و أكثر و هما من شرقيّها و مخرجهما من الجبال التى بين نواحى اذربيجان متسرّبة من أقتار ارمينيه و نواحى اذربيجان من جنوبيّها و بين ذين النهرين مراع كثيرة و

بلاد كانت الضياع بها ظاهرة و السكّان بها الى عن قريب على حال صالحة وافرة فتكاثرت عليهم البوادى و اعتورتهم الفتن فصارت قفارا من السكّان يبابا بعد العمران و هى فى الشتاء متشاتى للأكراد الهذبانيّة و مصائف لبنى شيبان، (۲۶) و مدينة تكريت على غربىّ دجلة و أكثر أهلها نصارى مطلّة على جبل عظيم شاهق و على ظهر هذا الجبل منها الموضع المعروف بالقلعة و كانت حصنا ذا مساكن و محالّ يشملها [۶۷ ظ] سور حصين و هى قديمة أزليّة و تجمع سائر فرق النصارى و بها من البيع و الأديرة القديمة التى تقارب عهد عيسى عليه السلم و أيّام الحواريّين لم تتغيّر أبنيتها و ثاقة و جلدا و من أعظم بيعة بها محلّا و أقدمها بيعة الخضراء، و أبنيتهم بالجصّ و الحجر و الآجرّ و الحصى ، و من أسفل تكريت يشقّ نهر الدجيل الآخذ من دجلة على بعض مساكن تكريت و فى فنائها مارّا الى سواد سرّ من رأى فيعمره الى بغداذ، (۲۷) و عانة مدينة صغيرة فى وسط الفرات يطوف بها خليج من

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۲۹

الفرات و بالفرات غير مدينة كهى فى جزيرة قد أحاط بها الماء و قرية حسنة ذات شجر و مساكن و جامع و من ذلك القغنبى و العبدلية و النهية و تقارب أصاغر المدن فى الحال و تلتفّ مشاجرها بالنخيل و الكروم و الحديثة و لها جامع و أسواق و تانئة و أهل لهم عدد و ألوس و هى دونها و لها جامع و سوق و الخزانة و تقارب ألوس فى الحال و هذه المدن و إن كانت فى الماء و قد أحاط بها فلها مزارع و قرى و أكرة و قصور من جانبى الفرات يكثر خيرها و يبين على أهلها نفعها و ريعها ، و الدالية مدينة صغيرة بشطّ الفرات عن غربيّه و بها أخذ صاحب الخال الخارج بالشأم على بنى العبّاس، (۲۸) [۶۷ ب] و جبل الجودىّ بقرب الجزيرة و فيه القرية المعروفة بثمنين التى يقال أنّ سفينة نوح عليه السلم استقرّت عليه لقوله تعالى و استوفت على الجودىّ ، [و يتّصل هذا الجبل كما ذكرت بالثغور باللكام و يقال أنّ جميع من كان مع نوح عليه السلم فى السفينة ثمانون رجلا فبنوا هذه القرية و لم يعقب منهم أحد فسمّيت باسم عددهم]، (۲۹) و حصن مسلمة فإنّ مسلمة بن عبد الملك اتّخذه و كانت طائفة من بنى أميّة تسكنه من تلقاء الفرات و فى حاجره و كان شرب أهله من السماء و أرضه مباخس، و تلّ بنى سيّار مدينة كانت صغيرة و كان أكثرها للعبّاس بن عمرو الغنوىّ و قومه فخربت فى مدّة أدركتها ثمّ عمرت و قد عادت الى الخراب حالها بعد أن تراجع اليها أهلها و هى على مرحلة من رأس العين و اتّصل خراب تلّ بنى سيّار بخراب باجروان و كانت منزلا

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۳۰

خصبا نزها واسعا و كانت عن منكب طريق حرّان الى الرقّة، و سروج رستاق له مدينة خصبة تعرف بسروج عن شمال طريق حرّان الى جسر منبج حصينة ذات سور كثيرة الأعناب و الفواكه و الزبيب و يعمل من زبيبها لكثرته الربّ و يتّخذ منه الناطف و هى من حرّان على يوم، (۳۰) و هذه جمل أخبار الجزيرة و أوصافها و جميعها قد تغيّرت آثارها و انتقلت أحوالها الى النقص و الاستحالة،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۳۱

[العراق]

(۱) و أمّا العراق فإنّه فى الطول من حدّ تكريت الى عبّادان و عبّادان مدينة على نحر بحر فارس و عرضه من القادسيّة على الكوفة و بغداذ الى حلوان و عرضه بنواحى واسط من سواد واسط [۶۸ ظ] الى قرب الطيب و بنواحى البصرة من البصرة الى حدود جبّى، و الذى يطيف بحدوده من تكريت فيما يلى المشرق حتّى يجوز بحدود سهرورد و شهرزور ثمّ يمرّ على حدود حلوان و حدود السيروان و الصيمرة و حدود الطيب و السوس حتّى ينتهى الى حدود جبّى ثمّ الى البحر فيكون فى هذا الحدّ من تكريت الى البحر تقويس و يرجع على حدّ المغرب من وراء البصرة فى البادية على سواد البصرة و بطائحها الى واسط ثمّ على سواد الكوفة و بطائحها الى الكوفة ثمّ على ظهر الفرات الى الانبار ثمّ من الانبار الى حدّ تكريت بين الدجلة و الفرات و فى هذا الحدّ من البحر على الانبار الى تكريت تقويس أيضا، و هذا المحيط بحدود العراق و ستأتى أوصافه مفصّلة إن شاء الله، (۲) و الصورة التى فى باطن هذه الصفحة صورة

العراق، [۶۸ ب] إیضاح ما یوجد فی صورة العراق من الأسماء و النصوص، قد صوّر فی أعلی الصورة بحر فارس و ینصبّ فیه نهر دجلة قاطعا لوسط الصورة، و یقرأ فی القسم الأعلی من الصورة من جانبی النهر صورة العراق، و فی الزاویتین الأعلایین جنوب العراق و مشرق العراق، و کتب من جانبی النهر علی شکل خطّین مقوّسین حدّ العراق و موازیا للخط الأیسر حدود خوزستان ثمّ حدود الجبل ثمّ حدود اذربیجان، و فی أسفل الصورة فی الزاویة الیمنی مغرب العراق،

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۳۳

و قد رسم علی جانب النهر الأیمن ابتداء من البحر من المدن عبادان، الابله، الابله مرة ثانیة، واسط، نهر سابس ، ثمّ شکل مدینة لا اسم فیها ثمّ النعمانیه، المدائن، بغداذ، تکریت، الموصل، بلد، و یأخذ من الابله نهر الابله و حذاء نهایته مدینة البصره، و عن یمین البصرة شکّلت دائرة کتب حولها بطائح البصره و ما علیها من القری و الأعمال و یأخذ من تلک الدائرة نهر ینصبّ فی دجلة عند واسط و فی وسط هذا النهر دائرة ثانیة یقرأ حولها مرّة أخری بطائح البصره و ما علیها من القری و الأعمال و بین هذه الدائرة و ماء البصرة نهر یقرأ عنده نهر معقل، و عن یمین ذلک ناحیة متّصلة بخطّ الحدّ کتب فیها رایغة من بلاد الکوفه و البصره و من وراء الخطّ بهذه الزنقة رمل أصفر متّصل برمال البصره و البادیة و الهبیر، ثمّ یقع من أسفل ذلک علی الخطّ المقوّس من المدن القادسیه و عن یسارها الکوفه ثمّ الحیره، و یوازی نهر دجلة فی القسم الأسفل من الصورة نهر الفرات و یتشعّب فی عدّة شعب تأخذ اثنتان منها الی بغداذ و هما الصراه و نهر عیسی، ثمّ عن یمینهما نهر صرصر و علیه مدینة صرصر، ثمّ نهر الملک و علیه مدینة کوثا ربا، و بین هذا النهر و الشعبة التالیة الی الیمین من المدن سورا، القصر ، نهر الملک، بابل، و بین الشعتین الآخرتین مدینة الجامعان ، و تجتمع هاتان الشعبتان فی دائرة کتب حولها بطائح الکوفه و ما علیها من القری و الأعمال و یشار الی هذه الناحیة کلّها بکتابة سواد الکوفه علی شکل صلیبیّ، و علی سمت واسط یقطع نهر دجلة بکتابة سواد واسط و کتب واسط فی کلّ واحد من جانبیه علی شکل صلیبیّ، و علی جانب دجلة الأیسر رسم من المدن ابتداء من البحر سلیمانان، بیان، المفتح، واسط مرّة ثانیة، فم الصلح، جبل ، و عن یسارها دیر العاقول، ثمّ کلواذی، بغداذ مرّة ثانیة، البردان، عکبرا، العلث، الجویث ، الکرخ، سرّ من رأی، الدور ، السن، الحدیثه، و یصبّ فی دجلة عند فم الصلح نهر کتب عنده النهروان و علیه من المدن ابتداء من دجلة جرجرایا، اسکاف بنی جنید، النهروان و حذاءها النهروان مرّة ثانیة، صورة الأرض ؛ ج۱ ؛ ص۲۳۳

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۳۴

و یأخذ من النهروان طریق الی الیسار الی حلوان علیه من المدن الدسکره، جلولا، خانقین، قصر شیرین ، و ینصبّ عند کلواذی نهر آخر بینه و بین دجلة دقوقا و خولنجان، (۳) [۶۹ ظ] هذا الإقلیم أعظم أقالیم الأرض منزلة و أجلّها صفة و أغزرها جبایة و أکثرها دخلا و أجملها أهلا و أکثرها أموالا و أحسنها محاسن و أفخرها صنائع و أهله فأوفرهم عقولا و أوسعهم حلوما و أفسحهم فطنة فی سالف الزمان و الأمم الخالیة و بمثله تجری أمور أمّة الآخرة یقرّ بذلک لهم أهل الطاعة و الفضائل و لا یمتری فیه أهل الدرایة و الحصائل، و رأیت ببعض الخطوط القدیمة أنّه کان یجبی لقباذ السواد دون سائر أعماله و ما کان تحت یده و سلطانه مائة ألف ألف و خمسین ألف ألف مثقال و أنّ عمر ابن الخطّاب رضی الله عنه أمر بمساحته فکان طوله من العلث فی جری دجلة الی عبّادان مائة و خمسة و عشرین فرسخا و عرضه من عتبة حلوان الی العذیب ثمنین فرسخا عامرة مغلّة لا یقطعها بور و لا یلحق عمارتها غبّ و لا فتور فبلغت جربانه ستّة و ثلثین ألف ألف جریب فوضع علی کلّ جریب للحنطة أربعة دراهم و علی الشعیر درهمین و علی جریب النخل ثمنیة دراهم و علی جریب الکرم و الرطاب ستّة دراهم و ختم علی خمس مائة ألف إنسان للجزیة علی الطبقات و أنّه جبی السواد فبلغت الجبایة مائة ألف ألف و ثمنیة و عشرین ألف ألف درهم، و جباه عمر بن العزیز مائة ألف ألف و أربعة و عشرین ألف ألف درهم، و جباه الحجّاج بن یوسف ثمنیة عشر ألف ألف درهم و أسلف الأکرة ألفی ألف درهم و حمل ستّة عشر ألف ألف و منع أهل السواد من ذبح البقر فقال شاعرهم

شكونا اليه خراب السوادفحرّم فينا لحوم البقر،

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۳۵

قال و اجتبى لكسرى ابرويز خراج مملكته سنة ثمانى عشرة من ملكه أربعمائة ألف ألف مثقال و عشرين ألف [ألف] مثقال قال ثمّ بلغت الجباية بعد ذلك ستّمائة ألف ألف مثقال، [و أمّا فى زماننا هذا و هو تأريخ سنة خمسين و خمسمائة فهو أكثر ممّا ذكره أضعافا مضاعفة لا أحيط بمقداره،] (۴) فأمّا ذكر مسافاته فمن حدّ تكريت الى البحر ممّا يلى المشرق على تقويسه فنحو شهر و من البحر راجعا فى حدّ المغرب على تقويسه الى تكريت فمثل ذلك، و من بغداذ الى سرّ من رأى ثلث مراحل و من سرّ من رأى الى تكريت مرحلتان، و من بغداذ الى الكوفة أربع مراحل و من الكوفة الى القادسيّة مرحلتان و من بغداذ الى واسط ثمانى مراحل و من بغداذ الى حلوان ستّ مراحل و الى حدود الصيمرة و السيروان نحو ذلك، و من واسط الى البصرة ثمانى مراحل و من الكوفة الى واسط على طريق البطائح ستّ مراحل و من البصرة الى البحر مرحلتان، و عرض العراق على سمت بغداذ من حلوان الى القادسيّة إحدى عشرة مرحلة و عرضه على قمّة سرّ من رأى من الدجلة الى حدّ شهرزور و الجبل نحو خمس مراحل و العامر منه أقلّ من مرحلة و العرض من واسط الى نواحى خوزستان نحو أربع مراحل و من البصرة الى جبّى [مدينة أبى علىّ الجبّائىّ] مرحلة، (۵) فأمّا مدنها [۶۹ ب] فإنّ البصرة مدينة عظيمة و لم تكن فى أيّام العجم و إنّما اختطّها المسلمون أيّام عمر بن الخطّاب رضى الله عنه و مصّرها عتبة بن غزوان فهى خطط و قبائل كلّها و يحيط بغربيّها البادية مقوّسة و بشرقيّها مياه الأنهار مفترشة، و ذكر بعض المؤلفين من أصحاب الأخبار أنّ أنهار البصرة عدّت أيّام بلال بن أبى بردة فزادت على مائة ألف نهر و عشرين ألف نهر تجرى فى أكثرها الزواريق و كنت أنكر ما ذكره من

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۳۶

هذا العدد فى أيّام بلال حتّى رأيت كثيرا من تلك البقاع فربّما رأيت فى مقدار رمية سهم عددا من الأنهار صغارا تجرى فى جميعها السميريّات و لكلّ نهر اسم ينسب به الى صاحبه الذى احتفره أو الى الناحية التى يصبّ اليها و يفرع ماؤه فيها و أشباه ذلك من الأسامى فجوّزت أن يكون ذلك كذلك فى طول هذه المسافة و عرضها و لم أستكثره، و هى من بين سائر العراق مدينة عشريّة و لها نخيل متّصلة من عبداسى الى عبّادان نيّف و خمسين فرسخا متّصلة لا يكون الإنسان منها بمكان إلّا و هو فى نهر و نخيل أو يكون بحيث يراهما، و هى فى مستواة لا جبل فيها و لا يكون بحيث يقع البصر على جبل بتّه، و بها آثار أمير المؤمنين صلوات الله عليه و غير موقف معروف مذ أيّام الجمل و قبر طلحة بن عبيد الله فى نفس المدينة و خارج المربد فى البادية قبر أنس بن مالك و الحسن البصرىّ و ابن سيرين و المشاهير من علماء البصرة و زهّادها الى يومنا هذا، و من مشاهير أنهارها نهر الأبلّة و طوله أربعة فراسخ ما بين البصرة و الأبلّة و على جانبى هذا النهر قصور و بساتين متّصلة كأنّها بستان واحد قد مدّت على خيط و رصفت بالمجالس الحسنة و المناظر الأنيقة و الأبنية الفاخرة و العروش العجيبة و الأشجار المثمرة و الفواكه اللذيذة و الرياحين الغضّة المركّب منها مثل الحيوان و البرك الفسيحة المرصوفة و لا تخلو من المتنزّهين بغرائب الملاذّ و تحفّ المتظرّفين منحدرين و مصعدين ، و يتشعّب فوق البصرة و من تحتها أنهار كثيرة فمنها ما يقارب هذا النهر فى الكبر و لا يدانيه فى الجمال و حسن المنظر الأنيق، و كأنّ نخيلها غرست ليوم واحد، و هذه الأنهار الكبار كلّها متخرّقة بعضها الى بعض و كذلك عامّة أنهار البصرة حتّى إذا جاءهم

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۳۷

مدّ البحر تراجع الماء فى كلّ نهر حتّى يدخل نخيلهم و حيطانهم و جميع أنهارهم من غير تكلّف و إذا جزر الماء عنها و انحطّ خلت منه البساتين و النخيل و بقيت أكثر الأنهار خالية فارغة، و يغلب على مياههم الملوحة و أكثر ما يستسقون الماء لشربهم إذا جزر الماء من آخر حدّ نهر معقل لأنّه يعذب هناك فلا يضرّه ماء البحر و على نهر معقل أيضا أبنية شريفة و مساكن حسنة عالية و قصور مشيّدة و بساتين و ضياع واسعة غزيرة كبيرة عظيمة، و كان على ركن الأبلّة فى دجلة بين يدى نهرها خور عظيم الخطر جسيم الضرر دائم

الغرر و كانت أكثر [۷۰ ظ] السفن تسلم من سائر الأماكن فى البحر حتّى ترده فيبتلعها و تغرق فيه بعد أن تدور على وجه الماء أيّاما و كان يعرف بكرداب الأبلّة و خورها فاحتالت له بعض نساء بنى العبّاس بمراكب اشترتها فأكثرت منها و أوسقتها بالحجارة العظام و بلّعتها ذلك المكان فابتلعها و قد توافت على مقدار فانسدّ المكان و زال الضرر فى وقتنا هذا عمّا كان عليه، و أكثر أبنيتها بالآجر و هى مدينة عظيمة جليلة خصبة بما حوته عامرة وافرة الأهل حسنة النظم [حتّى أنّ من طرف نهر معقل إذا سار الإنسان على خطّ مستقيم الى ناحية القبلة يكون بين السور و بين طرف النهر نحو فرسخ أو أكثر، قال كاتب هذه الأحرف دخلتها سنة سبع و ثلثين و خمس مائة و قد خربت و لم يبق من آثارها إلّا الأقلّ و طمست محالها فلم يبق بها إلّا محالّ معلومة كالنحّاسين و قساميل و هذيل و المربد و قبر طلحة و قد بقى فى محلّة بيوت معدودة و باقى بيوتها إمّا خراب و إمّا غير مسكونة و جامعها باق فى وسط الخراب كأنّه سفينة فى وسط بحر لجّىّ و سورها القديم قد خرب و بينه و بين ما قد بقى من العمارة مسافة بعيدة و كان القاضى عبد السلام الجيلىّ رحمه الله قد سوّر على ما بقى سورا بينه و بين السور القديم دون النصف فرسخ فى سنة ستّ عشرة و خمس مائة و سبب خرابها ظلم الولاة و الجور و أيضا فى كلّ سنة مرّة أو مرّتين تشنّ عليهم البادية الغارات و أكثرهم خفاجة و ابتدأ خرابها منذ خرج بها البرقعىّ و ادّعى أنّه علوىّ و تحصّن بنهر الخصيب و محاصرة أحمد الموفّق

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۳۸

ابن المتوكّل و سمعت جماعة من أهل البصرة يقولون كان بها فى زمن الرشيد بن المهدىّ أربعة آلاف نهر يجبى له فى كلّ يوم من كلّ نهر مثقال ذهب و درهم نقرة و قوصرة تمر و سمعت الشيخ وهب بن العبّاس و كان من جملة الوعّاظ المعروفين بالبصرة يحكى عن والده العبّاس أنّه قال كان على باب المحلّة التى يسكنها دكّان بقّال منفرد عن السوق و أنّ ذلك البقّال شكا الى العبّاس قلّة المعاش و ذكر أنّه كان يشترى من دكّانه فى كلّ سنة عشرة مكاكىّ خردل دون باقى الحوائج و فى سنتى هذه قد بقى من مكّوكى خردل بقيّة،] و للبصرة من استفاضة الذكر بالتجارة و المتاع و المجالب و الجهاز الى سائر أقطار الأرض ما يستغنى بشهرته عن إعادة ذكر فيه، و لها من المدن عبّادان و الأبلّة و المفتح و المذار فى مجارى مياه دجلة و هى مدن صغار متقاربة فى الكبر عامرة ، و الأبلّة أكبرها و أفسحها رقعة [و هى أحد حدود البصرة من جهة نهرها] و الأبلّة من بينها عامرة و بها أسواق صالحة [و لها حدّ آخر من عمود دجلة مكان يتشعّب منها النهر المعروف بنهر الابلّة] و ينتهى عمود دجلة الى البحر بعبّادان [بعد أن يضرب اليه نهر الابلّة]، و فى أضعاف قراها آجام كثيرة و بطائح الماء تسير فيها السفن بالمرادى لقرب قعرها كأنّها كانت على قديم الأيّام أرضا مسكونة و يشبه أن يكون لمّا بنيت البصرة و شقّت أنهارها و كثرت و استغلق بعضها على بعض فى مجاريها تراجعت المياه و غلبت على ما سفل من أرضها فصارت بطائح و آجاما، و للبصرة كتاب يعرف بكتاب البصرة ألّفه عمر بن شبّة قبل كتاب الكوفة و مكّة يغنى عن ذكر شىء من أوصافها و هذه الكتب موجودة فى جميع الأماكن، و أمّا ارتفاعها وقتنا هذا من وجوه أموالها

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۳۹

كلّها و جباياتها من أعشارها [و جماجمها] و مصالحها و ضمان البحر بلوازم المراكب فإنّه زاد و كثر و غلا و غزر و حضرته سنة ثمان و خمسين فكان ذلك فى يد أبى الفضل الشيرازىّ ستّة آلاف ألف درهم، (۶) و مدينة واسط على جانبى دجلة و دجلة تشقّها بنصفين و النصفان متقابلان بينهما جسر سفن يعبر عليه من أراد من أحد الجانبين الآخر و فى كلّ جانب مسجد جامع و هى مدينة محدثة فى الإسلام استحدثها الحجّاج ابن يوسف و بها حضر الحجاز و هى مدينة تحيط بحدّها الغربىّ البادية بعد مزارع يسيرة و هى خصبة كثيرة الشجر و النخل و الزرع و أصحّ هواء من البصرة و ليس لها بطائح و لها أرض واسعة و نواح فسيحة و عمارة متّصلة و بها قوام مدينة السلم إذا أسنتت نواحيها أو عيهت، و نواحى واسط عمل مفرد من أعمال العراق لعامل جليل نبيه خطير و حضرتها و قد جرى ذكر عقدها على أبى الفضل فى سنة ثمان و خمسين و كان ستّة آلاف ألف درهم، (۷) و مدينة الكوفة قريبة الأوصاف من البصرة و هواؤها أصحّ و ماؤها أعذب و هى على الفرات و بناؤها كبناء البصرة و مصّرها سعد بن أبى وقّاص و هى خطط لقبائل العرب إلّا أنّها خراج

بخلاف البصرة لأنّ ضياع الكوفة قديمة أزليّة و ضياع البصرة أحياء موات فى الإسلام، و القادسيّة و الحيرة و الخورنق على سيف الباديـة ممّا يلى المغرب و يحيط بها ممّا يلى المشرق النخيل و الأنهار و الزروع و هى و الكوفة فى أقلّ من مرحلتين، و الحيرة مدينة قديمة أزليّة طيّبة التربة مفترشة البناء و قد خفّ أهلها بل لم يبق منهم إلّا القليل بعمارة الكوفة و بينها و بين الكوفة نحو الفرسخ،

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۴۰

و بالكوفة قبر أمير المؤمنين علىّ صلوات الله عليه و يقال أنّه بموضع يلى زاوية جامعها و أخفى من أجل بنى أميّة خوفا عليه و فى هذا الموضع دكّان علّاف و يزعم أكثر ولده أنّ قبره بالمكان الذى ظهر فيه قبره على فرسخين من الكوفة و قد شهّر أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان هذا المكان و جعل عليه حصارا منيعا و ابتنى على القبر قبّة عظيمة مرتفعة الأركان من كلّ جانب لها أبواب و سترها بفاخر الستور و فرشها بثمين الحصر السامان و قد دفن فى هذا المكان [۷۰ ب] المذكور جلّة أولاده و سادات آل أبى طالب من خارج هذه القبّة و جعلت الناحية ممّا دون الحصار الكبير تربا لآل أبى طالب، و الكوفة فى هذا الوقت و أعمالها و سوادها مضافة الى ضمان مدينة السلام و مرفوعة أعمالها الى دواوينها و حضرت ارتفاع السواد سنة ثمان و خمسين و قد ضمنه أيضا أبو الفضل و سائر طساسيج العراق دون زيادة الصنجة و حقّ بيت المال فكان ثلثين ألف ألف درهم، و القادسيّة مدينة على شفير الباديـة صغيرة ذات نخيل و مياه و يزرع بها الرطاب الكثيرة و يتّخذ منه القتّ علفا لجمال الحاجّ و غيرها و ليس للعراق بعدها من ناحية الباديـة و جزيرة العرب ماء يجرى و لا شجر، (۸) و مدينة السلام محدثة فى الإسلام ابتناها أبو جعفر المنصور فى الجانب الغربىّ من دجلة و جعل حواليها قطائع لحاشيته و مواليه و أتباعه كقطيعة الربيع و الحربيّة و غيرهما ثمّ عمرت و تزايدت فلمّا ملكها المهدىّ جعل معسكره فى الجانب الشرقىّ فسمّى عسكر المهدىّ و تزايد بالناس و البنيان و كثرت عمارتهم و انتقل اسم الخلافة الى الجانب الشرقىّ و دار من بيده حال من اسم المملكة و عمل الى أسفل هذا الجانب بالمخرّم و استحدث الدار التى فى أسفلها للسلطان و ليس بما وراءها بنيان للعامّة متّصل، و تتّصل قصور السلطان و بساتينها من بغداذ الى نهر بين فرسخين على

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۴۱

جدار واحد ثمّ يتّصل من نهر بين الى شطّ دجلة [و يتّصل البنيان بدار خلافتهم مرتفعا على دجلة الى] الشمّاسيّة نحو خمسة أميال و تحاذى من الجانب الغربىّ الحربيّة فيمتدّ نازلا على دجلة البنيان الى آخر الكرخ، و يسمّى الجانب الشرقىّ منها جانب باب الطاق و جانب الرصافة و يسمّى عسكر المهدىّ لأنّه كان عسكر بحذاء مدينة أبى جعفر المنصور [و بنى هناك مسجد جامع حسن و الآن فقد خرب ذلك المكان و لم يبق معمور غير الجامع و مقابر قريش و المحلّة المعروفة بقبر أبى حنيفة رضى الله عنه و انتقلت العمارة الى نهر معلّى و قد سوّر فى زماننا هذا و هو عشر الستّين و خمس مائة بسور حصين منيع و بين يديه خندق عميق محيط به يتخرّقه ماء الدجلة] و يسمّى الجانب الغربىّ جانب الكرخ، و بها مساجد للجمعة و صلاتها خاصّة فى أربعة مواضع منها فمنها [فى] الجانب الغربىّ الذى بمدينة أبى جعفر و بالرصافة جامع آخر لأهل باب الطاق و فى دار السلطان أيضا جامع يحضره الخاصّة و العامّة و مسجد براثا فى الجانب الغربىّ و استحدثه أمير المؤمنين علىّ صوات الله عليه، و تتّصل عمارة الجانب الشرقىّ فى أسفل دار الخلافة بكلواذى و هى أيضا مدينة قصدة فيها مسجد جامع و لو عدّ فى جملة بغداذ لجاز لأنّ كثيرا من أهلها يصلّون فيه، و بين الجانبين فى وقتنا هذا جسر بقرب باب الطاق و كانا اثنين لعبر المجتازين و لمّا بان النقص عليهما عطّل أحدهما لبيان الاختلال، و هلك أكثر محالّها و ذلك أنّه كان من باب خراسان عمارة الى أن تبلغ الجسر و تمتدّ الى باب الياسريّة من الجانب الغربىّ و عرضها

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۴۲

فقد اختلّ أيضا من الجانبين جميعا [نحو خمسة أميال] و نقص و هلك منه الكثير و أعمر بقعة بها اليوم الكرخ و جانبه لأنّ أهل الياسريّة و معظم مساكن التجّار هناك، و ذكر بعض المؤلّفين أنّ الموفّق أمر بمساحتها فوجد الجانب الشرقىّ مائتى حبلا و خمسين حبلا و عرضه مائة حبل و خمسة أحبل و يكون ذلك ستّة و عشرين ألف جريبا و مائتين و خمسين جريبا و هذا حساب لا أعرفه، و

وجد الجانب الغربيّ مائتين و خمسين حبلا و العرض سبعين حبلا سبعة عشر ألف و خمس مائة جريب الجميع ثلثة و أربعون ألف جريب و سبع مائة و خمسون جريبا، و يكون بفدّان مصر حساب كلّ جريبين و نصف فدّان سبعة عشر ألف فدّان و خمس مائة فدّان و كانت هذه مساحة رقعتها، (۹) فأمّا الأشجار و الأنهار التى فى الجانب الشرقيّ و دار الخلافة فإنّها من ماء النهروان و تامرّا و ليس يرفع اليها من دجلة إلّا شيء يقصر عن العمارة، و أمّا الجانب الغربيّ فيشقّ اليه من الفرات نهر عيسى من قرب الانبار تحت قنطرة دمّا و تتحلّب من هذا النهر صبابات تجتمع فتصير [۷۱ ظ] نهرا يسمّى الصراة يفضى أيضا الى بغداذ [عند المحلّة المعروفة بباب البصرة] و عليه عمارات كثيرة للجانب الغربيّ و تنفجر منه أنهار كثيرة لعمارات الناحية و يقع ما يبقى من ماء الصراة الصغيرة و الكبيرة فيما يجاور نهر عيسى من بغداذ فى نحو نصف المدينة و عليها كثير من مساكنهم و دورهم و بساتينهم، فأمّا نهر عيسى فإنّ السفن تجرى فيه من الفرات الى أن يقع فى دجلة و الصراة فيها حواجز و موانع من جرى السفن بسكور و دوال فيها فتنتهى السفن فيها الى قنطرتها ثمّ يحوّل ما يكون فيها فيجاوز به ذلك الحاجز الى سفن غيرها، و بين بغداذ و الكوفة سواد مشتبك غير

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۴۳

متميّز تخترق اليه أنهار من الفرات فأولّها ممّا يلى بغداذ نهر صرصر عليه مدينة صرصر تجرى فيه السفن و عليه جسر من مراكب يعبر عليه و مدينة صرصر عامرة بالنخيل و الزروع و سائر الثمار صغيرة من بغداذ على ثلثة فراسخ، ثمّ ينتهى على فرسخين الى نهر الملك و هو كبير أيضا أضعاف نهر صرصر فى غزر مائه و عليه جسر من سفن يعبر عليه و نهر الملك مدينة أكبر من صرصر عامرة بأهلها و هى أكثر نخلا- و زرعا و ثمرا و شجرا منها، ثمّ ينتهى الى قصر ابن هبيرة و ليس بين بغداذ و الكوفة مدينة أكبر منها و هى بقرب نهر الفرات الذى هو العمود [و يطلع] اليها هناك عن يمين و شمال أنهار مفترقة ليست بكبار إلّا أنّها تعمّهم لحاجتهم و تقوتهم و هى أعمر نواحى السواد، ثمّ ينتهى الى نهر سورا و هى مدينة [مقتصدة] و نهر كثير الماء و ليس للفرات شعبة أكبر منه و ينتهى الى سائر سواد الكوفة و يقع الفاضل منه الى بطائح الكوفة و سورا هذه بين تلك النواحى أكثرها كروما و أشربة، و كربلا من غربيّ الفرات فيما يحاذى قصر ابن هبيرة و بها قبر الحسين بن علىّ صلوات الله عليهما و له مشهد عظيم و خطب فى أوقات من السنة بزيارته و قصده جسيم، (۱۰) و مدينة سرّ من رأى فى وقتنا هذا مختلّة و أعمالها و ضياعها مضمحلّة قد تجمّع أهل كلّ ناحية منها الى مكان لهم به مسجد جامع و حاكم و ناظر فى أمورهم و صاحب معونة يصرفهم فى مصالحهم و كانت مدينة استحدثها أبو إسحاق المعتصم بن الرشيد طولها سبعة فراسخ على شرقيّ دجلة و كان شرب أهلها منها و ليس بنواحيها ماء يجرى إلّا أنهار القاطول التى تنصبّ بالبعد منها الى سواد بغداذ و الذى يحيط بها فبرّيّة و عمارتها و مياهها و أشجارها فى الجانب الغربيّ بحذائها ممتدّة و المواضع التى ذكرتها مدادا هى مدن

صورة الأرض، ج۱، ص: ۲۴۴

قائمة بأنفسها كدور العربايى و الكرخ و دور الخرب و صيتيّة سرّ من رأى نفسها فى وسطها و من أوّل ذلك الى آخره عند دور الخرب نحو مرحلة لا ينقطع بناؤها و لا تخفى آثارها [و هى إسلاميّة] و لمّا ابتدأ بناءها المعتصم استتمّه المتوكّل و هواؤها و ثمارها أصحّ من ثمار بغداذ و هوائها و لها نخيل و كروم و غلّات تحمل الى مدينة السلام [و هى الآن خراب أكثرها]، (۱۱) و النهروان مدينة يشقّها نهر النهروان بنصفين فى وسطها و هى صغيرة عامرة من بغداذ على أربعة فراسخ كثيرة الغلّات و الخيرات و النخيل و الكروم و السمسم خاصّة و نهرها يفضى الى سواد بغداذ أسفل من دار السلطان الى الإسكاف و غيرها من المدن و القرى، فإذا جزت النهروان الى الدسكرة الى حدّ حلوان خفّت المياه و النخيل و إن كانت من الدسكرة الى حدّ حلوان كالبادية منقطعة العمارة منفردة المنازل و القرى حتّى تفضى الى نهر تامرّا و حدود شهرزور و الى تكريت، (۱۲) فأمّا المدائن فمدينة صغيرة جاهليّة أزليّة كسرويّة آثارها عظيمة و معالمها قائمة و قد نقل عامّة أبنيتها الى بغداذ و هى من بغداذ على [۷۱ ب] مرحلة و كانت مسكن الأكاسرة و بها ايوان كسرى المشهور ذكره بحديث سطيح و غيره الى يومنا هذا و هو إيوان معقود عظيم جسيم من آجرّ و جصّ و ليس للأكاسرة أثر و لا بنية

كهو، و ينعت هذا الإقليم بأرض بابل و كانت مدينة النماردة و الفراعنة و قرار ملكهم و حومة نعمهم و هى الآن قرية صغيرة و هى أقدم أبنية العراق عهدا استحدثها ملوك الكنعانيّين و سكنوها و من كان بعدهم و كانت دار مقامهم و بها آثار أبنية تخبر أنّها كانت فى قدم الأيّام مصرا عظيما و يرى آخرون أنّ الضحّاك أوّل من بناها

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۴۵

و سكنتها التبابعة و دخلها إبراهيم عليه السلم، [و تجاهها حلّة ابن مزيد مدينة محدثة استحدثها منصور بن مزيد الأسدىّ فى سنى التسعين و أربعمائة غربىّ الفرات منغصّة بالناس كثيرة الأسواق دائمة الشرى و البيع و بها مسجد جامع حسن كبير و جبايتها ربّما زادت على ألف دينار،] و كوثى ربّا مدينة يزعم قوم أنّها كانت أكبر من بابل و يقال إنّ إبراهيم الخليل عليه السلم بها طرح فى النار و كوثى بلدان و ناحيتان تعرف إحداهما بكوثى الطريق و الأخرى بكوثا ربّا و بها تلال رماد عظيمة و يزعمون أنّها نار النمرود بن كنعان التى طرح فيها إبراهيم، و الجامعان منبر صغير حواليها رستاق عامر خصب جدّا يحادّ نواحى المدائن، و المدائن من شرقىّ دجلة و من بغداذ على مرحلة و يقال إنّه كان فى أيّام الفرس قد عقد بها على الدجلة جسر من آجرّ و ليس لذلك أثر فى هذا الزمان و قد حكيت هذه الحكاية عن تكريت و أنّه كان على الدجلة بها عقد جسر من آجرّ يعبر عليه فى أيّام الهياطلة و أدركت أثرا من ذلك يشهد له فى سنى نيّف و عشرين و ثلثمائة، (۱۳) فأمّا عكبرا و البردان و النعمانيّة و دير العاقول و جبّل و جرجرايا و فمّ الصلح و نهر سابس و سائر ما ذكرته على شطّ الدجلة من المدن فهى متقاربة فى الكبر و ليس بها مدينة كبيرة و هى مشتبكة العمارة و لكلّ مدينة من ذلك كورة، [و البوازيج شرقىّ تكريت و هى على النهر الصغير الذى أخذ من

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۴۶

بلاد الدربند و شهرزور و لها نهر يأخذ من الزاب من أعلاها مسيرة أربعة أميال و يجئ اليها من قبليّها و يقسم بمقاسم عملت من الآجرّ أفواه الأنهار نهر الى شرقيّها و نهر الى غربيّها يسقى بساتينها و أقطانها و نهر يسمّى السنّ يدخل تحت السور من قبليّها و يشقّ فى وسطها و فى أسواقها و عليه مرابع بالآجرّ و ربّما دخل واحد دكّانه و استقى الماء من طاقه و يخرج منها النهر فيسقى البساتين و الأقطان الى شماليّها و شرقها و هو ماء كثير و فيها أيضا نهر صغير يشقّ وسط البلد و يروح الى غربىّ البلد يسقى الأقطان و البساتين و فى بساتينها فاكهة مليحة و أكثرها الرمّان و الرطب و أهلها ليّنو العريكة محبّون الغريب و يتعصّبون له و ربّما حمل من فاكهتها الى الموصل و ينادى عليه باسمها و ربّما أبيع فاكهة غيرها باسمها لشهرتها بالجيّد، و رؤساؤها قوم بنو يعرب من بجيلة من ولد جرير بن عبد الله البجلىّ و رؤساء نصفها الآخر قوم من بنى هود يقال لهم بنو هود بن قحطان و هؤلاء رؤساء الجانبين مختلفون فى المذهب فبنو يعرب شيعة و بنو هود سنّيّة و لكلّ منهم تبع عظيم و ربّما يجرى بينهم شىء من القتال على ذلك إلّا أنّهم يزوّجون بعضهم من بعض و لا يزوّجون غريبا و لا يتزوّجون من غريب و كانوا قديما من عسكر علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه لمّا فتح تكريت أخذوها و سكنوها بعد مقتله بالكوفة و هى مبنيّة بالطوب الّتى هو اللبن و الجصّ مساكن مرتفعة جدّا أحسن من اربل،] و حلوان مدينة ليس بالعراق بعد البصرة و الكوفة و واسط أعمر منها و لا أكثر خصبا و جلّ ثمارها التين و هى بقرب الجبل و ليس للعراق مدينة تقرب من الجبل غيرها و ربّما سقط بها الثلج فأمّا أعلى جبلها فالثلج يسقط به دائما، و بالدسكرة نخيل و زروع كثيرة و بخارجها حصن من طين داخله فارغ و هو مزرعة و يقال أنّ ملكها كان يقيم به فى بعض فصول السنة فسمّيت دسكرة الملك لذلك، (۱۴) و قد قدّمت القول بالتقويس الذى فى حدّ العراق من نحو تكريت الى [أن] يجاوز مشرقا عن دجلة الى قرب العلث بالطول على

صورة الأرض، ج ۱، ص: ۲۴۷

مثال القوس الى الدسكرة ثمّ يتصوّب على مثال القوس الى حدّ عمل واسط من حدّ العراق الى حدّ الجبل فإنّه قليل العمارة و فيه قرى مفترشة و الغالب عليها الأكراد و الأعراب و هى مراع لهم، و كذلك من تكريت عن غربيّها الى أن تنتهى الى الانبار بين الدجلة و الفرات قليل العمارة و إنّما العمارة منه ما يحاذى سرّ من رأى أميال يسيرة و الباقى هى بادية، (۱۵) و لم أبالغ فى وصف العراق لإكثار

الناس فيها و وصفهم المستفاض لها و اشتهار عامّة ما يذكر منها و هذه صفة جامعة لها و إذ قصدى فيها و فى غيرها إثبات هيآتها فى الصورة و موقع بعضها من بعض، و أمّا ارتفاعها فبمعزل من ارتفاع البصرة و واسط فى وقتنا هذا و قد قدّمت ذكر ذلك فى غير موضع من قديم و حديث، [و حضرت عقد ضمانها من حدّ تكريت الى حدّ واسط بجميع طساسيجها و أعمال الكوفة المضمومة اليها من جميع وجوهها و أسبابها على أبى الفضل الشيرازىّ فى سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة و كان دون زيادة الصنجة و حقّ بيت المال ثلاثين ألف ألف درهم و قد تقدّم ارتفاع البصرة و واسط عند ذكرهما و أنّهما تضمّنا معا باثنى عشر ألف ألف درهم فى هذه السنة المذكورة،]

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخريّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹